

مَدَارِسُ الْجَامِعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

في مدينة مكة المكرمة

وأثرها في الدعوة إلى الله



مَدَارِسُ الْجَامِعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

د. محمد بن حسين الشيعاني



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

مدارس الجاليات الخيرية في مدينة مكة المكرمة

وأثرها في الدعوة إلى الله

دراسة ميدانية تحليلية

إعداد

د. محمد بن حسين الشيعاني

١٤٣٢ هـ

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣). أما بعد:

فإن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار^(٤).

موضوع الدراسة:

إن من أعظم خصائص الدعوة الإسلامية شموليتها لكافة أنواع المدعوين من أمة الدعوة وأمة الاستجابة على اختلاف مراتبهم وأنواعهم ودياناتهم

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتين ٧٠-٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، ليجعلوها بين يدي كلامهم، رواها أبو داود ٥٩١/٢، كتاب: النكاح، باب: في خطبة الحاجة برقم ٢١١٨، واللفظ له، والترمذي ٤١٣/٣، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في خطبة النكاح، برقم ١١٠٥، وأحمد ٣١٥/٥، رقم ٣٢٥٧، وصححها الألباني في كتابه خطبة الحاجة ص ٩.

مدارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

٢

ومجتمعاتهم، وتتجلى هذه الشمولية في عناية الدعوة الإسلامية بالجاليات التي اتخذت من الدول الإسلامية موطنًا ومستقرًا وحماية من ويل الحروب الشرسة التي شنها أعداء الإسلام على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فكان لزاما أن يجد هؤلاء لهم بين ظهور المسلمين معينًا ونصيرًا من إخوانهم.

فأولت هذه الفئة من المدعوين عناية بالغة سعيًا منها لهدايتها، وإنقاذها من غياهب الجهل، وأدران الشرك، وغيرها من آثار البعد عن الإسلام الصحيح والتلبس ببعض البدع والمنكرات.

ولمّا كانت مكة المكرمة مهوى أفئدة المسلمين، فقد توافدت إليها جموع البشر من كل حذب وصوب عبر تاريخها الإسلامي الحافل فكانت عناية الدعوة الإسلامية بهذه الفئة المسلمة المضطهدة في أنحاء المعمورة عناية خاصة، واهتمام ولاة أمور المسلمين بهم في كل العصور اهتمامًا بالغًا.

ونظرًا لأن الكثير من أبناء هذه الجاليات المسلمة لم يتلقوا تعليمًا دينيًا متميزًا، والبعض الآخر منهم يجد صعوبة في إلحاق أبنائه ضمن المدارس الحكومية العامة لضعف لغتهم العربية من ناحية، أو لصعوبة اندماجهم مع باقي الجاليات الأخرى في المجتمع المكي ولعل ذلك راجع لتفضيل بعضهم الانعزال والعيش في أحياء تضم أبناء كل جالية على حدة، فقد جاءت فكرة إنشاء مدارس الجاليات الخيرية لتواكب تطلعات ولاة الأمر في هذه البلاد المباركة والذين حرصوا على أن ينال هؤلاء الطلاب حظهم من التعليم والرعاية، نفعًا لأنفسهم وأهلبيهم ومجتمعاتهم، فالمجاورون في مكة ليسوا من بلاد واحدة بل جاءوا من مختلف أقطار العالم الإسلامي؛ فاستوعبتهم المملكة وسمحت لهم بالإقامة وعملت على تذليل الصعاب لهم بتمكينهم من البقاء في أراضيها ريثما تتحسن ظروف بعضهم المعيشية ويسمح لهم بإقامة شعائر دينهم بحرية في بلدانهم كما هو الحال عليه لدى المسلمين من بورما، وساعدت في تبني قضيتهم

مدارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

في المحافل والمؤتمرات الدولية، فموضوع الدراسة هو مدارس الجاليات الخيرية بمكة وأثارها الدعوية على الفرد والمجتمع، وكيف استطاعت هذه المدارس نشر الدعوة إلى الله بين أبنائها وتخريج حفظة لكتاب الله يقومون بإيصال الدعوة إلى أقوامهم وبني جلدتهم على منهج قويم.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في كونه يبين جهود المدارس الخيرية بمكة المكرمة في دعوة وإرشاد أبناء المسلمين المهاجرين، وتعليمهم أمور دينهم وتبصيرهم بها، وبيان الآثار المباركة لمدارس الجاليات الخيرية والتي امتدت بحمد الله إلى المسلمين في بلدانهم بفضل الله أولاً ثم بفضل الجهود المبذولة من قبل القائمين عليها، وقد حرصت حكومة المملكة العربية السعودية على تزويدها بالمنهج وبعض الكفاءات التعليمية من وزارة التربية والتعليم.

ولعلي من خلال الدراسة أبين الفوائد والآثار والجهود الدعوية المباركة التي تبذلها تلك المدارس في خدمة الدعوة إلى الله وحماية المجتمع من الجهل والخرافة والأمية.

أسباب اختيار الموضوع:

- من أبرز الأسباب التي دعنتني إلى اختيار الموضوع ما يلي:
- ١- استقرار الكثيرين من أبناء الجاليات المسلمة بمكة المكرمة (الجمالية البرماوية والإفريقية وغيرهما) وتفشي الجهل بينهم.
 - ٢- أهمية دعوة هذه الجاليات وتوعيتهم لعظيم أثرها على مجتمع مكة وفي بلدانهم.
 - ٣- عدم وجود دراسة وافية أكاديمية حول هذا الموضوع أفردته في عنوان مستقل.
 - ٤- كثرة مدارس الجاليات الخيرية إذ يبلغ تعدادها حوالي (٨١) إحدى

مدارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

وثمانين مدرسة للبنين والبنات لكل الجاليات إضافة إلى مدارس أخرى لم تدمج بعد تحت هيئة الإشراف على مدارس الجاليات بمكة برئاسة معالي الشيخ: صالح بن عبد الرحمن الحصين -حفظه الله-.

٥- بيان الجهود المباركة التي يبذلها القائمون على هذه المدارس وأثارها الحميدة على الفرد والمجتمع المكي على وجه الخصوص.

أهداف الموضوع:

أسعى من خلال موضوعي إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية من أهمها ما يلي:

- ١- إبراز الجهود الدعوية التي تقوم بها مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة.
- ٢- الوقوف على الآثار الدعوية المباركة والثمرات الياقة لمدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة.
- ٣- صياغة جملة من المقترحات التي تخدم رسالة مدارس الجاليات الخيرية والمساهمة في دعمها علمياً وعملياً.
- ٤- الإسهام في إيجاد حلول عملية للقائمين على المدارس الخيرية، والتواصل معهم بما يخدم مجتمعاتهم وجالياتهم.

حدود الموضوع:

نظراً لسعة الموضوع وتشعبه ارتأيت وضع حدود لهذا البحث سعياً مني لتحقيق الأهداف المرجوة من وراء الكتابة عنه بأيسر السبل وأجزها ويمكن تقسيم الحدود إلى ثلاثة أنواع:

أ- حدود مكانية: وهي تمثل ميدان الدراسة وهي مدينة مكة المكرمة لكونها من أكبر مدن المملكة العربية السعودية التي تضم جاليات مسلمة تعيش فيها منذ عشرات السنين.

ممارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله**ب- حدود زمانية:**

اقتصرت الدراسة على الفترة الزمنية من العام (١٤١٣هـ وحتى العام ١٤٣٢هـ) موعد تقديم الرسالة للمناقشة وتحديد البداية بالعام (١٤١٣هـ) لابتداء دخول مدارس الجاليات الخيرية ضمن المدارس النظامية والاعتراف الحكومي بها، وتنظيمها تنظيمًا لا يتعارض مع سياسة التعليم العام بالمملكة العربية السعودية.

ج- حدود موضوعية:

سوف يتركز البحث على الجوانب الدعوية والآثار الحميدة لوجود مدارس الجاليات الخيرية التابعة لهيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية في مدينة مكة المكرمة دون التوسع في غيرها من الموضوعات التربوية نظرًا لسعة الموضوع ومراعاة للتخصص العلمي.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي في عدد من الجامعات مثل الجامعة الإسلامية وجامعة أم القرى وفي عدد من المراكز والأقسام العلمية ومراكز البحوث كمركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى وسؤالي أهل الاختصاص والقائمين على الهيئة العليا للإشراف على مدارس الجاليات الخيرية فإنني لم أجد من كتب عنها دراسات علمية متخصصة في مجال الدعوة وأقصى ما وجدته رسالة علمية واحدة وهي عبارة عن بحث تكميلي لرسالة ماجستير للباحث سلطان بن محمد الزويهي بعنوان: واقع الممارسات الإدارية والفنية لمديري المدارس الخيرية بالعاصمة المقدسة، دراسة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الإدارة والتخطيط بكلية التربية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ويقع البحث في مائة وخمس وثلاثين صفحة (١٣٥) وتم تطبيق الدراسة في الفصل الدراسي الثاني للعام ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ).

مدارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

٦

إضافة إلى عدد من الدراسات التربوية الخاصة بمدارس الجاليات الخيرية ومنها: مؤلفات الدكتور عبد الله بن عمر عطار عن مدارس الجاليات الإسلامية البورمية والأفريقية.

الصعوبات والمشكلات:

- لقد واجهت جملة من الصعوبات اعترضت مسيرة بحثي، ومن أبرزها:
- ١- قلة المصادر والمراجع التي تعنى بواقع الجاليات عامة من الناحية التعليمية والتربوية، وبمنطقة مكة المكرمة على وجه الخصوص.
 - ٢- غياب الإحصائيات الدقيقة حول جهود مدارس الجاليات في الداخل والخارج، أرهقني، ولكنني حاولت جاهداً تذليل هذه المشكلة من خلال الزيارات الميدانية لهذه المدارس، والمقابلات الشخصية مع مدراءها والقائمين عليها.
 - ٣- تداخل المناهج التعليمية بين وزارة التعليم ومناهج هذه المدارس يمثل تحدياً آخر لي، في ظل غياب منظومة مستقلة بمدارس الجاليات.
- خطة البحث:**
- يتضمن البحث مقدمة وتمهيداً، وخمسة فصول ثم الخاتمة، وفهارس لازمة.

المقدمة: وتضمنت ما يلي:

- موضوع الدراسة
- أهمية الموضوع.
- أسباب اختياره
- أهداف الموضوع.
- حدود البحث.
- الدراسات السابقة.

ممارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

خطة البحث.

منهج البحث.

التمهيد: التعريف بمفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: التعريف بمدارس الجاليات الخيرية.

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله أهميتها ومكانتها.

الفصل الأول: الجاليات في مدينة مكة المكرمة (أنواعهم، خصائصهم)

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: عناية الإسلام بالجاليات.

المبحث الثاني: لمحة موجزة عن الجاليات الإسلامية بمكة المكرمة.

المبحث الثالث: أنواع الجاليات الموجودة بمكة المكرمة.

المبحث الرابع: عناية المملكة العربية السعودية بدعوة الجاليات وتعليمها.

الفصل الثاني: مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة.

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأة مدارس الجاليات الخيرية بمكة ونظامها.

المبحث الثاني: أهداف مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة وعلاقتها

بالدعوة.

المبحث الثالث: المقررات الدراسية للمدارس الخيرية ومضامينها

الدعوية.

المبحث الرابع: المناشط الدعوية لمدارس الجاليات الخيرية وأثرها في

الدعوة إلى الله.

الفصل الثالث: وسائل مدارس الجاليات الخيرية في إيصال رسالتها.

ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: المناهج والمقررات الدراسية.

مدارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

٨

- المبحث الثاني: الدروس العلمية.
- المبحث الثالث: المعاهد والدور الشرعية بمكة المكرمة.
- المبحث الخامس: المعلمون.
- الفصل الرابع: أهم مشكلات الدعوة التي تواجه مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة والحلول المناسبة لها.
- ويتضمن أربعة مباحث:
- المبحث الأول: ضعف التمويل.
- المبحث الثاني: قلة الكادر التعليمي والإداري.
- المبحث الثالث: مجتمع الطلاب.
- المبحث الرابع: السبل المقترحة لمعالجة أهم مشكلات الدعوة التي تواجه مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة.
- الفصل الخامس: الآثار الدعوية لمدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة.
- ويتضمن أربعة مباحث:
- المبحث الأول: آثارها على أفراد الجاليات.
- المبحث الثاني: آثارها على مجتمع مكة المكرمة.
- المبحث الثالث: آثارها على دول هذه الجاليات ومجتمعاتها.
- المبحث الرابع: آثارها على الأمة الإسلامية.
- الخاتمة وتشتمل على ما يلي:
- أولاً: خلاصة البحث.
- ثانياً: نتائج البحث وتوصياته.
- الفهارس وتتضمن:
- أ- فهرس المصادر والمراجع.
- ب- فهرس المحتويات.

مدارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله**منهج البحث:**

استخدمت في كتابته للرسالة أكثر من منهج بحثي ومن هذه المناهج:

١- المنهج التاريخي واستخدم في وصف الواقع ودراسته وتحليله على ضوء ما توصل إليه من المعلومات عن مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة وأثرها في الدعوة.

٢- المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمته في دراسة الظواهر التاريخية المتعلقة بالبحث؛ كتاريخ قدوم الجاليات إلى مكة المكرمة، وقيام مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة وغيرها من المعلومات التي استقيتها من دراستي.

وإضافة إلى ما سبق فإن من لوازم منهج البحث إخراجه على المنهج العلمي من خلال:

١- ترقيم الآيات وعزوها إلى مواضعها مع كتابتها بالرسم العثماني.
٢- عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما يكتفى بذلك، وإن كان في غيرهما عزوته إلى مصادره مع ذكر كلام أهل العلم في بيان الحكم عليه من حيث الصحة والضعف بحسب الإمكان.

٣- الترجمة للأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

٤- إحالة المادة العلمية إلى مصادرها الأصلية حسب الاستطاعة.

٥- الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٦- عمل الفهارس العلمية المتنوعة على النحو المبين في الخطة.

مدارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

١٠

التمهيد التعريف بمفردات عنوان البحث

مدارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

١٢

المبحث الأول**التعريف بمدارس الجاليات الخيرية**

قبل الشروع في التعريف الاصطلاحي بالمدارس الخيرية يحسن بي التعريف بكلمتي المدارس والجاليات.

أ- المدارس هي: المدارس والمدرّس: الموضوع الذي يدرس فيه، والمدرّس: الكتاب، والمدرّس الموضوع الذي يقرأ فيه القرآن، ودرس الكتاب يدرسه درسا، ودراسة: قرأه، والدرس الطريق الخفي^(١).
ومن الباب: درست القرآن وغيره، وذلك أن الدارس يتتبع ما كان قرأ، كالسالك للطريق يتتبعه^(٢).

ب- الجاليات لغة واصطلاحاً هي:

١- في اللغة: الجالية، والجالّة، وهم أهل الذمة، وإنما لزمهم هذا الاسم؛ لأن النبي ﷺ أجلى بعض اليهود من المدينة وأمر بإجلاء من بقي منهم بجزيرة العرب، فأجلاهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-^(٣) فسُموا جالية للزوم الاسم لهم، وإن كانوا مقيمين في البلاد التي أوطنوها^(٤).
وجاء في المعجم الوسيط أن "الجالية" الذين جلاوا عن أوطانهم وجماعة من الناس تعيش في وطن جديد غير وطنهم الأصلي.

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤٩٠/٣، مادة: (درس)، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص ٣٣٢، مادة (درس).

(٢) المصدر السابق، ص ٣٣٣.

(٣) قال مالك بن أنس رحمه الله: ".. وقد أجلى عمر بن الخطاب يهود نجران وفدك"، الموطأ برواية يحيى الليثي ٨٩٢/٢، رقم: ١٥٨٤. ورواه القاسم بن سلام في كتاب الأموال ٢٥/١، رقم: ٢٢.

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب ١١/١٢٠.

مدارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

وأهل الذمة وكل من لزمتهم الجزية من أهل الكتاب وإن لم يجلبوا عن
أوطانهم"^(١).

وذكر الرازي^(٢) أن المقصود بـ"الجالية" من هم على جزية أهل الذمة"^(٣).
إذن فالجالية تطلق على من عاشوا في غير وطنهم الأصلي.

وقد مر التعريف اللغوي لمصطلح الجالية لعدة متغيرات ومراحل ليصبح
فيما بعد كما سيمر بنا اسما لكل مجموعة من الناس بغض النظر عن كونهم
مسلمين أو غير مسلمين

٢- المفهوم الاصطلاحي الخاص بالبحث للجاليات: يقصد بها: مجموعة
من الناس تعيش في وطن غير وطنها الأصلي لأسباب متعددة، إما هربا من القتل
والسحق فترك أوطانها إلى أوطان أخرى طمعا في الأمن والأمان، أو هجرة
بقصد طلب الرزق وتحسين الأحوال المعيشية التي في غير مقدرها تحسينها في
أوطانها"^(٤).

أما مدارس الجاليات الخيرية فهي كما عرفها مكتب إدارة لجنة مدارس
الأفارقة "مدارس خيرية تستمد طاقتها المادية والمعنوية من أهل الخير
والإحسان، وعليهم تتوقف آمالها ومنهم تستمد قوتها بعد الله تعالى وعليهم تعول
في أداء رسالتها"^(٥).

(١) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط ١/١٣٨.

(٢) هو: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب. أصله
من الري، زار مصر والشام، وكان في قونية سنة ٦٦٦ هـ وهو آخر العهد به. له تصانيف عديدة
منها: مختار الصحاح، وحدائق الحقائق، وغيرهما، انظر ترجمته: خير الدين الزركلي، الأعلام،
٥٥/٦، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ٩/١١٢.

(٣) محمد أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ١٠٨.

(٤) انظر: عمر حسين عطار، مدارس الجاليات الإسلامية البورمية الخيرية بمكة المكرمة، ص ١١.

(٥) إدارة لجنة مدارس الأفارقة بمكة المكرمة، ١٤٢٧ هـ، تقرير المدارس الخيرية للأوقاف.

مدارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

وقد أوردت هيئة الإشراف على المدارس الخيرية بمكة تعريفا موجزا عنها جاء فيه: «مدارس خيرية نظامية من حيث الدوام والامتحانات والإجازات وفقاً لنظام وزارة المعارف»^(١).

والمدارس الخيرية المراد دراستها في هذه الدراسة هي: تلك المدارس التي تشرف عليها إدارة التربية والتعليم بالعاصمة المقدسة تقوم بتدريس أبناء الجاليات الإسلامية المقيمة بمدينة مكة المكرمة ويقوم عليها إدارة ومعلمون من أبناء جلدتهم وتعتمد في تمويلها على أهل الخير والإحسان من رجالات هذا البلد ومن الموسرين من المسلمين.

ويمكن أن نعرف مدارس الجاليات الخيرية بأنها: مدارس نظامية تختص بأبناء المسلمين من جنسيات مختلفة، تقوم بتعليم أبناء المسلمين المجاورين بمكة وتبصيرهم بأمور دينهم، ومحاولة الاستفادة منهم ويقوم بالإنفاق عليها مجموعة من المحسنين دعماً لأهدافها، ورعاية لطلابها.

(١) عمر حسين عطار، مدارس الجاليات الإسلامية الخيرية البورمية بمكة، ١/ ٢١٤.

المبحث الثاني الدعوة إلى الله أهميتها ومكانتها

أ- الدعوة لغة:

الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاهُ عَلَيْكُمْ ادْعُوا لَهُمْ أَمْ أَنْتُمْ نَصِيحُونَ﴾^(١).

تقول دعوت أدعو دعاءً وهذا هو الأصل في مفهوم الدعوة أن يعتمد على البيان والكلام، واشتقاقات مادة (دعو) كثيرة، منها: التداعي بمعنى التجمع، يقال: تداعى القوم إلى كذا أي تجمعوا، والدعوى اسم لما يدعيه، والادعاء زعم أن كذا له إما حقاً أو باطلاً، والدعاء: العبادة^(٢).

فالدعوة مصدر للفعل الثلاثي: دعا يدعو دعوة، وتأتي تارة بالتأنيث بالألف فيقال (الدعوى) بمعنى الدعاء، ومنه: قوله تعالى: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَجِيَّتَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَاجِرٌ دَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقد يستعمل لفظ الدعوة للدلالة على الخير أو على الشر، فمن استعمال لفظ الدعوة في الخير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤).

ويقول تعالى في سياق استعمالها في الشر: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٣.

(٢) انظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص ٣٣٧، مادة: دعو.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠، وانظر: أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ٣/ ١٢٢ مادة: دعا.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٥.

ب- الدعوة اصطلاحًا:

شمل القرآن الكريم مضامين الدعوة بكل أبعادها، وغايتها، وأولوياتها، ووسائلها، ومراحلها، ومراتبها، وفيه بيان دعوة الرسل الكرام -عليهم السلام- ومناهجهم في الدعوة وأصلها ومرتكزها هو: توحيد الله تعالى بالعبادة، وما يستلزم ذلك من الإيمان ببقية الأركان.

ولم يصغ للدعوة تعريف واضح عند المتقدمين -بحسب علمي^(٢) ذلك أن المتقدمين من سلف الأمة الصالح قد عايشوا الدعوة في كل شؤون حياتهم، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم إلى درجة أنها أصبحت عندهم معروفة وغنية عن التعريف: «ومن كان هذا شأنه قل أن يعرف ما هو معروف، ثم لم تكن التعريفات بحدودها المنطقية واصطلاحاتها المعرفية قد برزت بعد، وكان المتقدمون مع ذلك أوفى علمًا، وأفقه بالمراد، وأبعد عن التكلف»^(٣).

١ - تعريف الدعوة عند ابن تيمية - رحمه الله -:

قال: «الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله عليهم الصلاة والسلام بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا. وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٢) أقصد بهم أهل القرون الثلاثة المفضلة، أما من بعدهم فقد عبروا عن الدعوة بالإشارة إلى مضامينها ومنها تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية المذكور، وتعريف تلميذه ابن القيم - رحمه الله -

وغيرهما، انظر: محمد بن القيم، مفتاح دار السعادة، ١/ ١٥٣.

(٣) انظر: عبد الرب نواب الدين، مدخل إلى علم الدعوة، ص ١٤.

مدارس الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كما يراه»^(١).

وهذا التعريف -من وجهة نظري- هو أرجح التعاريف للدعوة حيث أنه أشتمل على مراتب الإسلام الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وبيان منهجها، وتوضيحه لمقاصدها، ووضوح معانيه، واستيفائه لمعاني الدعوة.

٢- تعريف الدعوة عند بعض المعاصرين اليوم:

من أبرز تعاريف بعض العلماء المعاصرين للدعوة ما يلي:

- أ- الدعوة هي: «القيام بتبليغ دين الله عز وجل حسب الطاقة والإمكان»^(٢).
- ب- الدعوة هي: «العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق»^(٣).
- ج- الدعوة هي: «قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله ﷺ والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً»^(٤).
- د- الدعوة هي: «حث الناس على الخير، والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل»^(٥).
- هـ- الدعوة هي: «قيام العلماء المستنيرين في الدين، بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة»^(٦).

(١) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٥٧/١٥.

(٢) عبد العزيز بن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة، ص ٤ بتصرف يسير مني.

(٣) أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ١٠.

(٤) محمد سيدي الحبيب، الدعوة إلى الله، ص ٢٧.

(٥) علي محفوظ، هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، ص ١٧.

(٦) أبو بكر ذكري، الدعوة إلى الإسلام، ص ٨.

مخارج الجاليات الخيرية في مكة وأثرها في الدعوة إلى الله

ومن تأمل التعاريف السابقة لبعض المعاصرين يجد بينها اختلافاً وتبايناً، وهي مقيدة بالحد الاصطلاحي، وبعضها قد اقتصر على بعض جوانب الدعوة دون الجوانب الأخرى التي لم يشملها التعريف.

ج- أهمية الدعوة إلى الله تعالى ومكانتها:

١- أهمية الدعوة إلى الله:

للدعوة إلى الله أهمية عظمى، ومكانة رفيعة كونها من أهم الواجبات الدينية، ومن أجل القربات وأفضل الطاعات؛ إذ بها يتبين الهدى من الضلال، والحق من الباطل، والغى من الرشاد، والخطأ من السداد، والصالح من الفساد، وهي وظيفة الرسل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فإن الله تعالى قد بعث رسله -عليهم السلام- مبشرين ومنذرين كما قال عز وجل عن رسله: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١).

قال ابن كثير -رحمه الله-: «وقوله: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب.

وقوله: ﴿وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والندارة، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه، لئلا يبقى لمعتذر عذر»^(٢).

فدعوا الناس إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وبينوا لهم الحق من الباطل، وطهروا قلوبهم وأعمالهم من أدران الشرك والمعاصي، وبلغوا دين الله البلاغ

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٥٩/٥.

المبين، فما من خير إلا ودلوهم عليه، ولا شر إلا وحذروهم منه، وأعظم خير دلوا عليه أقوامهم هو توحيد الله وإخلاص الدين له، وأعظم شر حذروا منه هو الكفر به وإشراك غيره معه وعلى هذا سار الدعاة من بعدهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ (١).

وقد بين سبحانه الهدف من خلق الخلق وجعل كل مقصود دون هذا المقصود مخالف لأصل الفطرة فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢).

وبهذا يتضح أن الله تعالى خلق الخلق ليعبده وحده لا شريك له، وليعظموا أمره ونهيه، وليعرفوه بأسمائه وصفاته، ولا سبيل إلى تحقيق هذا الهدف إلا بالدعوة إلى تحقيق أمره، واجتناب معاصيه ونهيه.

كما تبرز أهمية القيام بالدعوة في وضوح طريقها، وسمو أهدافها، ورفعة توجهاتها، وكمال شريعتها، والناس مفتقرون إلى هذه الدعوة العظيمة لدلائلهم على الخير وتثبيتهم على الرشد وتأسيس التوحيد في قلوبهم، وغرس أركان الإيمان في عقولهم، وتحذيرهم من طريق الهالكين، وإرشادهم لسبيل المؤمنين وحثهم على الفضائل، وزجرهم عن ارتكاب الرذائل والمحرمات وتحذيرهم من عواقبها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣).

وفي هذه الآية إخبار بأن سبيل المصطفى ﷺ ومسلكه وطريقه وكذلك من اتبعه بإحسان هو الدعوة إلى الله على بصيرة وهدى ونور.

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنها فرض على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقوم به غيره، وهذا شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ ما جاء به الرسول والجهاد في سبيل الله وتعليم الإيمان والقرآن...»^(١).

٢- فضل الدعوة إلى الله ومكانتها:

أ- فضل الدعوة إلى الله:

١- الدعوة إلى الله مفتاح كل خير يقرب من الله تعالى، لذلك لم يأل الأنبياء والمرسلون جهداً في القيام بها، فمن نظر سيرهم، وقصصهم في القرآن الكريم، وجد تضافر جهودهم على الدعوة، والبيان، والبلاغ عن الله تعالى في كل ما من شأنه إخراج الناس من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٢).
ويقول تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

والآيات في الحث على الدعوة إلى الله والترغيب في ذلك وبيان ما أعد الله للدعاة إليه من الثواب والأجر والرفعة في الدنيا والآخرة كثيرة جداً. ولا يقتصر فضل الدعوة إلى الله تعالى وخيرها على المدعو فقط، بل ينال الداعي منه خيراً كثيراً، فكل أعمال المدعو التي اهتدي إلى الدين بسبب دعوته هي صدقة جارية للداعي وقربة حسنة يتقرب بها إلى الله عز وجل كما قال النبي

(١) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٥/١٦٦.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١).

ومما يدل على فضل الدعوة إلى الله مدحه -جل وعلا- للقائمين عليها بقوله -عز من قائل-: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢) ولا يمدح المرء إلا على فضل.

٢- أنها مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام ومن سار على دربهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٣).

٣- عظم ثواب القائم بالدعوة إلى الله:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤).

وهكذا السنة النبوية ورد فيها أحاديث كثيرة دالة على فضل الدعوة إلى الله وعظم ثواب الداعين إليه ومنها:

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، ٢١٢/٤، برقم ٤٩٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة،

وعنه ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من حمر النعم»^(١).

ولا ريب أن هذا الثواب العظيم يحفز الهمم ويلهب الشعور ويحرك النفوس إلى القيام بالدعوة إلى الله والقيام بها على أحسن وجه.

٤- أنها من أبرز صفات المؤمنين قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢).

٥- أن القائم بالدعوة بإخلاص، وصحة في منهجه، هو من أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾^(٣).

٦- أن الداعي قائم بواجب النصح للمسلمين، كما جاء في حديث جابر - رضي الله عنه -: «بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٤).

ب- حاجة الناس إلى الدعوة:

الحاجة إلى الدعوة شديدة، لأن العقول البشرية لا تستطيع وحدها إدراك

٨/٦٢، برقم (٦٩٨٠).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، ٣/١٠٧٧، برقم (٢٧٨٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب، ٧/١٢٠، برقم (٦٣٧٣).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه، برقم ١١٩٨، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم: ١٠٩.

مصالحها الحقيقية التي تكفل لها السعادة في الدنيا والآخرة، كما أنها لا تهدي وحدها إلى أن تميز الخير من الشر فكثيراً ما يبدو لها الشر في لباس الخير فتقع فيه، وكثيراً ما ظهر لها الخير في صورة الشر فأعرضت عنه، ذلك أن الإنسان ليس كامل العقل والحواس، ومن ثم فإن مداركه ومعارفه مهما توسعت آفاقها تبقى قاصرة ومحدودة، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل وتنزلت الشرائع السماوية، وما أكثر ما ضلت الأمم وسقطت الحضارات نتيجة بعدها عن منهج الله وعدم تحكيم شرعه في الأرض^(١).

والأمة المسلمة اليوم بحاجة إلى الدعوة؛ لأن الدين الإسلامي جاء لصالح البشرية جمعاء، يهديها للخير ويدلها عليه، والبشرية محتاجة لسماع وحي ربها، والتمسك بهديه، وكلما ضلت عن دين ربها وتنكبت عن الصراط السوي، ازداد شقاؤها وتعس أربابها، وأوغلوا في طريق الغواية والانحلال.

إن هداية الناس للسبيل التي هي أقوم، ومعرفة أسباب الخلل ومحاولة إصلاح ما أفسده الناس بابتعادهم عن الوحي الإلهي مهمة لإعمار الكون ونشر معاني الفضيلة والقيام بمقتضى الخلافة للإنسان في الأرض عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فليس من الخافي على كل من له أدنى علم أن العالم الإسلامي اليوم، في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الصحيحة التي تشرح للناس حقيقة الإسلام وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه، وتشرح لهم معنى لا إلى إلا الله ومعنى الشهادتين، فإن أكثر الخلق لم يفهموا هاتين الشهادتين كما ينبغي، ولذلك دعوا

(١) محمد خير يوسف، الدعوة إلى الله ٢٤-٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

مع الله غيره وابتعدوا عنه وعن هديه ودينه، فهاتين الشهادتين هما أصل الدين وأساس الملة وقاعدة الإسلام التي عليها مداره^(١).

ج- العلاقة بين الدعوة وغيرها من علوم الشريعة:

لا جرم أن الدعوة علم، له قواعده، ومجالاته، ومضامينه، وغاياته، فلا يؤدي واجب الدعوة إلا بعلم، علم بالمنهج والأساليب، وعلم بالطرائق والوسائل، وعلم بحقائق الدين، وثوابته، ومقاصد الشرع، وغاياته، وعلم بوقائع العصر المتجددة، وعلم بأحوال المدعوين وأصنافهم.

والدعوة حتى تكون صائبة مثمرة يجب أن تكون على بصيرة وهي العلم المقترن بالإيمان، وهي الفطنة، والكياسة، والمعرفة، والاستنارة بنور الله، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢).

ولما كانت الدعوة إنما تكون إلى دين الله، وشرعه، وهديه، فإن غايتها أن يعبد الناس خالقهم وبارئهم وحده لا شريك له، ودينه وشرعه لا طريق إلى معرفته إلا بالوحي، وما يتفرع عنه من علوم الشريعة كالعقيدة، والفقه، والسيرة، والتاريخ... إلخ، وبهذا يعلم أن علاقة الدعوة بالعلوم الأخرى هي علاقة امتداد واتساق، فلا دعوة بغير شريعة، ولا شريعة بغير دعوة، وكلاهما من الدين، وهما معاً وحدة واحدة لا تتجزأ، فالدعوة تحيي ما اندثر من أمر الدين، والشريعة حاکمة ضابطة تعطي لأنماط الحياة وضروب السلوك الإنساني أحكاماً وتشريعات تضبطها وفق المعايير الشرعية العادلة.

(١) انظر: عبد العزيز بن باز، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن باز، ٢/٣٣٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

وإن فقه الدعوة يستمد مادته وغاياته من العلوم الشرعية المختلفة، ويجعل هذه العلوم بمثابة الأسس والمنابع، كما لا يغفل دور العلوم التجريبية الأخرى كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والعلوم الكونية، فيأخذ من كل بطرف مما يوافق الشرع، فهي بذلك أوسع العلوم دائرة، وأعزرها مادة؛ لأنها تنتظم أمور الدين والدنيا، تعلمًا وتعليمًا وأخذًا وعطاءً، تبشيرًا وإنذارًا، ترغيبًا وترهيبًا، تقويمًا وحسبة، ليتحقق الفلاح والفوز للبشرية جمعاء^(١).

وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على أهمية العلم للدعاة إلى الله، وأنهما مرتبطان ببعضهما ارتباطًا وثيقًا، وأكد الإسلام على مكانة العلم وأهله إذ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وأن العلم للدعوة بمثابة الروح للجسد ومن بيان أثر العلم في الدعوة ما يلي:

١ - بيان فضل العلم والعلماء:

أثنى الله - عز وجل - على العلم وأهله، ورتب لمن سار في طريقه الأجر والمثوبة، ورفعة الدرجات في الدنيا والآخرة، ومن إكرام الله - عز وجل - للعلماء استشهادهم بهم على أعظم مشهود به وأجله وهو توحيده، قرن شهادته بشهادتهم وشهادة الملائكة، فقال - عز وجل - قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٢).

قال ابن سعدي - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: «وفي هذه الآية فضيلة العلم والعلماء، لأن الله خصهم بالذكر من دون البشر، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيده ودينه، وجزائه، وأنه يجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة، وفي ضمن

(١) انظر: عبد الرب نواب الدين، مدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٠ وما بعدها. بتصرف واختصار.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

ذلك تعديلهم، وأن الخلق تبع لهم، وأنهم هم الأئمة المتبوعون، وفي هذا من الفضل والشرف وعلو المكانة ما لا يقدر قدره»^(١).

ويقول -عز وجل-: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢).

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله-^(٣): «يرفع الله الذين آمنوا منكم في الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيهما، والذين أوتوا العلم درجات أي: يرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا والثواب في الآخرة... ومعنى الآية أنه تعالى يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات، فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات ثم رفعه بعلمه درجات»^(٤).

ولاختلاف تلك المنازل والدرجات فإن الله -عز وجل- نفى التسوية بين أهل العلم والعامّة فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٥).

قال ابن رجب -رحمه الله-^(١): «يعني أنهم ورثوا ما جاء به الأنبياء من العلم فهم خلفوا الأنبياء في أممهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته والنهي عن معاصي الله والذود عن دين الله»^(٢).

(١) عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١/ ٢٦٥.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٣) هو: محمد بن علي الشوكاني ولد بهجرة شوكان باليمن، عام ١١٧٢هـ، عالم فقيه مجتهد، له العديد من المؤلفات منها: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، وفتح القدير في التفسير، وتوفي عام ١٢٥٠هـ انظر: ترجمته صديق القنوجي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، ٣/ ٢٠٥.

(٤) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير ٥/ ٢٣٢.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٩.

ولبيان عظم أمر العلم وأهميته الدنيوية والأخروية في حياة الفرد والمجتمع المسلم ولا شرف للمسلم إلا به يقول ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»^(٣).

ويبين لنا ﷺ أن العالم الذين ينشر علمه ويعلمه للناس له مثل أجر من عمل بهذا العلم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وهذه منة عظيمة، وفضل كبير فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»^(٤).

فالإسلام دين ينبذ الجهل ويحث على طلب العلم ويرتب الأجر والمثوبة على ذلك.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: «اعلم أن طلب العلم فريضة، وأنه شفاء للقلوب المريضة، وأن أهم ما على العبد معرفة دينه الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة، والجهل به وإضاعته سبب لدخول النار، أعاذنا الله منها»^(٥).

(١) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، ولد عام ٧٠٦، وكان عالماً محدثاً من مؤلفاته: شرح جامع الترمذي، وجامع العلوم والحكم، مات في شهر رجب عام ٧٩٥، انظر: أحمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٢/١٩٨.

(٢) عبد الرحمن بن رجب، شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم، ص ٤٦.

(٣) أخرجه الترمذي، السنن، رقم (٢٦٠٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٣٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ٢١٦/١٦، برقم (١٠١٧).

(٥) محمد بن عبد الوهاب، حاشية ثلاثة الأصول، ص ١٠.

وعلى هذا المنهج الرباني سارت الأمة في طريق العلم والتعلم والحث عليه ومعرفة قدر العلماء، والعلم المقصود به هنا هو العلم الشرعي الصحيح المستمد من الكتاب والسنة وبفهم السلف الصالح، وهو العلم الذي يوصل إلى تقوى الله ومراقبته وخشيته، ويدل على طاعة الله - عز وجل - ومعرفة حدوده وأحكامه، ويوصل إلى الجنة ويُبعد عن النار.

وكل ما ذكر في فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء الأبرار المتقين، الذين قصدوا وجه الله الكريم، والزلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه بسوء نية أو خبث طوية أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكانة عند الأتباع والطلاب فهذا قد أضع على نفسه خيراً كثيراً واشترى دنياه بآخرته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢- حاجة الدعوة إلى العلم:

للدعوة إلى الله أهمية كبيرة في حياة البشرية، ولا يمكن أن تكون الدعوة إلى الله مستوفية لشروطها وأركانها إلا بالعلم النافع القائم على الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة رضوان الله عليهم، فبه يكون تعليم الجاهل، وتنبية الغافل، وإظهار الحق، وبيان الدين المبين.

ويقول الآجري - رحمه الله -^(١) موضعاً مكانة العلم وأهمية طلب المسلم له ليرفع الجهل عنه نفسه وعن أمته: «فمن صفته - أي صفة طالب العلم - لإرادته في طلب العلم أن يعلم أن الله فرض عليه عبادته، والعبادة لا تكون إلا بالعلم، وعلم أن العلم فريضة عليه.

(١) هو: محمد بن الحسين الآجري، ولد ببغداد قبل عام (٣٣٠هـ) فقيه شافعي محدث، له العديد من المؤلفات منها: أخلاق العلماء، والشريعة، انتقل إلى مكة المكرمة وبها مات، انظر ترجمته: إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ١١ / ٢٧٠.

وعلم أن المؤمن لا يحسن به الجهل، فطلب العلم فريضة عليه، وعلم أن المؤمن لا يحسن به الجهل، فطلب العلم لينفي عن نفسه الجهل، وليعبد الله - عز وجل - كما أمره ليس كما تهوى نفسه»^(١).

فالعلاقة بين الدعوة والعلم من حيث المصدر والتلقي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، فمصدر الدعوة إلى الله هو مصدر العلم الشرعي، وهو الوحي المتمثل في الكتاب والسنة، إذ لا فهم صحيح للنصوص الشرعية بغير رجوع إلى هذين المصدرين إذ أن دين الله سبحانه لا طريق إلى معرفته إلا بهما.

وكل من عدل عن هذا المنهج، وتلقى الدعوة الإسلامية من غير هذين المصدرين، فقد ضل في طريقه بقدر بعده عن الأخذ منهما، وكان فهمه لمقاصد الدعوة فهماً ناقصاً، وذلك لانحرافه عن معرفة مصادرها الصحيحة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

قال النووي - رحمه الله -:^(٣) «فإن الاشتغال بالعلم من أفضل القربات وأجل الطاعات، وأهم أنواع الخير، وأكد العبادات، وأولى ما أنفقت فيه من نفائس الأوقات، وثمر في إدراكه والتمكن فيه أصحاب الأنفس الزكيات، وبإدراكه إلى الاهتمام به المسارعون في الخيرات، وسابق إلى التحلي به مستبقو المكرمات، وقد تظاهر على ما ذكرته جمل من الآيات الكريمة، والأحاديث الصحيحة المشهورات، وأقاويل السلف - رضي الله عنهم - النيرات، ولا ضرورة إلى ذكرها

(١) محمد بن الحسين الآجري، أخلاق العلماء، ص ٦٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٣) هو: يحيى بن شرف الدين النووي، ولد بقرية نوى ببلاد الشام عام (٦٣١هـ) أحد أشهر علماء الشافعية، له العديد من المؤلفات منها: شرح صحيح مسلم، منهاج الطالبين، توفي عام (٦٧٦هـ)، انظر: ترجمته في طبقات الحفاظ للسيوطي، ٥٣٩، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ١٣/٢٠٢.

هنا لكونها من الواضحات الجليات... ومن أهم أنواع العلوم تحقيق معرفة الأحاديث وذلك من نور النبوات...»^(١).

فقد جعل الإمام النووي -رحمه الله- طلب الحديث الشريف من أهم أنواع العلوم، وأنفسها وأعظمها طلباً، ومن أجل الطاعات ومن أكد العبادات لله تعالى، فلا بد أن تستقي الدعوة الإسلامية منهجها من مصدر العلم الشرعي؛ الوحي المتمثل في الكتاب والسنة -هو المنهج الحق- منهج أهل السنة والجماعة، فهم لا يعدلون بهذا المصدر بديلاً، ولا يرون له مثيلاً، فهو هدى الله الذي أنزله لهداية الناس وإصلاحهم وبناء الحياة على منهجه عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُمْ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُمْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾^(٢).

فالدعوة على جهل خلاف هدي المصطفى ﷺ، وكل من دعا إلى الله على جهل قد نصب نفسه موجهاً ومرشداً فلربما حرم أمراً حلالاً، أو أحل أمراً حراماً، ولربما ألصق بالدين ما ليس منه فيعرضها على غير حقيقتها مشوهة محرفة. والمقياس الذي يقاس به قوة تأثير الدعوة الإسلامية هو العمل على رد الناس إلى الدين الحق والجادة الصحيحة وفق منهاج النبوة ليعبدوا الله على بصيرة، وليس بكثرة الأتباع أو قلتهم ولا يكون ذلك إلا بالعلم، ولكن العلم إذا أهمل لم يلتزم بذلك فيضعف التأثير فالحق لا يعرف بكثرة الأتباع والفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية، فالأكثرية ليس لها اعتبار في نظر الشارع، فالإسلام يقرر حكم الله في كل مسألة، فأهل الحق إزاء أهل الباطل غرباء^(٣).

(١) النووي، شرح صحيح مسلم، ١/١١٦-١١٧.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٥٠.

(٣) مرزوق اليوبي، أثر العلم في الدعوة إلى الله، ١٦٧.

الفصل الأول

الجاليات في مدينة مكة المكرمة

المبحث الأول عناية الإسلام بالجاليات المطلب الأول

حث الإسلام على الهجرة في سبيل الله

أولاً: تعريف الهجرة لغة واصطلاحاً:

أ- الهجرة في اللغة: اسمٌ من هجر يهجر هَجْرًا وهِجْرَانًا^(١).

قال ابن فارس: "الهاء والجيم والراء أصلان، يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شد شيء وربطه. فالأول الهَجْر: ضد الوصل، وكذلك الهجران، وهاجر القوم من دار إلى دار: تركوا الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة"^(٢).

وضبط ابن منظور أيضًا لفظة الهجرة التي بمعنى الخروج من أرض إلى أرض بضم الهاء: الهُجرة^(٣). ويكون الهجر بالقلب واللسان والبدن^(٤).

ب- الهجرة شرعاً:

عرّفها غير واحد بأنها ترك دار الكفر والخروج منها إلى دار الإسلام^(٥). وأعم منه ما قاله الحافظ ابن حجر: "الهجرة في الشرع ترك ما نهى الله عنه"^(٦)، وذلك لقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(١)، وهي تشمل الهجرة الباطنة والهجرة الظاهرة.

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٨/٤٦٦٦.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٦/٣٤. ولم يذكر للأصل الثاني مثالا.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٨/٤٦١٧.

(٤) انظر: محمد المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٧٣٨.

(٥) انظر: علي الجرجاني، التعريفات، ص ٢٥٦، والراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٥٣٧.

(٦) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١/١٦.

فأما الهجرة الباطنة فهي ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء وما يزيّنه الشيطان، وأما الظاهرة فهي الفرار بالدين من الفتن^(٢).
وهناك من يهاجر إلى بلاد الحرمين لطلب الدنيا أو السفر لها من غير نية الجوار أو طلب العلم فهذه هجرة مباحة ولكن لا أجر له فيها إلا بحسب نيته وقصده.

وبالجملة فإن الهجرة في سبيل الله هي الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، كما انتقل المسلمون من مكة قبل إسلام أهلها إلى المدينة، لكونها صارت بلد إسلام بعد مبايعة أهلها للنبي ﷺ وطلبهم هجرته إليهم.
وتكون الهجرة أيضا من بلاد شرك إلى بلاد شرك أخف شرا، وأقل خطرا على المسلم، كما هاجر بعض المسلمين من مكة بأمر النبي ﷺ إلى بلاد الحبشة، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما ضاقت مكة وأوذي أصحاب رسول الله وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمه، لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلادته حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه»^(٣).
والخلاصة: أن الهجرة في سبيل الله لها ركنان هما:

١ - فعلي: وهو الانتقال بالنفس من بلد الكفر والمعصية إلى بلد الإسلام والطاعة.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ١ / ١٣، برقم ١٠.

(٢) انظر: أحمد بن حجر، فتح الباري ١ / ٥٤.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩ / ٩، رقم: ١٧٥١٢، وفي دلائل النبوة ٢ / ٣٠١، رقم: ٥٩٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٢ / ٢٣.

٢- قلبي: وهو أن يكون قصد هذا الانتقال ابتغاء وجه الله والسعي لإقامة شرائع الله وعبادته حق عبادته.

ثانياً: الأدلة الواردة في فضل الهجرة إلى الله:

الهجرة في سبيل الله سنة قديمة، ولم تكن هجرة نبينا محمد ﷺ بدءاً في حياة الرسل لنصرة عقائدهم، فلئن كان قد هاجر من وطنه ومسقط رأسه من أجل الدعوة حفاظاً عليها وإيجاد بيئة خصبة تتقبلها وتستجيب لها وتذود عنها؛ فقد هاجر عدد من إخوانه من الأنبياء قبله من أوطانهم لنفس الأسباب التي دعت نبينا محمداً ﷺ للهجرة.

وقد حث ديننا الحنيف على الهجرة في سبيل الله تعالى، والتحول من ديار الكفر إلى ديار الإسلام، وجاء في فضلها وبيان ثواب المهاجرين آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة. فمن الآيات الكريمة:

أ- الأدلة من القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: «يعني بذلك جل ذكره: إن الذين صدّقوا بالله وبرسوله، وبما جاء به، ويقولون: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الذين هجروا مساكنة المشركين في أمصارهم، ومجاورتهم في ديارهم، فتحولوا عنهم، وعن جوارهم وبلادهم إلى غيرها، هجرة لما انتقل عنه إلى ما انتقل إليه...، وإنما سمي المهاجرون من أصحاب رسول الله ﷺ مهاجرين لما وصفنا من هجرتهم دورهم ومنازلهم، كراهة منهم النزول بين أظهر المشركين وفي سلطانهم، بحيث لا يأمنون فتنهم على أنفسهم في ديارهم إلى الموضع الذي يأمنون ذلك...»

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

فمعنى قوله إذا: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: والذين تحولوا من سلطان أهل الشرك هجرة لهم، وخوف فتنهم على أديانهم، وحاربوهم في دين الله ليدخلوهم فيه، وفيما يرضى الله، ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: يطمعون أن يرحمهم الله فيدخلهم جنته بفضل رحمته إياهم^(١).

فهذه الأعمال الثلاثة أي: الإيمان، والهجرة، والجهاد هي عنوان السعادة، وقطب رحي العبودية، وبها يعرف ما مع الإنسان من الريح والخسران، فأما الإيمان فلا تسأل عن فضيلته... وأما الهجرة فهي مفارقة المحبوب والمألوف لرضا الله تعالى، فيترك المهاجر وطنه وأمواله وأهله وخلانه تقرباً إلى الله ونصرة لدينه، وأما الجهاد فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء، والسعي التام في نصرته دين الله وجمع دين الشيطان، وهو ذروة الأعمال الصالحة، وجزاؤه أفضل الجزاء، فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجين رحمة الله؛ لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة^(٢).

٢- وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقَاتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ بَاطِنًا مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(٣).

قال ابن كثير- رحمه الله-: «أي: تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والخلان والإخوان والجيران... وقوله: ﴿ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ إضافة إليه ونسبة إليه ليدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلاً كثيراً»^(٤).

(١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ٢/ ٣٥٥.

(٢) عبد الرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١/ ١٧٣-١٧٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ١٦٦.

فالهجرة في سبيل الله من أولويات عوامل التمكين لدعوة الحق، والانتقال بها إلى أماكن الأمن والسعة لتنشأ حتى تستوي على سوقها، وتؤتي ثمارها بإذن ربها، وهي قبل ذلك فريضة واجبة على كل فرد مسلم تعذر عليه إقامة دينه في أي بقعة كان ووجد حيلة أو وسيلة للهجرة من ذلك المكان الذي لا يقوم فيه أمر الدين.

ب- الأدلة من السنة النبوية:

وردت أحاديث كثيرة في فضيلة الهجرة في سبيل الله وأجر المهاجرين

ومنها:

- ١- قوله ﷺ: لعمر بن العاص رضي الله عنه: «أما عملت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟! وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟! وأن الحج يهدم ما كان قبله؟!»^(١).
- قال النووي رحمه الله: «فيه عظيم موقع الإسلام والهجرة والحج، وأن كل واحد منها يهدم ما كان قبله من المعاصي»^(٢).
- ٣- قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»^(٣).

قال ابن حجر - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: «والمعنى أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة انقطعت إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية، وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالفرار من دار

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: هل يؤخذ بأعمال الجاهلية، ١/١١٢، رقم (٣٣٦).

(٢) النووي، شرح مسلم، ٢/٤٩٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب وجوب النفير، وما يجب من الجهاد والنية، ٦/٣٩، رقم (٢٨٢٥٦).

الكفر والخروج في طلب العلم والفرار بالدين من الفتن والنية في جميع ذلك»^(١).

فلا يدل الحديث على انتهاء الهجرة، وإنما على انقطاعها في ذلك الأوان من مكة إلى المدينة وذلك أن مكة تحولت بالفتح من دار كفر إلى دار إسلام فانقطعت الهجرة منها بذلك، فالهجرة إذن من تمام توبة التائبين، ومن لوازم إقامة الدين، ولا تكاد دعوة من دعوات الحق تقوم إلا بها.

والهجرة إلى الله تعالى هجرتان، حسية ومعنوية، فالهجرة المعنوية: هي الهجرة من الكفر إلى الإسلام ومن البدعة إلى السنة ومن المعصية إلى الطاعة، وهذا هو مقتضى الهجرة إلى الله ورسوله والفرار منه إليه كما قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِيمٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٢).

ومما يدل على أن الهجرة لها منزلتها العظيمة من الإيمان أنها فرار في سبيل الإيمان، والإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا، وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم، والحكمة من اختبارهم أن يظهر للناس أنفسهم على حقيقتها في صدق الإيمان وضعفه، والفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية، في ميزان الله سبحانه وتعالى، كما أن الهجرة سنة ماضية ومستمرة لأهل الإيمان في مواجهة أهل الكفر وذلك لأن الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى يوم القيامة^(٣).

(١) المصدر السابق: ٦ / ٣٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

(٣) أحزمي سامعون جزولي، الهجرة في القرآن الكريم، ص ٦٨.

أما الهجرة الحسية فهي الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وهذه يختلف حكمها باختلاف الظروف والأوضاع، وهذا النوع هو الذي يتعلق بالجاليات الإسلامية المراد دراستها في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

وبعض المهاجرين في مكة المكرمة ممن ينطبق عليهم هذا النوع من الهجرة في سبيل الله لما لها من قداسة في نفس كل مسلم، وقد جعل الله أفئدة المسلمين معلقة بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأصبح الحج والعمرة مناسبة لاجتماع المسلمين من شتى بقاع الأرض على اختلاف ألسنتهم فكثير منهم هاجر بأهله خروجاً من ديار الكفر إلى ديار الإسلام، والآخرين منهم جاءوا إلى الرحاب الطاهرة ابتغاء ما عند الله ورجاء الفوز بالجوار في بلد الله الحرام، وتحصيل المرام، وقد حفظ لهم الإسلام حقوقهم وحث على نصرتهم والتعاون معهم، ورعايتهم حتى يبلغوا مأمنهم، ويحصلوا على مرادهم.

المطلب الثاني مكانة الهجرة في الإسلام

للحجرة في الإسلام مكانة عظيمة، ومنزلة كبيرة في القرآن الكريم، فقد أمر بها بألفاظ متعددة، وصيغ مختلفة، وأساليب متنوعة، مرة بالأمر الصريح، وأخرى بالإخبار وحيناً بالوعد، وتارة بالوعيد، مما يدل على عناية الإسلام بالحجرة وتأكيد لها وبيان أهميتها لمن انطبقت عليه شروطها وضوابطها الشرعية، والآيات والأحاديث في ذكرها متضافرة ومنها:

أ- الأدلة من القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١).

قال الشوكاني - رحمه الله -: «استدل بهذه الآية على أن الهجرة واجبة على كل من كان بدار الشرك أو بدار يعمل فيها بمعاصي الله جهاراً، إذا كان قادراً على الهجرة ولم يكن من المستضعفين، لما في هذه الآية من العموم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وظاهرها عدم الفرق بين مكان ومكان، وزمان وزمان»^(٢).

فكل هجرة لغرض ديني - من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيها المرء طاعة الله أو قناعة وزهداً في الدنيا أو ابتغاء رزق حلال طيب - فهي هجرة إلى الله ورسوله، وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد وبخت الذين رضوا أن يقيموا مع الكافرين في ذلة وهوان مع قدرتهم على الهجرة،

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٥٠٥.

وتوعدتهم على ضعف إيمانهم، بسوء المصير، وحرصت المؤمنين في كل زمان ومكان على الهجرة في سبيل الله بأسمى ألوان التحريض وأشدّها، ووعدت المهاجر من أجل إعلاء كلمة الحق بالخير الوفير، والأجر الجزيل وأن من أدركه الأجل في طريقه فقد وقع أجره على الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ويقول تعالى مبيّنًا الثواب العظيم للمهاجرين: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَن تَبَّ بِعَصِيَّتِكُمْ مِّنْ بَعْضِ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١﴾.

قال محمد رشيد رضا - رحمه الله -^(١) في بيانه لمعاني الآية الكريمة: «هكذا يذكر الله تعالى صفات المؤمنين لينبهنّا إلى أن نرجع إلى أنفسنا ونمتحنها بهذه الأعمال والصفات، فإن رأيناها تحتمل الإيذاء في سبيل الله حتى القتل فلنبشرها بالصدق منها والرضوان منه تعالى، وإلا فعلينا أن نسعى لتحصيل هذه المرتبة التي لا ينجي عنده غيرها، وإنما كلف الله المؤمنين الصادقين والموقنين المخلصين بهذا التكليف الشاق؛ لأن قيام الحق مرتبط به وسعادتهم من حيث هم مؤمنون بقيام الحق وتأييده، والحق في كل زمان ومكان محتاج إلى أهله لينصروه على أهل الباطل الذي يقاومونه.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٢) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن شمس الدين القلموني الحسيني، ولد عام ١٢٨٢هـ ببلبنان، ثم انتقل إلى مصر وشهد انتقاله تحولاً كبيراً حيث أسس مطبعة المنار وهناك تعرف على كتب الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب له مؤلفات عدة منها: تفسير المنار، والوحي المحمدي، توفي في القاهرة عام (١٣٥٤هـ) انظر ترجمته: خير الدين الزركلي، الأعلام ٣١٨/١٣.

والحق والباطل يتصارعان دائماً ولكل منهما حزب ينصره فيجب على أنصار الحق أن لا يفشلوا ولا ينهزموا، بل عليهم أن يثبتوا ويصبروا حتى تكون كلمته هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى»^(١).

فغاية الهجرة في سبيل الله أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، فالحق يعلو ولا يعلى عليه، وقد جعل الله تعالى النصر مع الصبر على المشاق العظيمة، ودين الله غالب ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ب- الأدلة من السنة النبوية:

ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة تبين مكانة الهجرة في سبيل الله وعظم ثواب المهاجرين في سبيل الله ومنها:

١- ما رواه عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال: «يا ليته مات بغير مولده! قالوا ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: «إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة»^(٢).

ففي هذا الحديث بيان لمنزلة الهجرة في الإسلام وأن المهاجر في سبيل الله يكتب له من الثواب والأجر الجزيل بسبب هجرته إلى الله ما دامت نيته خالصة لوجه الله الكريم.

٢- قوله ﷺ لعمر بن العاص -رضي الله عنه-: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن التوبة تهدم ما كان قبلها، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها»^(٣).

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٤/٣٠٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/١٧٧، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب من مات غريباً، ١/٥١٥ برقم ١٦١٤، والبيهقي، شعب الإيمان ٧/١٧٢ رقم ٦٦٥، وصححه ابن حبان في المستدرک، ١/١٨٦.

(٣) أحمد في مسنده، ٤/٢٠٥ برقم ١٧٨٢٧، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٥/١٣١.

وفي هذا الحديث أيضًا يبين المصطفى صلى الله عليه وسلم مكانة الهجرة وأنها تهدم ما كان قبلها كما أن الإسلام يجب ما قبله وفي هذا ترغيب على الهجرة في سبيل الله ما قامت على الشروط الشرعية دون غلو أو خروج بها عن معناها الظاهر وفق ما شرع الله.

المطلب الثالث

الحقوق الواجبة تجاه الجاليات المسلمة

إذا ضيق على بعض المسلمين في أوطانهم ولم يعد لهم إمكانية إقامة شعائرهم والإتيان بأركان الدين رغم توسلهم لذلك بمختلف السبل؛ فإن أرض الله واسعة كما قال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١).

ويجب على باقي المسلمين نصرتهم ودفع الضر عنهم، وبذل الأسباب والوسائل اللازمة لاستضافتهم ومواساتهم، ومن الحقوق الواجبة تجاه أبناء المهاجرين من أبناء المسلمين ما يلي:

١ - المساندة والمؤازرة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢).

ذكر الله أصناف المؤمنين وقسمهم إلى ثلاثة أصناف:

أ- المهاجرون: الذين خرج من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصرة الله ورسوله وإقامة دينه.

ب- الأنصار، وهم من آمن من أهل المدينة إذ ذاك وآووا إخوانهم المهاجرين وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهم والمهاجرون بعضهم أولياء بعض.

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

ج- الذين آمنوا ولم يهاجروا، فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب، ولا في خمسها إلا ما حضروا فيه القتال، وأنهم مع ذلك يستحقون النصر في الدين إن استنصروا على عدوهم إخوانهم المسلمين إلا أن يستنصروا على قوم من الكفار بينهم وبين المسلمين ميثاق^(١).

٢- حق الولاية والنصرة:

الموالة: مصدر والى يوالي موالة.

ولفظ الموالة أعم من التولي، حيث أن الموالة المحبة والقرب^(٢).
فمعنى الموالة والتولي في أغلب الأحيان هو: المحبة، والمودة، والمتابعة، والقرب، والنصرة وكل هذه المعاني أراد الإسلام تحقيقها في واقع المسلمين وفي حياتهم العملية ومن أبرز مواضعها ولاية المهاجرين في سبيل الله ونصرتهم^(٣).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤).

فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض وهذه الولاية تتضمن المحبة والنصرة والإكرام والاحترام والتقدير وهو الواجب على المسلم تجاه أخيه المسلم في كل الأحوال وخاصة إذا كان مهاجرًا في سبيل الله فأرًا بدينه وأهله من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام كالجاليات ببلاد الحرمين.

(١) إسماعيل بن بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٢٨٦.

(٢) انظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص ١٠٦٤. مادة: ولي.

(٣) محماس بن عبد الله الجلعود، الموالة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، ١/ ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «الولاية: ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والتقرب وأصل العداوة: البغض والبعد.

فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معادياً له، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِي وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١).

فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حارب، ولهذا جاء في الحديث: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»^(٢) وأفضل أولياء الله هم أنبياءه وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم وأفضل المرسلين أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد»^(٣).

والخلاصة أن من الهجرة الواجبة أيضا الهجرة من بين ظهرائي المتظاهرين بالكفر والشرك، وارتكاب بعض المحرمات، وهو عاجز عن إظهار دينه، ولا قدرة له على الإنكار عليهم؛ فهذا هجرته فرض إذا قدر عليها، فإن تركها مع قدرته واستطاعته، فحكمه حكم من هو في بلدان المشركين المتقدم ذكرهم. فهو لاء يعادون، ويُبغضون على ما معهم من المعصية ويحبون ويوالون على ما معهم من أصل الإسلام، وهجر هؤلاء ومن تقدم ذكرهم إذا كان فيه مصلحة راجحة وردع لهم وزجر لأمثالهم، ولم يترتب عليه مفسدة، فهو جائز، والمسافر إليهم مرتكب أيضا حراما فيهجر بقدر ذنبه^(٤).

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب التواضع، ١١ / ٣٤١، برقم ٦٥٠٢.

(٣) أحمد بن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ١ / ١٠.

(٤) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الإيمان والرد على أهل البدع، ١ / ١٦٦.

٣- حق تعليمهم.

انطلاقاً من أن العلم فرض على كل مسلم ومسلمه وباعتباره هدفاً أساسياً من أهداف المجتمع الإسلامي الذي ينشد القوة والمنعة، وجب على الدول الإسلامية المستضيفة للجاليات الإسلامية كفاءة علمهم وتنظيم تعليمهم^(١). لذا حرصت حكومة المملكة العربية السعودية على تبني تعليم أبناء الجاليات الإسلامية، وتبني تنظيم تعليمهم، وضمهم تحت إشراف وزارة التربية والتعليم إشرافاً مباشراً، ومساعدتهم في توفير المقررات الدراسية، ووضع الخطط والمناهج، مع الإشراف عليهم إشرافاً مباشراً، إحقاقاً لواجبها تجاه أبناء العالم الإسلامي، وامتداداً لرسالتها الدعوية التي تنطلق من الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة^(٢).

٤- حقوق معاشية:

ومنها حقهم في التكسب، والتملك، والتطبب والعلاج، والإيواء، والمواساة، وإعانتهم، واحتمال المشاق عنهم، والظفر بمن ظلمهم، والانتقام لهم بما أمكن ومشاركتهم بالنفس والمال والجاه حتى يفرج الله عنهم، ويفتح عليهم^(٣).

ولقد أعطى الإسلام للإنسان حق التنقل واللجوء والهجرة داخل حدود البلاد الإسلامية أو خارجها لأسباب عدة منها: النظر في ملكوت الله لمعرفة عظمته جل وعلا، أو لأداء واجب ديني كالحج والعمرة والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، أو زيارة المسجد الحرام والمسجد النبوي، أو المسجد الأقصى أو للتعرف في الدين، أو لتحقيق نفع دنيوي كطلب الرزق، وطلب العلم أو العلاج، أو

(١) انظر: صبحي عبده سعيد، الإسلام وحقوق الإنسان، ص ٢٥١.

(٢) هيئة الإشراف على مدارس الجاليات، كتيب تعريف، ص ١.

(٣) للاستزادة انظر: موسى بناي العليلي، الهجرة والنصرة في القرآن الكريم، ص ١٠٧ وما بعدها.

زيارة الأصدقاء، أو السياحة والترويح عن النفس، ومنها التنقل بقصد اللجوء أو الهجرة من بلد الكفر إلى بلاد الإسلام لإقامة شعائر الدين، كما أعطى الإسلام للإنسان حق المواطنة في أي بلد مسلم، كما أعطى الإسلام للأقليات المسلمة داخل ديار المسلمين حق العناية الاقتصادية بها قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١).

فبلاد الإسلام عامة هي المأوى الشرعي لكل مسلم، والدخول إلى دار الإسلام حق شرعي لكل مسلم على المسلمين جميعاً، لا على بلاد الحرمين الشريفين -وحدها- وإنما على كل دول العالم الإسلامي من المحيط إلى المحيط^(٢).

والأمة الإسلامية اليوم مطالبة شرعاً بالانتصار للمستضعفين والمظلومين من أبناء المسلمين ومن غير المسلمين، وهي في عملها هذا تزاول حقها المشروع في دفع الظلم عنها وعن أفرادها وعن سائر العالمين، فلا عبرة بأي قوانين وضعية لا تقيم للعدل ومنهاجه وزناً أو اعتباراً، في الوقت التي تتجاوز فيه الدول العظمى كل الأنظمة والقوانين التي وضعتها وقررتها في قوانين الأمم عندما تجد أنها لا تخدم مصالحها ومصالح عملائها في الاستيلاء على حقوق الآخرين.

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٢) انظر: حسن عابدين، حقوق الإنسان وواجباته في القرآن الكريم، ص ٧٩ وما بعدها.

المبحث الثاني لمحة موجزة عن الجاليات الإسلامية بمكة المكرمة

المطلب الأول المقصود بالمجاورين

المجاورة: الجار هو الذي يجاورك، تقول جاورته مجاورة وجوار وجوارا والكسر أفصح، قال ابن منظور: أما المجاورة بمكة والمدينة فيراد بها المقام مطلقاً غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي^(١)، فمكة هي البلد الأمين، وكعبتها المقدسة وجهة كل مسلم، ومقصد كل مؤمن وخصت مكة بأن كانت قبلة المسلمين تتطلع إليها الأفتدة من كل مكان فامتزج أهلها بالوافدين المقيمين ليكون هذا رافداً ومعيناً يمدهم به العلماء من البلاد الإسلامية الأخرى يغذي مسيرتهم، ويواكب نهضتهم، وهذه المظاهر المكانية والسكانية التي تختص بها مكة المكرمة أثرت تأثيراً واضحاً في رجال العلم بها فصاغتهم صياغة متميزة فكراً وسلوكاً^(٢).

وتعتبر المجاورة في مكة المكرمة ظاهرة دينية واجتماعية، اقتضتها قدسية المكان وشرفه وفضيلته، وأملتها رغبة بعض المسلمين من مختلف الفئات قضاء فترة من الزمن في رحاب مكة وجوار البيت الحرام، وهي تمتد وتقصر حسب رغبة المجاور ودوافعه وأهدافه والظروف المحيطة به.

والمجاورون في مكة ليسوا من بلدة واحدة، بل من مختلف أقطار العالم الإسلامي نظراً لما تتمتع به بلاد الحرمين الشريفين -حفظها الله- من الاستقرار والأمن والهدوء، مع اهتمام ولاية أمورها بحماية من يهاجر إليها، ويفد عليها،

(١) انظر: إسماعيل الجوهري، الصحاح، ٦١٧/٢ مادة: جور. وابن منظور، اللسان، ٧٤٢/٢ مادة: جور.

(٢) انظر: عبد الوهاب أبو سليمان، الحرم الشريف الجامع والجامعة، ١٠٧.

وتسهيل الإقامة لطلبة العلم الذين يقدون عليها من كل حدب وصوب بل ويقدمون لهم المساعدات المالية، والمكافآت الشهرية للمتظمين منهم ضمن المعاهد والدور ناهيك عن الحلقات العلمية التي تعقد في جوانب المسجد الحرام في الفقه، والحديث، والأصول، والتفسير، ويستطيع أي طالب علم يلمس في نفسه القدرة على التفقه في الدين التعلم والتعليم^(١).

(١) انظر: أميرة مداح، دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة، ٢٧٠-٢٧١.

المطلب الثاني

دوافع المجاورة في مكة المكرمة

أ- أسباب المجاورة بالبلد الحرام:

كانت فكرة الإقامة بمكة المكرمة ومجاورة الحرم المكي أمنية غالية لكل المسلمين سواء كانوا علماء أم طلاب علم، لما في المجاورة من الشرف والمكانة والأجر والمثوبة فكان من بين المجاورين نخبة من العلماء وطلبة العلم الذين أقاموا بمكة لسنوات عديدة أو طيلة حياتهم لطلب العلم وتعليم العلوم الشرعية والناظر في تاريخ مكة المكرمة على مر العصور يلمس تأثر الحياة العامة في مكة بتلك الهجرات المتعاقبة، وقد جاور بها خلق كثير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وبلغ تعداد من سكنها من الصحابة أربعة وخمسين ومات بها كثير من الصحابة -رضوان الله عليهم-، كما جاور بها جم غفير من التابعين^(١).

فالمجاورون في السابق هم تلك النخبة من العلماء المسلمين ومن طلبة العلم الذين رغبوا في الإقامة في رحاب البيت العتيق لسنوات محددة، أو طيلة حياتهم لأسباب شتى بين طلب الرزق وطلب العلم وابتغاء ما عند الله من الثواب العظيم، والتنعم بالإقامة بجوار بيت الله الحرام فيجد في مكة الراحة والبركة وأمنًا للنفس والبدن.

وقد زادت حركة المجاورة والبقاء في الحرمين الشريفين للتفرغ للعلم والتعلم في ظل حكومة المملكة العربية السعودية بعد افتتاح الجامعات الإسلامية والعلمية في مكة المكرمة والمدينة المنورة ومنح أبناء المسلمين فرصة التزود من العلوم الشرعية في جو من الراحة والطمأنينة وهو ما جعل مكة اليوم واحدة من

(١) انظر: أحمد بن عبد الله محب الدين الطبري، القرى لقاصد أم القرى، ص ٦٦٠ وما بعدها.

البلدان التي تشد إليها الرحال لطلب العلم والمعرفة في معاهدها وحلقها وكلياتها الشرعية وهو ما سآبينه مفصلاً فيما يلي:

١ - الدافع الديني:

حيث الفضل العظيم في ثواب الأعمال الصالحة ومضاعفة الحسنات، وفضيلة المتابعة بين العمرة والعمرة إلى غيرها من أعمال الخير ووجوه البر، فكان الجوار بالنسبة لهذه الفئة من المجاورين يعد ملاذاً للمسرفين على أنفسهم، والعائدين إلى الله حيث يجدون في مجاورتهم الصفاء وزيادة الإيمان بالإقبال على فعل الطاعات بالبلد الحرام، والتمتع بالبيت العتيق.

فقد شرف الله تلك البقاع بأن جعل بيته الحرام فيها، كما قال سبحانه وتعالى في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(١).

وقد ميز الله البلد الأمين بمزايا عظيمة ومنها:

أ- أن المسجد الحرام هو أول بيت وضع للعبادة على وجه المعمورة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(٢)، ففيه من المصالح الدنيوية والأخروية والأمن النفسي لكل من دخله أو أقام فيه، لذا جاء تحريم مكة من الله تعالى ضماناً لتحقيق الأمن فيها ولم يترك تحريمها إلى الناس ليكون الأمن فيها ربانياً إلهياً لا بشرياً إنسانياً.

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية: ٩٦.

ب- إضافة البيت الحرام إلى المولى جل وعلا: فقد أضاف سبحانه وتعالى البيت الحرام إليه وهذا يقتضي التشريف والإكرام والإجلال والتعظيم، قال تعالى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١). ما يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره، لكونه بيت الله فيبذلان جهدهما ويستفرغان وسعهما في ذلك فالإضافة السبب الجاذب لقلوب الناس إليه.

ج- إن الله جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً، وجعل سبحانه البيت العتيق محلاً تشتاق الأرواح وتحن إليه ولا تقضي منه وطراً ولو ترددت إليه في كل موسم قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(٢).

قال القرطبي - رحمه الله -^(٣): «أضاف البيت إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم، وهي إضافة مخلوق إلى خالق، ومملوك إلى مالك»^(٤).

فإن الله - سبحانه وتعالى - قد جعل هذا البيت مثابة للناس يثوبون إليه، ولا يشبعون من المجيء إليه، بل كلما رحلوا عنه أحبوا الرجوع إليه والإقامة فيه، والمثابة إليه لما جعل الله في قلوب المؤمنين من المحبة له والشوق والحنين الدائم إلى المجيء إليه.

فأخبر تعالى أنه جعل البيت مثابة للناس يثوبون إليه ولا يقضون منه وطراً فالقلوب عاكفة على محبته دائمة الاشتياق إليه متوجهة إليه من كل حذب وصوب وأضافه - جل وعلا - إليه بقوله أن طهرا بيتي وهذه الإضافة هي التي

(١) سورة الحج، الآية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٣) هو: محمد بن أحمد القرطبي، ولد بقرطبة بالأندلس، وهو إمام متفنن متبحر في علم التفسير له العديد من المؤلفات منها: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، توفي عام (٦٧١) انظر ترجمته: خير الدين الزركلي، الأعلام، ٥/ ٣٢٢.

(٤) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٣٧٧.

أسكنت في القلوب من محبته والشوق إليه ما أسكنت وهي التي أقبلت بأفئدة العالم إليه تلبية لنداء إبراهيم - عليه السلام^(١).

د- أن الصلاة في المسجد الحرام مضاعفة: وذلك من تمام فضل الله ومنتته على عباده فعن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا»^(٢).

قال ابن القيم - رحمه الله - عقب سياقه للحديث: «وهذا صريح في أن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق»^(٣).

هـ- الحج والعمرة: فقد جعل الله الحج والعمرة من مناسك عباده، وأوجب عليهم الإتيان إليه، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ﴾^(٤).

استجابة لنداء نبي الله إبراهيم عليه السلام حين أذن في الناس بالحج قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ﴾^(٥).

قال ابن حزم - رحمه الله -^(٦): «ثم جعل الله تعالى فيها تمام الصلاة والحج والعمرة فهي القبلة التي لا تقبل صلاة إلا بالقصد نحوها، وإليها الحج المفترض والعمرة المفترضة»^(١).

(١) انظر: محمد بن القيم، بدائع الفوائد، ٩٦٦/٤.

(٢) أحمد بن حنبل، في مسنده، ٣/٣٤٣، ٣٩٧، والبخاري في التاريخ الكبير، ٢٩/٤، وابن ماجه، ١/٤٥٠ حديث رقم (١٤٠٦)، وصححه المنذري في صحيح الترغيب والترهيب ٢/٢١٤، وقال ابن حجر: ورجال إسناده ثقات، فتح الباري ٣/٦٧.

(٣) محمد بن القيم، زاد المعاد، ٤٨/١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٥) سورة الحج، الآية: ٢٧.

(٦) هو: محمد بن علي بن حزم الظاهري، مولده بقرطبة، عام (٣٨٤) إمام فقيه، له العديد من

٢- طلب العلم الشرعي:

حظيت مكة المكرمة بمكانة ومنزلة عظيمة في العالم الإسلامي مما جعلها ملتقى لعلماء المسلمين من قديم الزمان وحديثه، خاصة في المواسم الكبرى والتي يلتقي فيها المسلمون على مختلف مستوياتهم العلمية والاجتماعية والاقتصادية.

وكان طلاب العلم في الحرمين الشريفين^(٢) من أهم الروافد في المرافق والمراكز العلمية، فكلما نبغت طائفة من أولئك الطلاب أخذت مواضعها إذا رجعوا إلى بلدانهم وقد تسلحوا بالعلم الصحيح والعمل النافع فهي نفحات البلد الأمين حيث فاضت فاض معها الخير والبشر والنور.

فكان الغالبية يقيم بأرض الحرمين الشريفين للمجاورة بعد موسم الحج تقريباً لله أولاً ثم للاستفادة علمياً من علماء الحرمين الشريفين -ومكة المكرمة- على وجه أخص إذ تعتبر مكة المكرمة محطة علمية لطلاب العلم والمعرفة وخاصة في موسم الحج حيث يلتقي علماء المشرق مع علماء المغرب، وعلماء كل علم بما معهم من كتب ومخطوطات ومؤلفات قيمة، ويجري في لقاءاتهم تبادل الآراء ومناقشة مختلف القضايا العلمية، فتعم الفائدة، ويتزود كل طرف بما وجده عند الآخرين، كما يجدونها فرصة مناسبة لنشر علومهم، وإبراز معارفهم، ومنح إجازاتهم العلمية لطلابهم في مكة أو الوافدين عليها من غير أهلها، مستفيدين من الخدمات والمزايا التي يتمتع بها سكان البلد الحرام.

المؤلفات منها: المحلى، والطوق والحمامة، توفي عام (٤٥٦)، انظر ترجمته: شمس الدين

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/١٤٨.

(١) أحمد بن حزم، المحلى، ٧/٢٨٨.

(٢) انظر: عبد الوهاب أبو سليمان، الحرم الشريف الجامع والجامعة، ص ٤٤.

وترتبط رحلات الحج والعمرة بالنواحي العلمية ارتباطاً وثيقاً معلوماً بأصل التشريع العام للحج والعمرة؛ وذلك لأنها تشتمل على مناسك لا يصح الحج إلا بها وعلى أركان وواجبات لا بد للحاج أو المعتمر أن يتعلمها ويبحث عنها، ويسأل ويباحث، وينظر، ويناقش، ويستفسر إلخ^(١).

فالدافع العلمي كان يشكل أبرز دوافع المجاورة بمكة، حيث كان العامل الرئيسي في إثراء الحركة العلمية فيها، خاصة أن النصوص الشرعية كما مر بنا تحث على طلب العلم والسعي إلى تحصيله، فكيف إذا كان المقصد والوجهة هي قبلة المسلمين ومهبط الوحي.

٣- الدافع الأمني:

جعل الله سبحانه وتعالى لبيته حرمة إلى قيام الساعة، فليس لأحد الحق في تدنيس طهارته أو الاعتداء على حرمة الله فيه، وكل من التجأ إليه فسيكون في مأمن وأمان، لا يتعرض له أحد بسوء قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَلَفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٢).

قال القرطبي - رحمه الله -: «والمعاصي تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات، فتكون المعصية معصيتين إحداهما بنفس المخالفة، والثانية بإسقاط حرمة البلد الحرام، وهكذا الأشهر الحرم سواء.. وهذا الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السوء فيه، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها إلا في مكة»^(٣).

(١) انظر: آمال رمضان صديق، الحياة العلمية في مكة، ص ١٩١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٥.

(٣) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤/٣٥٨.

فهذا البلد الأمين يتساوى فيه الناس ولا فرق بين أهله وبين المقيمين فيه فالعاكف المقيم به، والبادي الذي يحج إليه من غير أهله سواء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحِكْمِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(١).

ولم يحظ مكان في العالم الإسلامي بمثل ما حظيت به مكة بتجمع أبناء المسلمين بها، خاصة في مواسم الخيرات التي يلتقي فيها المسلمون على اختلاف ألوانهم وأعرافهم ومشاربهم.

فالأمن في مكة سببه عوامل ربانية خلقية، وأخرى تشريعية سلوكية، أما العوامل الخلقية الربانية فهي أسباب غير منظورة لكنها محسوسة مستشعرة يشعر بها القادم إلى مكة ويشعر بها عندما يقيم في الحرم، وقد كان لأبي الأنبياء - إبراهيم عليه السلام - الدور الأساسي في حصول الأمن في مكة لما دعا ربه قائلاً: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٢) فاستجاب الله دعاءه وطلبه بنشر الأمان في مكة مثبتاً ذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(٣).

ويقول تعالى ممتناً على عباده المؤمنين: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِوِّعُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤).

وقد كرر خليل الله إبراهيم - عليه السلام - طلب الدعاء لمكة بالأمن مرة ثانية عندما أمره تعالى بإسكان زوجته هاجر وابنه إسماعيل - عليهم السلام - جوار البيت العتيق حيث خاطب ربه قائلاً: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

(١) سورة الحج، الآية: ٢٥.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٧.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٧.

عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١﴾.

وكان بعض المسلمين كما هو حال الجالية البرماوية وبعض أبناء الجالية الأفريقية، يرى في المجاورة وسيلة للهرب من فتنة الاضطهاد والتهجير والقتل الجماعي، التي كانت تعصف في بلدانهم إبان خروجهم منها بحثاً عن الأمن النفسي والمعيشي والاقتصادي بفضل ما يجبي إلى هذا البيت من خيرات وما تحقق فيه من أمن وطمأنينة، وازداد أثره - بحمد الله - في ظلال دعوة التوحيد في عصرنا الحاضر ولا يزال مستمرًا حتى يومنا هذا.

٤ - الدافع السياسي:

يعتبر الدافع السياسي من الدوافع المهمة للجوار والهجرة إلى مكة المكرمة، ولكن لا يقصد به المجاورة من أجل الحصول على منصب سياسي؛ لأن المعروف عن معظم المهاجرين بعدهم عن الأطماع الدنيوية والمناصب السياسية وإنما الهجرة بدافع الضغوط السياسية في بلدانهم الأصلية خاصة بين الأقليات الإسلامية في آسيا وأفريقيا وغيرهما^(٢).

وقد لجأ إلى بلاد الحرمين مجموعة من قادة البلاد الإسلامية ومن عامة الناس الذين كانوا يعانون من ويلات الاستعمار الخارجي وتدخله في شؤون بلادهم، أو من الانقلابات والفتن الداخلية والخلافات السياسية في أوطانهم لأسباب مختلفة وعوامل عديدة وكذلك عزوفهم عن دخول الحياة السياسية في

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٢) يقصد بالأقليات المسلمة: مجموعة من عداد الأمة الإسلامية تعيش في مناطقها التاريخية، وتستقر في وطنها الأصلي الذي تنتمي إليه من الناحية العرقية، أو بالهجرة والاستقرار، وتحمل جنسية ذلك البلد أو الموطن من غير بلاد المسلمين، وهي تدين بدين الإسلام، انظر: وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية حقائق وأرقام، ص ١١٠.

البلاد التي يعيشون فيها؛ إما بسبب ضآلة عددها، وعدم مساندة غير المسلمين لهم، أو بسبب تشتتهم الديني والطائفي، وقد تؤدي هذه العوامل إلى ضعف صوتهم في المشاركة السياسية، وتشجيع غيرهم على الأخذ بزمام المبادرة، واستصدار قوانين سياسية لا تكون منصفة في حق هذه الأقليات المسلمة أو يترتب عليها مزيد من التهميش والعزلة لهم لذا يضطرون إلى مغادرة بلدانهم إلى بلاد المسلمين ومنها بلاد الحرمين، فيحصلون بذلك على الطمأنينة والأمن وينعمون بحياة رغيدة، خاصة أن الظروف السياسية التي عاشها العالم الإسلامي في منتصف القرن الرابع عشر شهدت انقلابات وحروباً مستمرة في بعض دول إفريقيا وجنوب شرق آسيا، ولجوء بعض قيادات تلك الدول إلى المملكة^(١). إن المجاورين والمقيمين في الأراضي السعودية يحظون بحماية الشريعة الغراء وينعمون بالاستقرار في مدنها ومحافظاتها المختلفة ويتمتعون بحقوق متساوية مهما تعددت دوافعهم للإقامة، وتفرقت مشاربهم^(٢).

٥- الدافع الاقتصادي:

يعتبر الدافع الاقتصادي من الدوافع المساعدة على الجوار في مكة حيث تعتبر من الأماكن التجارية المميزة نظراً لتواجد الحجاج والمعتمرين على مدار العام، وما فيها من البركة في الرزق والفضيلة في المكان والأجر وقد بين جل وعلا شيئاً من هذه المنافع بقوله - عز وجل - : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾^(٣).

(١) للاستزادة حول حقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية، انظر: خالد العمير، حقوق الإنسان

في النظام الأساسي للحكم، ص ١٩.

(٢) انظر: عزت مراد، المملكة العربية السعودية وحقوق الإنسان، ص ٩٨ وما بعدها.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٨.

قال محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - وقوله: ﴿مَنْ لَفَعَ﴾ جمع منفعة، ولم يبين هنا هذه المنافع ما هي، وقد جاء بيان بعضها في بعض الآيات القرآنية، وأن منها ما هو دنيوي، وما هو أخروي، أما الدنيوي فكأرباح التجارة، إذا خرج الحاج بمال تجارة معه، فإنه يحصل له الربح غالباً، وذلك نفع دنيوي، وقد أطبق علماء التفسير على أن معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١) أنه ليس على الحاج إثم ولا حرج، إذا ابتغى ربحاً بتجارة في أيام الحج، إن كان ذلك لا يشغله عن شيء من أداء مناسكه^(٢).

وقد عمد كثير من المهاجرين إلى البقاء بمكة معتمدين على الإمكانيات الكبيرة المتوفرة في بلاد الحرمين قديماً وحديثاً من حيث فرص العمل، وارتفاع مستوى الدخل، كما ساهم انتشار الأوقاف والبيوت الوقفية المخصصة لبعض البلاد الإسلامية في بقائهم لفترات مختلفة بمكة المكرمة، حيث يتوفر لبعضهم المسكن والملبس والمأكل من الأموال التي توزع في مكة المكرمة، ولا يعني هذا أن المجاورين والجاليات المقيمة بمكة هم عالة على المجتمع، بل على العكس؛ فقد ساهم المجاورون في النهضة العمرانية التي شهدتها المملكة - ولا تزال - كأيدٍ عاملة أمانة تحافظ على مقدرات البلاد وتساهم في نهضتها^(٣).

٦ - الدافع الدعوي:

حيث جعل الله البيت الحرام قياماً للناس وأمناً، ومنازلة لبث العلم ونشره بين الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٣٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(٢) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، ٧٠ / ٥.

(٣) انظر: محمد طاهر كردي، التاريخ القويم، ٦ / ٢٦٥، وللاستزادة حول دور الأوقاف في زيادة المجاورين بمكة المكرمة، انظر: أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص ٤٦٢ - ٤٦٣ و ٤٨٥ - ٤٨٦.

إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾.

فهو مهوى الأفتدة، ومنبع الرسالة، وميدان مهم لتبليغ دين الله إلى الخلق. والدعوة الإسلامية هي دعوة عامة لجميع البشر عربهم، وعجمهم، مسلمهم وكافرهم، فهي رحمة للعالمين، وهداية للناس أجمعين.

فالحج: باب مؤتمر إنساني عام، عند الحرم الآمن، والبيت العتيق، تلبية لنداء الله واستجابة لأمره وتحقيقاً للمنافع المشتركة، وتكريماً للإنسانية ممثلة في وفودها، التي تعود مزودة بمبادئ الخير والرشد، حاملة أمانة الهدى والحق، ناشرة في أوطانها أسباب المودة والرحمة، فهي مبادئ تجد فيها معاني الوحدة الإسلامية العظيمة، ومشاعر الجسد الواحد في الأمة الواحدة مما يجعل أمر الدعوة بينهم ميسوراً، والقيام بالنصح والإرشاد بينهم لازماً^(٢).

ولكثرة من يفتد إلى هذه البقعة المباركة من الناس، وحاجتهم إلى معرفة أمور دينهم، والاطلاع على العلوم الإسلامية المختلفة، وتعلق القلوب بها كان الدافع الدعوي لبعض المجاورين وهو أبرز الدوافع لاستقرارهم وإقامتهم في البلد الأمين، لما للدعوة إلى الله من فضل ومكانة عظيمة في نفوس المسلمين، ولا تتأتى هذه الفضيلة إلا بالرغبة في طلب العلم، والبصيرة بين يدي العلماء المتخصصين، لأن الدعوة الإسلامية دعوة هادفة مثمرة، تسعى إلى تحصيل الخير للمجموع البشري عامة، ولقاصدي البيت الحرام على وجه الخصوص^(٣).

(١) سورة البقرة، الآيتين: ١٢٧، ١٢٨.

(٢) انظر: محمد الرواي، الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية، ص ٥٠.

(٣) انظر: إبراهيم السماري، إنجازات المملكة في خدمة الإسلام، ٧/ ٧٠٩.

المطلب الثالث

المجاورون بمكة وأثرهم في الحياة العلمية

كانت المجاورة من أهم المظاهر التي ساعدت في اصطباغ مكة المكرمة بالصبغة العلمية المتميزة، إذ شكلت المجاورة كما سألين - لاحقاً - بإذن الله فرصة لتجمع نخبة من علماء المسلمين من كافة أنحاء العالم، مع ما في هذا التجمع من حمل للكتب والمصنفات المختلفة وإثراء للمكتبات الإسلامية بشتى المؤلفات العلمية، فقد كون المجاورون قديماً بالبلد الحرام جامعةً تضم مختلف التخصصات التي ينهل منها طلاب العلم ما يشاءون من علماء وهبوا أنفسهم لخدمة العلم والدين، وكانت لإقامتهم في المسجد الحرام دور بارز في جعله مركزاً للعلم والثقافة والمعرفة.

ولم يقتصر نشاط مكة العلمي على حلقات الدرس فيها، فقد رحل كثير من فقهاءها إلى أمصار العالم الإسلامي، فشرروا علومهم، ورووا أحاديثهم، إضافة إلى أنها كانت مفتحة الأبواب للجميع، يقصدونها من سائر الأقطار لينهلوا من علومها ويغترفوا، وكانت مجامعها في مواسم الحج غاصة بالمسترشدين والمستفتين والمناقشين، وكانت مجالس المناظرات تعقد في بيوت فقهاءها، وفي حلقاتهم من المسجد، فتجد من غزارتهم العلمية ما يروي ظمأ السائلين والمناظرين، فكان المسجد الحرام يرمز بالعلم والعلماء، ويزخر بالآلاف من الطلاب الذين جاءوا إليها من كل الأقطار، وكان العلماء في المسجد الحرام لا يتقاضون راتباً معيناً لقاء دروسهم التي يقومون بها في المسجد الحرام، وكانوا لا يأخذون من الطلبة صدقة أو زكاة؛ لأن تعليمهم الطلاب كان لوجه الله، وفائدتها لعامة المسلمين، ولم تكن

مقتصرة على أهل مكة فقط، فالمسجد الحرام ما زال حتى الآن منهلًا لطلاب العلم يقصدونه من جميع بلاد العالم^(١).

أ- خصائص الحركة العلمية بمكة المكرمة:

كانت مكة -ولا تزال- منارة للعلم، وقبلة للمتعلمين يفدون إليها من كل حذب وصبوب لينالوا فيها نصيبًا وافراً من العلوم الشرعية، وينعموا بالجوار الآمن في البلد الأمين، وكان لتوافد المسلمين إليها ومنهم العلماء وطلاب العلم أثر في جعلها مركزًا للعلم على مدار السنين يزداد نشاطها ويضعف تبعًا للأحوال السياسية والاستقرار الاقتصادي لها.

ومن هذه العوامل:

- ١- الفضائل الدينية لمكة المكرمة وأثرها في توافد الناس من كل حذب وصبوب ليشهدوا منافع لهم، فهي مهبط الوحي، وبها بيت الله الحرام، والكعبة المشرفة وهي ينبوع الأول للعلوم والمعرفة.
- ٢- اقتران الحج بطلب العلم: حيث شكل الحج للبيت العتيق أداة من أدوات التواصل والالتقاء بين علماء العالم الإسلامي في مكة المكرمة مما جعلها مكانًا ملائمًا لتجمع النخبة الثقافية.
- ٣- شهرة العلماء المكيين: والتي أسفرت عن تزايد إقبال علماء المسلمين وطلاب المعرفة للتشرف بأخذ العلم منهم.
- ٤- رغبة العلماء في مجاورة الحرم المكي؛ لما تتيحه هذه الفرصة لهم من تفرغ علمي وديني.
- ٥- وجود المكتبات العامرة بنفائس الكتب؛ والتي كانت حصادًا للعلوم الشرعية لتراث المكيين وغيرهم من المجاورين^(٢).

(١) خالد المنديلي، الدور التربوي للمسجد الحرام، ص ٨٩-٩٠.

(٢) عنبرة الأنصاري وآخرون، ملامح عن التعليم في مكة المكرمة، ١٢٦-١٢٧.

٦- التقاء نخبة من أهل العلم في مواسم الطاعات كالحج والعمرة وهذا ما يسهم في تلاقي الدعوة بهم، وانتشار العلم بينهم، واستعراض الحلول المثلى للمشكلات التي قد تواجههم.

ب- دور المجاورين في الحركة العلمية بمكة المكرمة:

للمجاورين في المجتمع المكي آثار علمية عظيمة، تعلمًا وتعليمًا ولديهم خصائص فكرية وسلوكية تميزوا بها، وأثرت كثيرًا في مسار الحركة العلمية بالبلد الأمين ومن هذه الخصائص الفكرية والسلوكية:

١- تنوع العلوم وتعدد المعارف: فقد عُرف عن علماء البلد الحرام من الساكنين أو المقيمين مشاركتهم في العلوم الشرعية، والأدبية، وغيرها^(١).

وكانت ساحات المسجد الحرام تشهد العديد من هذه المناشط الدعوية والتعليمية ومن أبرز خصائص علماء البلد الحرام ما يلي:

٢- الاجتهاد وترك التقليد: فقد كانت نظرة علماء البلد الحرام نظرة اعتدال وإنصاف، وتقدير وإجلال، وذلك لاحتمكاكهم بعلماء من الدول الإسلامية، وكانت منازل العلماء عامرة بالندوات والمذكرات العلمية، وغالبًا ما تطول إقامة هؤلاء المجاورين بمكة فتعظم الفائدة منهم.

٣- التقليد المتبصر: ويقصد به الاجتهاد داخل المذهب فقد كانوا في تقليدهم على معرفة وإدراك للدليل وللمسائل التي يقررونها في مذاهبهم، وهم في مستويات متفاوتة، ذلك أن برامج دراستهم لم تكن مقتصرة على الدراسات الفقهية فحسب بل كانت تسير جنبًا إلى جنب مع تدريسهم للتفسير، ودواوين السنة المطهرة، وأصول الفقه، واللغة العربية وغيرها^(٢).

(١) منهم: الشيخ قطب الدين الحنفي، ثم عبد الكريم القطبي، والشيخ عبد الحق السنباطي، وغيرهما.

(٢) عبدالوهاب أبو سليمان، الحرم الشريف، ص ٨، وفيه ذكر لعدد من المشايخ مع قصص معاصرة

ومن الخصائص السلوكية التي تميز بها علماء مكة من المجاورين وغيرهم رفعهم لشعار العلم للعمل وهو شعار لكل فقيه وعالم ومدرس بالمسجد الحرام.

٤- الزهد والورع: فكل من قدر على تولي مناصب دينية أو إدارية ولم يتخذة وسيلة للكسب أو استغلال نفوذه في مآربه ومصالحه الخاصة فهو زاهد ورع، يبتغي ما عند الله ويرجو ثوابه هذا رغم هجرة بعضهم إلى البلد الأمين بلا أموال كثيرة^(١).

٥- الالتزام بمنهج السلف: وهو الالتزام فيما يأخذون ويدعون، وكرههم الشديد للابتداع في الدين ومحاربتهم لها في المجتمع قدر ما يستطيعون^(٢).

٦- حث الطلاب على الاستقامة والعمل الصالح فلم تكن دروسهم لملء عقول الشباب بالعلوم فحسب بل كان القصد منها التوجيه والتهذيب، وتنشئتهم على الاعتزاز بالعلم وعدم استغلاله في التكسب به أو الوصول إلى المناصب.

إلى غيرها من الصفات والميزات التي تميز بها علماء البلد الحرام من المجاورين أو من أهلها من العلماء الطيبين فقد كانوا قريبين جداً من قلوب الناس وعقولهم، محبوبين إلى عامتهم في غير تملق أو نفاق، ولهم في نفوس العامة - فضلاً عن الوجهاء- مكانة كبيرة لرحمتها الإجلال والتقدير^(٣).

ولقد ساهمت المجاورة في استمرار عقد الحلقات الدراسية والمناظرات الدينية والعملية في مكة المكرمة، مع منح الإجازات من طرف العلماء المجاورين

لهم حينما كان الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- رئيساً لجهاز الإشراف الديني بالمسجد الحرام، ص ١١٣.

(١) انظر: المصدر السابق، ١١٤-١١٥.

(٢) انظر: أميرة مداح، فقد عدت أسماء كثيرة من هؤلاء العلماء ممن تميزوا بسعة أفقهم، وعظيم مكاتبتهم لدى الناس منهم: الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عياش، والشيخ محمد بن أبي بكر العسقلاني، وغيرهما: ٣/ ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) انظر: عبد الوهاب أبو سليمان، الجامعة والجامعة ١٠٧-١٢٣ بتصرف واختصار مني.

بمكة المكرمة، حيث دأب العلماء المجاورون بمكة المكرمة على منح طلبتهم إجازات علمية؛ اعترافاً بانتهاهم من السماع وأخذ الدروس، ولتمكينهم من عقد حلقات علمية تخصصهم فيما بعد.

وخلاصة القول: أن العلماء المجاورين بمكة المكرمة كانوا -ولا يزالون- ظاهرة علمية فريدة ساهمت في جعل مكة محطة أنظار المسلمين وطلبة العلم والمعرفة، ومركز إشعاع ثقافي حتى أصبحت مجمعاً للعلماء من كافة أصقاع العالم الإسلامي، فانتشرت واستوطنها العلماء المجاورون، فأخذوا يعقدون بها الحلقات الدراسية والمناظرات الفكرية، كما قصدوا الطلاب للحصول على شهادات علمية وحملوا منها أمهات الكتب إلى أقطارهم، مما ساهم في جعل مكة المكرمة تتبوأ مكانة الريادة العلمية وتصبح بلا منازع عاصمة للعلوم والمعرفة إلى قيام الساعة^(١).

(١) انظر: عنبرة الأنصاري وآخرون، ملامح عن التعليم بمكة، ص ١٢٧.

المبحث الثالث أنواع الجاليات الموجودة بمكة المكرمة

المطلب الأول أنواع الجاليات بمكة

شكل المجاورون باختلاف أجناسهم، وتعدد مشاربهم وتنوع ثقافتهم على مر العصور التاريخية جزء لا يتجزأ من المجتمع المكي، سيما من أطال البقاء مجاورًا، أو قرر الاستيطان الدائم في مكة، حيث اختلط هؤلاء بأهل مكة الأصليين، فأثر كل طرف على الآخر، كما امتد تأثير المجاورين في مكة أيضًا إلى الحياة العامة سواء منها ما يتعلق بالجوانب السياسية، أو المناحي الحضارية، ولكن هذا التأثير ارتبط في الغالب بالظروف والمؤثرات المحيطة بالمجتمع داخليًا وخارجيًا.

وقد رام الاستقرار في مكة الكثيرون من أبناء العالم الإسلامي من بلاد المشرق الإسلامي، والعراق، والأندلس بعد سقوط الخلافة الإسلامية فيها، واليمن ودول المغرب العربي، ومن دول جنوب وشرق آسيا، وآسيا الوسطى ففر كثير منهم بدينهم، والقليل بدينهم إلى الحجاز لبعده هذه البلاد عن ضغط الأوربيين في ذلك الوقت واستقلالها بأحكام الدين^(١).

وكان من بين هؤلاء المجاورين: العلماء والأمراء والتجار وطلبة العلم والعمال، وقد تنوعت رتبهم وأوضاعهم الاجتماعية بحسب أسباب هجرتهم ومنهم من استقر بهم المقام بالبلد الحرام وشغلوا العديد من المناصب والوظائف الدينية والعلمية في مكة الرسمية منها وغير الرسمية - قبل العهد السعودي -

(١) انظر: أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص ٥٦٧-٥٧٠، وللاستزادة انظر: أحمد الطبري، القرى لقاصد أم القرى، ص ٦٦٠-٦٦٣.

ومنهم من نال نصيباً وافراً من المجاورة وتحصيل المراد وعاد إلى بلده بعد انتهاء مجاورته^(١).

كما كان للمجاورين دورٌ بارز في ازدهار التجارة والصناعة والبناء في بلاد الحجاز عامة وفي مكة المكرمة على وجه الخصوص^(٢).

ومن بين الجاليات التي وفدت على مكة المكرمة في العهد السعودي الزاهر: الجالية البرماوية والجالية الإفريقية ولكل منها ظروفه وأسبابه التي دعتة للمجاورة، وسأتحدث عن كل منهما بالتفصيل:

أ- الجالية البرماوية:

البرماويون ينتسبون إلى دولة بورما، وهي اتحاد ميانمار حالياً، وتقع في جنوب شرق آسيا ومن أكبر دولها مساحة، تحدّها من الشمال الصين، ومن الجنوب خليج البنغال وتايلند، ومن الشرق تايلند والصين وجمهورية لاوس، ومن الغرب خليج البنغال وبنغلاديش، وهي تتكوّن من عدّة ولايات، ومن أهمّها: ولاية (أراكان) التي يتمركز فيها المسلمون شعب (الروهنجيا) ويبلغون (١٥٪) من نسبة السكّان والذي يبلغ عددهم (٥٥) مليون نسمة^(٣).

غالب السكان يعتنقون الديانة البوذية إلا أقلية مسلمة ويطلق عليهم مسلمو الروهينجيا ومعظمهم من أصول مغربية وتركية وبنغالية، ويرجع أصلهم العرقي إلى النصف الأول من القرن السابع بعد الميلاد، وقد دخل العرب هذه المنطقة من جنوب شرقي آسيا يحملون إليها التجارة والإسلام.

(١) انظر: عبد العزيز السندي، المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية، ٣/ ٢٠-٢٢.

(٢) انظر: أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص ٥٦٧.

(٣) انظر: يسري الجوهري، جغرافية الشعوب الإسلامية، ٣٢٧-٣٣٠، ونور الإسلام فايز، المسلمون في بورما، التاريخ والتحديات، ص ٥-٧.

تأسست أول مملكة إسلامية في أراكان في عام ١٤٣٠م، وظل المسلمون يحكمون أراكان قرابة أربعة قرون قبل أن يخلعهم البورميون في عام ١٩٤٤م حيث خضعوا بعد فقدانهم السلطة السياسية لسخط القوات المعادية، التي دأبت على تدبير المؤامرة تلو الأخرى لإبادة أبناء المسلمين، وقد شن النظام البوذي الحاكم منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم عمليات مسلحة شملت الاضطهاد والتشريد والقتل والتهجير الجماعي، ونتيجة لذلك تم طرد نصفهم تقريباً بينما أصبح الباقون مشردين داخل الدولة وغرباء في بلادهم^(١).

١- وصولهم إلى المملكة العربية السعودية:

وصل أوائلهم إلى بلاد الحرمين الشريفين تقريباً ما بين عام (١٣٦٨هـ) إلى (١٣٧٠هـ) في عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله-. ثم تلتها هجرة ثانية كانت ما بين عام (١٣٧٠هـ) إلى عام (١٣٧٥هـ)، مشياً على الأقدام مسيرة عام كامل، حيث كانت الأسرة تخرج كاملة وهؤلاء غالبهم دخلوا عن طريق اليمن أو الأردن. أما الهجرة الثالثة: فقد كانت ما بين عام (١٣٧٥هـ) إلى (١٣٨٠هـ)، وهؤلاء أكثرهم دخلوا بجوازات سفر للحج عن طريق الهند وباكستان. والهجرة الرابعة والأخيرة: وهي التي تعرف بالهجرة الجماعية، وكانت بعد عملية (التنين الكبير) التي أبادت قرى بكاملها بحجة المواطنة غير الشرعية، وكانت ما بين عام (١٣٨٠هـ) وعام (١٣٩١هـ)، وحصلوا خلالها على الإقامة بدون جواز سفر، ثم توقفت الهجرة الجماعية بعدها كلياً إلى المملكة إلى يومنا هذا^(٢).

(١) انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة، ar.wikipedia.org

(٢) انظر: الأقليات المسلمة في العالم، ظروفها المعاصرة، آلامها، وآمالها، ٢/٦٠٩-٦١٥، ومجموعة من الباحثين، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، ٥٩٦-٥٩٧.

٢- أوضاعهم الاجتماعية والمعيشية:

الوضع الاقتصادي للجالية البرماوية دون المتوسط وغالبهم من الفقراء.. ليس لهم دخل غير الدخل البسيط الذي يحصلون عليه من المهن التي يعملون فيها من (٥٠٠-٩٠٠) ريال، حيث أن غالبية البرماويين (الآباء) ينخرطون في الأعمال المهنية، كالسباكة والنجارة والكهرباء والبناء، وأغلب أبنائها الذين ولدوا في السعودية يفضلون التدريس في المدارس الخيرية وحلقات التحفيظ وإمامة المساجد بعد حفظهم لكتاب الله، وحصولهم على شهادات الثانوية أو المرحلة العالية، و٧٠٪ من الأبناء الصغار يدرسون في المدارس الخيرية أو الحكومية، وملتحقون بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، فأصبحوا جزءاً من مكونات المجتمع المكي.

٣- جهود المملكة في دعم ورعاية المهاجرين البرماويين.

منذ أن وطئت أقدام المهاجرين الأراضي المقدسة وجدوا في بلاد الحرمين الشريفين الأمن والاستقرار، والحب والترحيب، ولاقت الجالية من ولاة أمر هذه البلاد وحكومتها كلَّ ترحيب وحفاوة، فاعتبرتهم مهاجرين، وقدمت لهم خدمات جليلة، من تصحيح الأوضاع نظامياً بمنحهم رخص الإقامة، وحظيت مدارسهم التي أنشئت لتعليم أبنائهم بإشراف إدارة التعليم لها بقرار صاحب السمو الملكي وزير الداخلية رقم ١٢٢٦٨ وتاريخ ١٥/١٢/١٤١٣ هـ والموجه لمعالي وزير المعارف آنذاك، حتى وصل عدد هذه المدارس إلى (٥٥) خمس وخمسين مدرسة، منحتهم جميل الأخلاق وكريم الخصال، وأنقذتهم من ظلمات الجهل والتخلف العلمي^(١).

(١) انظر: النشرة التعريفية الصادرة عن هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية بمكة ص ٤،
وعبد الله الزهراني وآخرون، من تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ١٥٨-١٥٩.

ب- الجالية الأفريقية:

١- تعريف الأفارقة: هم شعوب تعيش في قارة أفريقيا^(١) وهي ثانية القارات من حيث المساحة.

والأفارقة شعوب الشمال يمتازون باللون الأبيض ومن بينهم العرب، ويشكل السود غالبية سكان القارة، وهم المراد في الحديث عن الجالية الأفريقية.

وكان للقارة الإفريقية عمق كبير للدولة الإسلامية، ورافد عظيم لانتشاره وازدهاره وسيادته على كل أنحاء العالم، وكانت الهجرات العربية الإسلامية لهذه القارة قد لعبت دورًا هامًا وفعالًا في تشكيل هذه المنطقة اقتصاديًا وسياسيًا ودينيًا، وغير ذلك من العوامل التي أنشأها العرب والمسلمون أسهمت إسهامًا إيجابيًا في نقل الحضارة الإسلامية.

وتتمركز الأقلية المسلمة في أفريقيا في ٢٨ دولة أفريقية، وهذه الأقليات أينما وجدت على اختلاف ظروفها مهددة في مصيرها كأمة مسلمة ذات خصائص متميزة، وتهددها أخطار شتى وضغوط رهيبية تعمل بدهاء ممزوج بضغائن وأحقاد للنيل منها.

٢- الحالة السياسية للمسلمين في أفريقيا:

ورغم استقلال معظم دول وسط وجنوب أفريقيا إلا أن معظم هذه الدول ترزح تحت الاستعمار الفكري والسياسي للدول الغربية، وتعيش بعضها في صراعات وفقر ومشاكل داخلية، والأقليات المسلمة في أفريقيا تواجه مشاكل عديدة وتحديات صعب باعتبارهم مسلمين وسط مجتمع غير إسلامي، وهذه التحديات توشك في بعض الأحيان أن تهدد أصل وجود هذه الأقليات، خاصة

(١) انظر: أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ص ٩٠٧.

وأن مشاكلها متعددة ومتنوعة بتنوع الظروف والمناطق التي تعيش بها، وما يسود فيها من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية إلى جانب أنماط المعيشة والمعايشة اليومية، وما ينتج عن ذلك كله من ضغوط نفسية، وأحياناً سياسية قاهرة.. وغالباً ما تعمل الأكثرية بما في يدها من نفوذ وقوة على سحق الأقليات المسلمة، وتحطيم هويتها المتميزة، وطمس شخصيتها، وثقافتها، ومحاولة إخضاعهم لدفعهم إلى التخلي عن معتقداتهم الإسلامية فيحيطون هذه الأقلية بحملات التشويه والتضليل والشبهات والتشكيك والتنصير ولذلك نجد الكثير من أبناء هذه الدول قد نزحوا وهاجروا إلى الدول العربية ومنها المملكة العربية السعودية واستقر بهم المقام في الحرمين الشريفين.

والجالية الأفريقية بمكة تختلف كثيراً عن الجالية البرماوية في ظروف الهجرة وتاريخ القدوم إلى المملكة؛ إذ أن الجالية البرماوية تجمع بينهم رابطة الدم واللغة والهوية المشتركة بخلاف الجالية الأفريقية والتي تختلف باختلاف البلدان التي ينتسب لها كل وافد يقيم على أرض مكة ويجمع بينهم شيء واحد فقط هو أن هجرتهم جاءت من دول أفريقيا كنيجيريا، وبنين، وكينيا، ومالي، والسنغال، وجامبيا، وغيرها، وقد تختلف لغاتهم، وعاداتهم وأصولهم، وثقافتهم، هذا عدا من كانت هجرته في منتصف الربع الأول من القرن الرابع عشر حيث قدموا بقصد المجاورة^(١).

فوضع المسلمين في أي دولة من دول الجمهوريات الأفريقية التي تعيش بها أقليات إسلامية لا يكاد يختلف كثيراً عن وضعهم في بقية أجزاء القارة الأفريقية.

(١) انظر: سيد عبد المجيد بكر، الأقليات المسلمة في أفريقيا، ص ٢٦، وللاستزادة انظر: يسري عبد الرزاق الجوهري، جغرافية الشعوب الإسلامية، ٥٣١-٥٣٩ حيث تحدث عن الاختلافات بين شعوب دول أفريقيا وتاريخ شعوبها وشيء من حضارتها والمعلومات الجغرافية والمناخية عنها.

وتضافرت على محاربة الإسلام في أفريقيا عوامل ساعدت على إبعادهم عن المراكز القيادية وسلبهم حقوقهم الشرعية في حكم أوطانهم ووصفهم بالقصور والجهل والتخلف والرجعية وغيرها من الاتهامات الباطلة، ويرجع ذلك في جوهره إلى الأسباب التالية:

أ- كثافة المد المسيحي واستمراريته.

ب الجهل بتعاليم الدين الإسلامي.

ج- التركيز على بقاء الاستعمار الفكري والاقتصادي مسيطراً على مجريات الأمور والأحداث.

د- التأخر الاجتماعي والثقافي الذي تعيش في ظله القارة ومحاولات فصل الدين عن الدولة^(١).

هـ- الحروب التي وقعت بين سكان هذه المناطق والمستعمرين مما تسبب

في هجرة الكثير من الأفارقة إلى المملكة العربية السعودية.

و- رحلات الحج والتي يقضي معظم السكان حياتهم في الادخار لها منذ

وقت مبكر، وكانت هذه الرحلات تستغرق وقتاً طويلاً، يقطعها هؤلاء للوصول

إلى الأماكن المقدسة، وزادت هجرتهم تدريجياً، خاصة بعد انتظام الرحلات

الجوية من بلادهم إلى الديار المقدسة^(٢).

٣- وصولهم إلى المملكة العربية السعودية:

بدأت هجرة الجالية الأفريقية منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري^(٣)

واستمرت منذ عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله- حيث لجأ العديد منهم إلى

(١) انظر: مجموعة من الباحثين، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم، ص ٦٤٥ وما بعدها.

(٢) انظر: إيمان كفي، الحياة الاجتماعية في مكة، ١/ ٧٩-٨٠.

(٣) انظر: محمد طاهر كردي، التاريخ القويم، ٤/ ٢٦٤-٢٦٥.

المملكة العربية السعودية إما هرباً بدينه، أو بحثاً عن الأمن هرباً من أخطار الفقر والجهل والمرض، وخوفاً من أساليب البطش والقهر، وحملات التبشير، والتفرقة العنصرية والحرمان من أدنى الحقوق السياسية والاجتماعية والممارسات التجارية وغيرها التي يواجهونها في بلدانهم.

ونالت الجاليات الأفريقية كغيرها من الجاليات المقيمة داخل المملكة العربية السعودية حظها من الرعاية والحماية التي وفرتها حكومة المملكة لأبناء المسلمين.

٤- أوضاع الجالية الأفريقية الاجتماعية والمعيشية:

تشابه أوضاع الجالية الأفريقية مع أوضاع الجالية البرماوية حيث ينتشر بين بعض أفرادها الجهل والخرافات، ونظراً لعزوف الكثيرين من أبناء الجالية الأفريقية عن العمل أو الاندماج الكامل في المجتمع، إضافة إلى عدم حصول بعض المتتمين لهذه الجالية على الأوراق النظامية التي تتيح لهم العمل الشريف، والتأهيل الدراسي، وانتشار الجريمة بين بعض أفرادها، وعدم اهتمامهم بتسوية أوضاعهم رغم الجهود المبذولة من قبل وزارة الداخلية ممثلة في إمارة منطقة مكة المكرمة في سبيل توعيتهم والتأكيد على أهمية إلحاقهم في ركب التعليم ومحاربة الأمية والجهل، ومكافحة الجريمة، والحفاظ عليهم من طرق الانحراف^(١).

لذا تشكلت لجان متخصصة من عدة وزارات لدراسة أوضاع هذه الجالية ومحاولة وضع حلول مناسبة لعلاج مشاكلهم، والوقوف على احتياجاتهم للمساهمة في علاجها^(٢).

(١) صحيفة البلاد السعودية، عدد ٢٣٠٠ الاثنين ٢١/٥/١٤٢٩هـ ص ٤.

(٢) صحيفة الاقتصادية الإلكترونية، عدد: (٥٢٧٨) وتاريخ الاثنين ٤ مارس ٢٠٠٨م، وصحيفة

الرياض عدد ١٤٦٢٠، الجمعة ١ رجب ١٤٢٩هـ - ٤ يوليو ٢٠٠٨م.

المطلب الثاني

سمات الجاليات المقيمة بمكة

١ - تنوعهم وتعدد أجناسهم:

كان لمكة المكرمة فضل كبير وأثر بارز على النهضة العلمية في كثير من البلاد الإسلامية فقد فتحت لهم أبوابها، واحتضنت الكثير منهم بين جنباتها، وضمت إليها العديد من أبناء تلك الدول والذين جاء معظمهم ليتلقى العلوم الشرعية على أيدي علمائها الأجلاء، ومن ثم يعود إلى وطنه لينشر الإسلام ويفقه من خلفه من المسلمين.

وقد تحدث العديد من المؤرخين^(١) في كتاباتهم ومؤلفاتهم عن هذا التنوع والتجانس بين أبناء الملة الواحدة والذي لا يزال نلمس آثارها إلى اليوم بفضل الله تعالى ثم بفضل جهود حكومة المملكة العربية السعودية في دعم وحدة المسلمين وترابطهم تحقيقاً لمبدأ الأخوة الإسلامية تحت مظلة التوحيد وفي رحاب البيت الحرام.

فقد كان الحج بروحانيته وماديته أهم مؤثر يصبغ حياة المكيين بصبغة التعايش ويعمل على توجيه ذواتهم توجيهاً مهنيّاً على الصعيد اللغوي والنفسي والاقتصادي، وتشكل شخصية المكيين التي تتميز بالقبول والانفتاح على الآخر درجة عالية من التسامح والإيمان بين أهلها من العرب الأصليين وبين غيرهم من الجاليات المقيمة فيما بينهم وهي علاقة قائمة على المودة والمحبة مشكلين نسيجاً واحداً بخصائص وسمات إسلامية ضمن بوتقة وهوية واحدة وبلهجة مشتركة وعادات وتقاليد واحدة، واندمجت جميعها ضمن الشخصية المكية.

(١) انظر: محمد المالكي المعروف بالصباغ، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام، ٦٠٤/٢، ومحمد طاهر الكردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ٢٦٤/٦، ومحمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري، ص ١٦٠.

والواقع أن مكة استطاعت أن تهضم هذه الجاليات وتصهرها في بوتقة واحدة فكثير من أسر الحجاز اليوم تنتمي إلى دول عربية وأخرى إسلامية وبعضهم ربما قد نسي أصوله ومضت مواكبهم تحمل طابعاً جديداً في ألبستهم وعاداتهم ولغتهم هي سمات المجتمع المكي بعد أن ازدحمت بثتى الأجناس مع القبائل العربية والأسر الهاشمية الأخرى من قريش وغيرها. وقد ساهمت في تكوين طابع مميز للمجتمع المكي استطاع أن يدمج جميع القاطنين والمجاورين بدمغة واحدة يبدو أثرها في أكثر تقاليدهم وعاداتهم وطريقة حياتهم^(١).

وظلت مكة المكرمة على هذا الطابع -حتى يومنا هذا- فتمتع سكانها بطمأنينة اجتماعية وباتوا ينعمون بنعمة التوحيد والعلم، واهتمام ولاية الأمر بأهلها والقاطنين فيها وقد زاد من وفود المجاورين بها بعد تحسن الأوضاع الاقتصادية للبلاد في العهد السعودي الميمون، وكثرة المشاريع التنموية في البلد الحرام وهي قائمة إلى الآن -بحمد الله-.

٢- اختلاف عاداتهم وثقافتهم:

خلق الله الإنسان من تراب، وجعل الله هذا الخلق من آياته العظام على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم، قال تعالى مبيناً مبدأ الخلق وأصل نشأتهم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(٢).

فالبشر غالباً يتفاوتون في الطباع، والأخلاق، والألوان، وهذه من البدهيات التي يعرفها كل أحد؛ كما تتفاوت حظوظهم من: القوة والضعف، والطول والقصر، والذكاء والغباء، والشجاعة والجبن، والغضب والرضا، كما ورد في

(١) أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص ٥٧٠ - ٥٧٢.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٠.

حديث الصادق المصدوق عليه السلام: «تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشد له كراهية وتجدون شر الناس ذا الوجهين.... الحديث»^(١).

وفي هذه الروايات دليل على وجود الفروق والتفاوت في الطباع والأخلاق بين البشر، وإثبات من الرسول عليه السلام أن خيار الناس في التكوين الفطري الخلقي الطبيعي هم أكرمهم خلقاً^(٢).

ولعل من عجائب صنع الله تعالى، أنه لما كانت مكة بلده الأمين، والكعبة قبلة لعموم المسلمين، العباد عباده وخلقه، جعل سكان مكة خليطاً من جميع الأجناس ومن كافة الأنواع، تهوي إليها الناس من عموم أطراف المعمورة، وهذا طبعاً بعد انتشار الإسلام، وتيسير طرق الانتقال وسبل المعيشة، لذلك صارت لأهل مكة عوائد مشكلة، مأخوذة عن عوائد جميع الأجناس المختلفة، التي تفتد إليها فتقيم بها، ولقد لفتت تلك العوائد أنظار المؤلفين عن البلد الأمين.

قال ابن بطوطة -رحمه الله-^(٣): «ولأهل مكة الأفعال الجميلة، والمكارم التامة والأخلاق الحسنة، والإيثار إلى الضعفاء والمنقطعين المجاورين، وحسن الجوار للغرباء، ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بإطعام الفقراء والمساكين المنقطعين، ويستدعيهم بتلطف وحسن خلق، ثم يطعمهم، وأكثر المساكين المنقطعين يكونون بالأفران، حيث يطبخ الناس أخبازهم، فإذا

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) ١٢٣٨/٣، رقم (٣٣٠٤)، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس، ١٩٥٨/٤، رقم (٢٥٢٦).

(٢) عواد الخلف، ومحمد فرحات، طبائع أهل مكة، ٢١٠-٢١١.

(٣) هو: محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، ولد بطنجة بالمغرب عام (٧٠٣هـ)، رحالة مؤرخ، من مؤلفاته: تحفة النظر المسمى برحلة ابن بطوطة، توفي عام (٧٧٩) انظر ترجمته: خير الدين الزركلي، الأعلام، ٢٣٥/٦.

طبخ أحدهم خبزَه واحتمله إلى منزله، فيتبعه المساكين، فيعطي لكل واحد منهم ما قسم له، ولا يرددهم خائبين، ولو كانت خبزة واحدة...»^(١).

وبالرغم من هذا التنوع والتباين في أصول المجتمع المكي خلال العقود الماضية، فقد استقر خليط من السكان فيها، وحصل بينهم التمازج والتآلف والتقارب والتراحم، وعلى الرغم من أن بعض الجاليات قد بقيت منطوية على نفسها، بسبب عامل اللغة وحب الاستقلال الاجتماعي، إلا أن جميع هذه الجاليات ساهمت في تكوين المجتمع المكي الحالي، وحصل بينهم الاندماج والتزاوج، وتربط المصالح، وقبل كل ذلك جمعت بينهم الأخوة الإسلامية، والدين الحنيف الذي لا يفرق بين أبيض ولا أسود إلا بالتقوى، وسمته السماحة والخلق الرفيع، والعوائل المكية اليوم تشهد على هذا الترابط الفريد.

وقد ظلت مكة منذ فجر الإسلام وحتى اليوم حضناً ووطناً وملقى لكل المسلمين حتى صارت خليطاً من الأعراق وكل الأجناس من أهل الملة، ولذلك نجد كثيراً من أبناء المجاورين بها قد تبوأوا بها أعلى المراتب العلمية والدينية والدنيوية سواءً بها أم في خارجها، ولذلك يعتبر نفسه -كمسلم- سعيداً بهذا التنوع الثقافي النادر في عالمنا اليوم.

٣- خصائصهم الدعوية:

أ- كثرة أصناف المدعوين، وتباين خصائصهم.

الدعوة إلى الإسلام عامة لجميع البشر، بل للجن والإنس جميعاً، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، وهي ليست خاصة بجنس دون جنس، أو بفتة دون أخرى، قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

(١) محمد بن عبد الله بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ١٦٨.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾.

والمدعوون في مكة على أصناف وأقسام عديدة، فمنهم العربي، ومنهم الأعجمي، ومنهم الفقير، ومنهم الغني، ومنهم المسلم الذي يحتاج إلى التعليم والتهديب، والمسلم العاصي، وهم يختلفون في قدراتهم ومستوياتهم العلمية، والصحية، ومراكزهم الاجتماعية بين أقوامهم فمنهم المتعلم، ومنهم الأمي، ومنهم الموافق، ومنهم المعاند الجاحد، وكل هؤلاء يحتاج معهم الداعية إلى فقه وإمام جيد بالدعوة إلى الله حتى ينشر بينهم الخير ويحارب الرذيلة والمنكرات، ويشجع الفضائل ومكارم الأخلاق وفق المنهاج النبوي^(١).

ب- أن مكة تعد مركزاً دعويًا هامًا لتدريب الدعاة إلى الله على الأساليب البيانية، وصلل مواهبهم وتنمية ملكاتهم لتنوع المدعوين فيها، وتعدد وسائل دعوتهم.

فالمصادر الأساسية التي يستمد منها الداعية ويتعلم منها وسائل دعوته هي الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، من معينها العذب الصافي في البلد الحرام، حيث الدعوة إلى الله على هدى وبصيرة، وتوضيح معاني العبادة الصحيحة، وما ينبغي أن تكون عليه من الصحة والصواب، سواء كانت عبادات ظاهرة أم باطنة.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) للاستزادة: انظر: حمود بن أحمد الرحيلي، أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، ص ١١.

المبحث الرابع عناية المملكة العربية السعودية بدعوة الجاليات وتعليمها

المطلب الأول

جهود المملكة العربية السعودية في خدمة قضايا المسلمين

لم تكن الدولة السعودية بعيدة في يوم من الأيام عن هموم المسلمين سواء كانوا يعيشون في دول هم فيها أغلبية، أو كانوا يعيشون في دول هم فيها أقلية، لأن الدولة السعودية ومنذ أن قامت قبل أكثر من مائتين وخمسين عاماً بعد أن تعاهد الإمامان: محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب على المناصرة نبذ البدع والخرافات، أخذوا على عاتقهما الاهتمام بالمسلمين والعناية بالدعوة إلى الله في كل مكان، حتى قامت الدولة السعودية الأولى قوية شامخة، وكان هذا غاية قادة الدولة السعودية الثانية الذين حرصوا على تبليغ الدين ومناصرة المسلمين.

وجاء موحد الجزيرة الملك عبد العزيز آل سعود ليبدأ عهداً جديداً للدولة السعودية الثالثة، فمع اهتمامه بالحرمين الشريفين وحرصه على توفير ما يتطلبه الحاج والمعتمر والزائر والمجاور من أبناء المسلمين القاصدين للرحاب المقدسة، لم يغفل الاهتمام بالمسلمين ورعاية شؤونهم والدفاع عن قضاياهم المصيرية، والمساهمة في رفع الظلم عنهم، وعلى طريقه سار أبناؤه من بعده من الدعوة إلى التضامن الإسلامي وإنشاء المنظمات الراعية للمسلمين في أنحاء الأرض^(١).

ومن هذه الجهود:

١ - رعايتها إنشاء وتأسيس المنظمات الإسلامية:

يتجلى دعم الدولة السعودية لقضايا المسلمين عامة والأقليات خاصة في

(١) انظر: عبد المحسن الداود، المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة، ص ٢١-٢٢.

احتضانها ورعايتها لكثير من الهيئات والمنظمات الإسلامية ويأتي في مقدمتها:

- أ- صندوق التضامن الإسلامي.
- ب- البنك الإسلامي للتنمية.
- ج- رابطة العالم الإسلامي.
- د- هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.
- هـ - منظمة المؤتمر الإسلامي.

ترتبط المملكة العربية السعودية بمنظمة المؤتمر الإسلامي بأوثق الروابط وأمتنها، فهي من الدول المؤسسة لهذه المنظمة، وهي إلى ذلك المقر والراعية لهذه المنظمة، والعلاقة القائمة بين المملكة ومنظمة المؤتمر الإسلامي تتجاوز مجرد العضوية الفاعلة والنشيطة والدعم المالي والأدبي والالتزام التام بهذه المنظمة مبدأً وغاية، وإلى الإيمان برسالتها وأهدافها، وإلى الاقتناع بضرورة وجودها؛ لتلبي حاجة حيوية تقتضيها طبيعة العصر، وتستوجبها متطلبات الدفاع عن المصالح العليا للأمة الإسلامية.

أما فيما يتصل بصندوق التضامن الإسلامي فقد أسهمت بمبلغ خمسة وسبعين مليون ريال سعودي، وذلك لكي يتمكن الصندوق من القيام بمهامه ومنها: تنشيط برامج الإعلام الإسلامي، وإقامة المراكز والمدارس الثقافية للأقليات المسلمة، وإرسال الدعوة والمحاضرين والمدرسين، وشراء البرامج الإذاعية والأفلام الدينية. أما بنك التنمية الإسلامي فإن المملكة تحتضن مقره وتسهم بنسبة تزيد على ربع ميزانيته^(١).

٢- المملكة العربية السعودية والعمل الإسلامي التطوعي:

تتكامل جهود المملكة العربية السعودية مع العمل الإسلامي المشترك في

(١) انظر: أحمد الدريوش، المملكة العربية السعودية والعمل الإغاثي حقائق وأرقام، ص ٦٠.

مجاليه الرسمي والتطوعي، ويعزز بعضه بعضًا ولاسيما إذا التزم العمل الإسلامي على مستوى المنظمات والهيئات والمؤسسات غير الحكومية بالخط العام الذي يسير عليه العمل الإسلامي المشترك على مستوى المنظمات الحكومية، مادام الهدف الرئيس الذي يعمل له الجميع هو خدمة قضايا الأمة الإسلامية، والدفاع عن مصالحها والرفع من مستوى الحياة في البلاد الإسلامية من النواحي كافة، من خلال العناية بتكوين الإنسان وتربيته وتعليمه وتثقيفه وترقية وجدانه، وإعداده الإعداد الجيد لمواجهة أعباء الحياة إلى جانب السعي من أجل رفع المعاناة والحرمان والظلم عن كاهل الإنسان المسلم الذي يتعرض لظروف المحنة بسبب الكوارث الطبيعية أو الحروب أو الصراعات العرقية والطائفية أو غيرها من الحالات والمشكلات المستعصية في بعض الدول الإسلامية.

ويمكن القول أن المملكة العربية السعودية مساهم رئيس في جميع المؤسسات التنموية الإسلامية والعالمية بلا استثناء، وبعض هذه المؤسسات أنشأتها المملكة لتحقيق أهدافها في المساعدة والدعم المباشر لجميع أنشطتها وبرامجها وقضاياها المشتركة^(١).

ويتمثل الدعم الكبير غير المحدود الذي تقدمه المملكة العربية السعودية للعمل الإسلامي الشعبي في رعايتها الشاملة لثلاث هيئات إسلامية شعبية لها حضور واسع ومؤثر في معظم أنحاء العالم، سواءً في البلدان الإسلامية أو في أوساط الأقليات والجاليات الإسلامية.

وهذه المنظمات التي سبقت وغيرها تقوما بأعمال بالغة الأهمية على مستويات عديدة، تخدم بها المسلمين في العالم من النواحي التعليمية والثقافية

(١) جريدة العالم الإسلامي، الإثنين ٢٢-٢٨ شوال ١٤١٩هـ، ص ٩. وللاستزادة ينظر: مؤتمر الأقليات الإسلامية الدعوة والأصدقاء، ص ١٨ وما بعدها ففيها مزيد تفصيل وبيان.

والصحية والإغائية، وكذلك من ناحية الدعوة الإسلامية التي تقوم على الأسس الشرعية الصحيحة التي تنشد الخير للجميع^(١).

٣- جهود المملكة في دعم الأقليات المسلمة:

للمملكة العربية السعودية حظ عظيم من شرف العمل في مجال خدمة الأقليات المسلمة ودعمها سياسياً ومالياً، ويكفي أن نقول في هذا المقام أن ٩٠٪ من المراكز الإسلامية والمساجد الموجودة بصفة خاصة في أوروبا وأمريكا وأستراليا قامت بدعم من المملكة العربية السعودية كما تؤكد الأرقام والحقائق^(٢)، وليس هذا فحسب؛ فهناك مئات المشروعات التنموية التي أقيمت ومئات الآلاف من الكتب التي قامت الهيئات المسؤولة عن الدعوة في المملكة بتوزيعها على المسلمين وآلاف الدعاة الذين ينشرون الإسلام، إنها حقائق ثابتة تدعمها الأرقام الصادرة من جهات حكومية^(٣).

ويدخل ضمن هذا الإطار أيضاً جهود المساندة التي تقدمها المملكة العربية السعودية لرعاية الدعوة الإسلامية وخدمة التعليم الإسلامي، وهذه أهم الجهات التي تقدم المملكة من خلالها مساندة للأقليات الإسلامية:

- ١- رابطة العالم الإسلامي.
- ٢- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- ٣- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٤- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: وقد انبثقت هذه الجامعة المباركة من شعور المملكة بواجبها تجاه أقطار المسلمين والعالم في مجال الدعوة الإسلامية، من خلال استقدام أبنائهم إلى أرض الحرمين، وتزويدهم بالعلم

(١) انظر: عبد الرحمن الزنيدي، تطبيق الشريعة في المملكة العربية السعودية، ص ٤٧٢ وما بعدها.

(٢) أحمد الدريوش، المملكة العربية السعودية والعمل الإغائي، ص ٤٩ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق، ٣٩-٤٠.

النافع، والارتقاء بمستواهم الفكري والسلوكي، بما يجعلهم مهيين للقيادة الشرعية في مجتمعاتهم قضاءً وتعليمًا ودعوةً وإعلامًا^(١).
ومن أبرز الجهود الدعوية للمملكة العربية السعودية تجاه الأقليات المسلمة ما يلي:

- أ- إرسال الدعوة إلى مختلف البلاد الإسلامية.
- ب- إقامة المحاضرات والدورات والندوات في عدد من الدول الإسلامية مع البرامج التأهيلية للدعوة إلى الله.
- ج- طباعة الكتب المترجمة بعدد من لغات العالم وتوزيعها على المسلمين وغيرهم.
- د- تأهيل الدعوة إلى الله وطلبة العلم في داخل المملكة العربية السعودية كطلاب المنح الخارجية وطلاب مدارس الجاليات الخيرية وغيرهما، وهو ما يترك أثرًا واضحًا في مسار الدعوة إلى الله تعالى^(٢).

(١) للاستزادة حول جهود الجامعة الإسلامية بالمدينة انظر: عبد الله بن صالح العبود، جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية ٢/ ٨٥٥-٨٥٨.
(٢) للاستزادة حول جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله انظر: عبد الله بن محمد المطوع، العمل الخيري المؤسسي، ص ٢٤٤-٢٥١ ففيه مزيد تفصيل وبيان.

المطلب الثاني

دعوة الجاليات في المملكة العربية السعودية

اعتنت المملكة العربية السعودية بدعوة الجاليات عناية فائقة حيث أنشأت العديد من المكاتب التوعوية في مختلف مناطق المملكة ودعمتها بكل ما تحتاج إليه في سبيل تحقيق غاياتها، وفيما يلي بيان لتعريف المكاتب التعاونية لدعوة الجاليات وبيان مكانتها وأهميتها.

١- تعريفها: جهة خيرية تعنى بدعوة المقيمين في المجتمع المسلم سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، وإن انصرفت جهود تلك المكاتب إلى دعوة غير المسلمين - غالباً^(١).

فيكون إنشاؤها لرجاء هداية القادمين إلى المملكة العربية السعودية من غير المسلمين، مع رعاية أبناء الجاليات المسلمة، وتوضيح حقائق الدين العظيم لهم.

٢- نشأتها: كانت البداية في عام ١٤٠٦ هـ حين شعر كثير من طلبة العلم وبعض من من الله عليه بنعمة المال بواجبهم نحو إبلاغ رسالة الإسلام للوافدين إلى المملكة العربية السعودية، وكذلك تعليم المسلمين منهم معتقد الإسلام الصحيح، وتتابع الجهود والرغبات في افتتاح مثل هذه المكاتب، وكانت تحظى بموافقة حكومة المملكة العربية السعودية ودعم ولاية الأمر في هذه البلاد المباركة.

وانتشرت مكاتبها في العديد من المحافظات والمدن والمراكز في مختلف مناطق المملكة حتى بلغ عدد المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد داخل مدينة

(١) صالح السدلان، الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، ص ١٣٥ وما بعدها.

الرياض وحدها ثمانية عشر مكتباً تعاونياً، نظراً لكثرة العمال الوافدين بها من خارجها، أما في داخل المملكة فقد تجاوزت مائة وخمسين مكتباً^(١).

٣- أسباب إقامة مكاتب دعوة الجاليات:

إن من أهم أهداف وزارة الشؤون الإسلامية هي:

حماية العقيدة الإسلامية والتراث الديني والفكري القائم على عقيدة التوحيد، والدعوة إلى الله في الداخل والخارج، وقد بدأت فكرة المكاتب التعاونية حين رأت الرئاسة العاملة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء (سابقاً) ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف حالياً قلة مراكز الدعوة والإرشاد الرسمية، حيث أن مراكز الدعوة عبارة عن مكتب رسمي دعوي واحد -وفي المدن الرئيسية فقط- يعمل فيه دعاة رسميون معينون من قبل الدولة، ولهم رواتب التفرغ في هذا العمل المبارك، خاصة مع الاتساع الجغرافي للمملكة العربية السعودية والكثافة السكانية سواءً أكانوا مواطنين أم وافدين، وسواء من المسلمين أو غير المسلمين إضافة إلى أسباب أخرى ومنها:

أ- رجاء هداية غير المسلمين إلى الإسلام.

ب- نشر دعوة الإسلام بين أصحاب الديانات الأخرى للتعرف عليها.

ج- عدم ترك بعض المقيمين داخل المملكة فريسة سهلة للانحراف.

د- القيام بأداء الأمانة وإبراء الذمة تجاه الناس.

هـ بيان حقيقة تكافل أبناء المجتمع المسلم مع غيرهم حتى لو كانوا غير

مسلمين وإيضاح حرصهم على نفعهم وخيرهم.

و- المساهمة في تقوية إيمان المسلمين وزيادة تحصينهم.

ز- دمج المسلمين الوافدين مع إخوانهم في المجتمع.

(١) الموقع الإلكتروني للمكتب التعاوني لدعوة الجاليات بمكة www.islamicstart.net.

- ح- مساعدة من يحتاج من المقيمين إلى أي نوع من المساعدات يمكن القيام بها.
- ط- تقديم صورة حضارية مثلى عن البلاد الإسلامية في تعاملها مع الآخرين^(١).

٤- أهميتها في نشر الدعوة إلى الله:

المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات هي جهات خيرية احتسابية تطوعية، تهدف بالدرجة الأولى إلى الدعوة إلى الله وفق المنهج الشرعي القويم من الكتاب والسنة، وهي تتبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد والتي تقوم بجهود عظيمة في نشر الدعوة الإسلامية داخل المملكة وخارجها لبيان أحكام العقيدة الصحيحة من خلال إدارات مختلفة ومنها: إدارة مكاتب دعوة الجاليات بواسطة دعواتها التابعين لها والمعنيين على ميزانيتها والموزعين على ما يزيد على واحد وعشرين مركزاً في الداخل ودول الجزيرة العربية، وتقوم مراكز الدعوة والإرشاد بتنظيم محاضرات أسبوعية متنوعة في المساجد والقاعات العامة والقطاعات الحكومية والوزارات والإدارات والمؤسسات والشركات، في مختلف الموضوعات العقدية والفقهية والسلوكية والوعظية ذات الارتباط المباشر باحتياج المسلم وتنقيفه وتوجيهه يشارك فيها نخبة من العلماء المتميزين في توعية الجاليات غير المسلمة ودعوتهم لدين الله، والعناية بحديثي العهد بالإسلام وتبصيرهم بأمور دينهم وتعميق صلاتهم

(١) الموقع الإلكتروني للمكتب التعاوني للدعوة الجاليات بمكة المكرمة www.islamicstart.net، وأحمد الخالدي، تفعيل دور المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد لوقاية الشباب من الوقوع في الانحرافات الفكرية، تصور مقترح، ص ١٨١-١٨٢.

بإخوانهم المسلمين، وتزويدهم بالكتب المترجمة النافعة والخاصة بالتعريف بالإسلام بلغاتهم الأصلية^(١).

وقد أنشأت الوزارة عدة إدارات تتولى مهمة القيام بدعوة وتوعية الجاليات داخل المملكة العربية السعودية وتوعية غير المسلمين من الجاليات على اختلاف أجناسهم ودعوتهم إلى اعتناق الدين الإسلامي^(٢).

ومن دلائل أهمية هذه المكاتب في المجال الدعوي ما يأتي:

- أ- إعطاء الصبغة الرسمية للدعاة، وما في هذا المعنى من توفير الدعم المادي، والمعنوي، والرسمي لهم ليقوموا بأعمالهم على أكمل وجه.
- ب- سهولة الرجوع إلى هذه المكاتب باعتبارها الجهة الرسمية المخولة للقيام بدعوة الجاليات وانتشارها في جميع أنحاء المملكة.
- ج- تسيير هذه المكاتب وفق منهجية دعوية مدروسة من قبل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مما يجعل لها أثارا واضحة في مسيرة الدعوة إلى الله.

وتقوم مكاتب توعية الجاليات في نشر الدعوة الإسلامية من خلال مسارين: **المسار الأول:** توعية المسلمين الوافدين إلى المجتمعات الإسلامية، وخاصة من غير العرب الذين يحتاجون إلى تبصير بالعقيدة الإسلامية، وإيضاح للتوحيد وبيان للأحكام والآداب الإسلامية.

المسار الثاني: القيام بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام في المجتمعات الإسلامية^(٣).

(١) صالح بن غانم السدلان، الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، ص ١٣٣.

(٢) أحمد الخالدي، تفعيل دور المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد، ص ١٨٠.

(٣) عبد الرحيم بن محمد المغذوي، مرجع سابق، ٢/ ٨٤٢.

والحقيقة أن مكاتب توعية الجاليات من الوسائل الدعوية الفعالة في العصر الحاضر، وهي تقوم بجهودها من خلال عدة مناشط تعليمية وتوعوية واجتماعية ورياضية، والقيام برحلات دعوية لزيارة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وإرشاد المسلمين الجدد إلى تعاليم الدين الحنيف.

ومثل هذه الأنشطة مطلوبة في المجتمع المسلم وغير المسلم، فالناس يبحثون عن الحق، ويبحثون عن يدلهم على الحق بالحكمة واللين والرفق، ولا تنقصها الإدارة الناجحة، ولا ينقصها الرجال والنساء المخلصون والمخلصات، وإنما هي بحاجة إلى الدعم المعنوي ثم المادي، فهي لا تقوم بواحد منهما فحسب، بل بهما كليهما، تقوم وتستمر في الدعوة فتزيد من سواد المسلمين من خلال أولئك الأشخاص الذين يعلنون إسلامهم بأعداد مرتفعة - والله الفضل والمنة - وهي بحاجة إلى أن تظل أنشطة خيرية من تلك المؤسسات التي لا تسعى إلى الربح، وإنما يقوم بها دعاة على سبيل التطوع سعيًا إلى الوصول إلى أهداف تأسيسها.

وهي اليوم تشق طريقها بنجاح حيث كثرت المكاتب وتوزعت على المدن الكبرى في المملكة، وربما وجد أكثر من مكتب للدعوة في المدينة الكبيرة الواحدة، وتلكم خطوات مباركة في سبيل نشر الإسلام، والوقوف أمام التحديات الكثيرة التي تواجه المسلمين اليوم، وهم يحاولون الوقوف على أقدامهم، وجهودهم في ذلك الميدان مشكورة^(١).

(١) علي بن إبراهيم النملة، تأملات في طريق الدعوة، ص ١٤٨-١٤٩.

المطلب الثالث

جهود المملكة في مساندة الأقليات والجاليات المسلمة في العالم

المملكة العربية السعودية بحكم تبنيها للإسلام رسالة ودعوة كانت أخرى من يقوم بهذه المهمة، نظرًا لما عانته الأقليات المسلمة في العالم من استبداد، وضغوط الاستعمار، والتغريب، وطمس، وانصهار شخصيتها، وهويتها الإسلامية، ولأهميتها للأمة الإسلامية فقوتها قوة لها، وضعفها وتشتتها كارثة عليها، واستشعارًا من المملكة العربية السعودية لموقعها القيادي في العالم الإسلامي وهو ما شمرت له بساعد الجد والقيام الصحيح انطلاقًا من شعورها بواجب الدعوة إلى الإسلام، وخدمة أهله في العالم كله، ومن هذا الشعور انبثقت العديد من المؤسسات الدعوية والتعليمية ذات الطابع الإسلامي العالمي في شتى المجالات.

ومن أشكال المساعدات السعودية للأقليات والجاليات المسلمة:

١ - دعم المنظمات الإسلامية المعنية بشؤون المسلمين:

قامت المملكة بتقديم الدعم المادي والعيني لإنشاء كثير من المنظمات الإسلامية، وقد كان لهذا الدعم الأثر الكبير في نهوض عدد من مجتمعات الأقليات والجاليات المسلمة بسبب ما وفرته هذه المنظمات، من خدمات دينية، وتعليمية، واجتماعية، أسهمت في تطور هذه المجتمعات وزيادة تمسكها والتزامها بدينها، علاوة على دعمها سياسيًا، في المحافل الدولية والدفاع عن حقوقها الشرعية.

ولهذا فقد كان اهتمام حكام المملكة العربية السعودية بالمؤسسات الإسلامية والهيئات المتخصصة بأوضاع الأقليات المسلمة، والعمل على الأخذ بيدها، وتقديم الحلول المناسبة لتعزيز كيانها في مجتمعات الأكثرية غير

الإسلامية، كان هذا الاهتمام مسألة تتبوا مكان الصدارة في اهتمامات المنظمات والهيئات والمؤسسات الإسلامية في العالم.

ومن هذه المنظمات الإسلامية التي تدعمها المملكة العربية السعودية:

أ- رابطة العالم الإسلامي، ومن أبرز أهدافها:

١- تبليغ دعوة الإسلام، وشرح مبادئه، وتعاليمه، ودحض الشبهات عنه.

٢- مجاهدة المؤامرات الخطيرة التي يريد أعداء الإسلام فتنه المسلمين عن

دينهم وتمزيق وحدتهم.

٣- النظر في القضايا الإسلامية بما يتحقق مع مصالح المسلمين وآمالهم

وحل مشكلاتهم^(١).

ب- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومن أبرز أهدافها:

١- العمل على التعريف بالإسلام بجميع الوسائل المناسبة على أوسع

نطاق.

٢- تمثيل الشباب والطلاب المسلمين والتعبير عن مشاعرهم، والتعرف

على المشكلات التي تعترضهم، ومحاولة إيجاد الحلول لها على هدي شريعة

الإسلام.

٣- دعم المنظمات والجمعيات الخاصة بالشباب والطلاب المسلمين في

أنحاء العالم، ومساعدتهم على تنفيذ مشاريعهم كلما أمكن.

ج- هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ومن أبرز أهدافها:

١- تقديم الغوث للمسلمين شعوباً وجماعات حيثما وجدوا؛ حين تحل بهم

الكوارث في أنفسهم أو ممتلكاتهم أو عقيدتهم أو حرياتهم.

٢- الاهتمام بالأقليات الإسلامية وتنمية مجتمعاتهم بالتعليم وغيره^(١).

(١) انظر: عبد الله المطوع، العمل الخيري المؤسسي، ص ٢٩١، و٣٢٧.

٢- جمع كلمة المسلمين للعناية بالأقليات المسلمة ورعايتها:

أ- أسس علاقة المملكة بالأقليات الإسلامية:

سعت المملكة العربية السعودية لجمع المسلمين من أجل مناقشة قضايا الأقليات والجاليات المسلمة، والتعرف على مشكلاتها، وما يعانون منه، والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لتلك المشكلات، فقد قامت المملكة بانتهاج هذا المنهج الخير، حين نادى بضرورة عقد مؤتمر إسلامي بقصد جمع شمل المسلمين، ودعمهم، والوقوف إلى جانب قضاياهم والتعرف على مشكلاتهم، التي يعانون منها، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

ومن ذلك أن سياسة المملكة العربية السعودية قامت على أسس راسخة لا

تتغير تجاه قضايا الأقليات الإسلامية في العالم ويمكن إجمالها فيما يأتي:

١- قيامها على أساس مبدأ الأخوة الإيمانية، ما يحمله هذا المبدأ من معاني

سامية، وما يمليه من واجبات على أطرافه كل بحسبه.

٢- قيامها على أساس النظر إلى الأقليات الإسلامية على أنها عضو من

أعضاء كيان الأمة الإسلامية، لها ما لهم، وعليها ما عليهم، والتأكيد على أهمية العمل الجماعي لهؤلاء الأعضاء جميعاً.

٣- قيامها على أساس أن نصرة الأقليات الإسلامية وبذل واجب الأخوة

الإيمانية لها والسعي لحل مشكلاتها لا يصح أن يكون بالتدخل في الشؤون

الداخلية للدول التي يعيشون فيها؛ لأن المملكة العربية السعودية لا ترضى أن

يتدخل أحد في شؤونها الداخلية، ولأن نصرة العمل الجاد يمكن أن يتحقق من

غير هذا الطريق الشائك^(٢).

(١) وزارة الشؤون الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٣١.

(٢) انظر: إبراهيم السماري، إنجازات المملكة في خدمة الإسلام، ٧/ ٧١٥.

وقد أعلنت المملكة العربية السعودية هذه الأسس في كل عصورها، وعلى امتداد ملوكها، فهي تمد يد العون لكل مسلم، ولا تتدخل في شؤون أي دولة مهما كان حجم علاقتها بها متينة وقوية في أي مكان في العالم. كما عملت المملكة من خلال مؤتمرات قمة منظمة المؤتمر الإسلامي، ومؤتمرات وزراء الخارجية بالمنظمة على دعم الأقليات، والجاليات الإسلامية ومساندتها.

حيث أنها ترى أن قضايا الأقليات المسلمة هي قضايا حيوية وهامة، وإن المسلمين في بعض الدول لا يتمتعون بحقوقهم السياسية، والدينية، التي تكفلها القوانين، والأنظمة الدولية، والمحلية، مع أن الإسلام يفرض على كل مسلم أن يكون مواطناً صالحاً، غيوراً على مصلحة وطنه.

وأن دعم الثقافة الإسلامية الأصيلة وحماية استقلال التعليم الإسلامي في مواجهة عوامل الغزو الثقافي والمسح والتشويه هي أهم أهداف تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي وهي الجهة المخولة بتبني قضاياهم، والدفاع عن حقوقهم داخل العالم الإسلامي^(١).

وقد دعت المملكة العربية السعودية لأول مؤتمر عالمي لقادة الجماعات والأقليات الإسلامية، في القارات الخمس، في مكة المكرمة، بهدف بحث أوضاع تلك الجماعات، والأقليات، ومناقشة أبرز القضايا التي تواجهها^(٢).

ب- نتائج رعاية المملكة للأقليات الإسلامية:

حققت رعاية المملكة العربية السعودية نتائج كبيرة -بفضل الله- للأقليات الإسلامية في أنحاء متفرقة من العالم على كافة المستويات: الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية ومن أهم هذه النتائج ما يأتي:

(١) عبد الله الأحسن، منظمة المؤتمر الإسلامي، ص ٩٤.

(٢) عبد المحسن الداود، مرجع سابق، ص ٣١-٣٢.

- ١- حل قسم كبير من المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها كثير من الأقليات الإسلامية بدعم من المملكة العربية السعودية ومتابعتها.
- ٢- نشر العقيدة الصحيحة والعلم الشرعي في كثير من التجمعات في قارات العالم، مع تأهيل الدعاة إلى الله وإيفادهم لبعض تلك الدول، ومنح قسم منهم فرصًا لتلقي العلم في معاهد وجامعات المملكة بجهود سخية من الدولة، مع مراعاة الأقليات الموجودة داخل المملكة منهم، ومنحهم التعليم والإقامة والرعاية.
- ٣- تبني عدد من مشاريع التنمية في كثير من الدول الإسلامية، وفي بعض التجمعات في الخارج، وفي كثير من المراكز والمساجد الإسلامية في الخارج.
- ٤- قيام بعض الحكومات غير المسلمة بإفساح الطريق أمام الأقليات الإسلامية للمشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في بلدانهم بفضل الدعم والمتابعة ماديا ومعنويًا من المملكة.
- ٥- إسقاط القروض الميسرة للدول الإسلامية الفقيرة، انطلاقًا من واجب الأخوة الإيمانية وامتدادًا للتكافل بين الدول الإسلامية^(١).

٣- الحفاظ على الهوية الإسلامية للأقليات، والجاليات المسلمة:

إدراكًا من المملكة العربية السعودية لأهمية المسجد في حياة المسلم اليومية، فقد عمدت إلى إقامة المساجد، والمراكز الإسلامية، التي تخدم المسلمين وتكفلت بتكاليفها كاملة، وزودتها باحتياجاتها من الأئمة والدعاة والمدرسين، وعملت على فرشها، وتزويدها بكل ما تحتاجه من مصاحف، وكتب إسلامية، وأولت المناطق التي توجد فيها الأقليات والجاليات المسلمة عناية

(١) إبراهيم السماري، مرجع سابق، ٧/ ٧١٥-٧١٦.

فائقة، وعملت على إنشاء المراكز الإسلامية والمساجد فيها لتقوم بواجبها في خدمتها.

٤ - العناية بالتعليم والدعوة:

إدراكاً من المملكة العربية السعودية لأهمية التعليم الإسلامي والدعوة إلى الله، قامت المملكة ببناء عدد من المؤسسات السعودية وسعت إلى بناء عدد من المؤسسات التعليمية، من جامعات، ومعاهد، ومدارس، وتحملت كافة نفقاتها، كما عمدت إلى مد يد العون إلى الكثير من المؤسسات التعليمية الإسلامية القائمة وإعانتها مادياً وعينياً حتى تقوم بواجبها المناط بها، أما على مستوى تعليم الجاليات داخل المملكة فقد قامت المملكة العربية السعودية مشكورة بتبني ودعم الجهود التعليمية الرامية إلى تعليم جميع الطلاب حتى ممن لا يحملون الجنسية العربية السعودية^(١).

(١) انظر: عبد الوهاب عبد الواسع، الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، ص ٣٤٩-٣٥٠، وعبد العزيز التويجري، المملكة العربية السعودية والعمل الإسلامي المشترك، ٧/ ٢٤١-٢٤٦.

الفصل الثاني

مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة

المبحث الأول نشأة مدارس الجاليات الخيرية بمكة ونظامها

المطلب الأول

تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية

تمتد أصول وأسس التربية والتعليم الحالية بالمملكة إلى بعثة النبي ﷺ وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية وحتى يومنا هذا. وتركزت نشاطات التعليم قديماً بالمساجد ثم الكتاتيب أو دور تعليم القراءة والكتابة وقراءة القرآن، وقد شهد التعليم قبيل بدء التعليم النظامي في المملكة ثلاث مراحل تتمثل فيما يلي:

- ١- تعليم تقليدي موروث يتمثل في الكتاتيب وفي حلقات الدروس في المساجد وفي مجالس العلماء في أنحاء البلاد.
 - ٢- تعليم حكومي باللغة التركية في مكة والمدينة مع وجود بعض المدارس العربية في أواخر حكم الدولة العثمانية.
 - ٣- مدارس عربية في الحجاز ولكنها كانت قليلة ومحصورة في بعض المدن، ولم تكن كافية لجميع الطلاب ومن أبرزها مدارس الفلاح بمكة المكرمة والتي ساهمت فيما بعد بأوفى نصيب في خدمة العلم، وأنجبت إلى اليوم عدداً عظيماً من الطلاب الذين شغلوا فيما بعد مناصب حكومية رفيعة^(١).
- وهناك تعليم تقليدي في جوهره ولكنه يحاول التجديد عن طريق إدخال بعض العلوم الجديدة في مناهجه، ويتمثل هذا التعليم خاصة في بعض المدارس الأهلية الموجودة بشكل أكثر في المنطقتين الشرقية^(٢) والغربية من المملكة، ومن

(١) انظر: محمد الشامخ، التعليم في مكة والمدينة أواخر العهد العثماني، ص ١٢ وما بعدها.

(٢) محمد آل عبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، ٢/ ٦٤٤-٦٤٥.

هذا النوع من التعليم بعض مدارس الجاليات بمكة المكرمة وخاصة المدارس الهندية^(١).

أ- نشأة التعليم النظامي وبداياته:

كان إنشاء مديرية المعارف في عام ١٣٤٤هـ حيث بدأ التوسع التعليمي الذي شمل مراحل التعليم وأنواعه إيماناً من الملك عبد العزيز بأن التنمية بعد توحيد البلاد لا تتم بدون التعليم.

ويمكن القول أن مكة المكرمة هي أول مدن المملكة العربية السعودية دخولاً في التعليم الحكومي الحديث، بالإضافة إلى المدينة المنورة، وتعتبر مدرسة الملك عبد العزيز (العزيرية) هي أول مدرسة حكومية نشأت في مكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز عام (١٣٤٥هـ)، ثم توالى إنشاء المدارس في مكة في عدد من السنوات حتى بلغ عددها (١٩) مدرسة في العام (١٣٧٣هـ) ويعني ذلك أن مكة المكرمة حصلت على النصيب الأوفر في المدارس الحكومية بين مدن المملكة الكبرى في عهد الملك عبد العزيز^(٢).

وفي عام ١٣٤٦هـ تم إنشاء مجلس المعارف والهدف من إنشائه وضع نظام تعليمي في الحجاز يقوم على الأسس التالية:

١- توحيد التعليم في الحجاز، والسعي لجعل التعليم الابتدائي إجبارياً ومجانياً.

٢- يكون التعليم من أربع مراحل، تحضيرية، ابتدائية، ثانوية، عالي، وبعد تحديد مسؤوليات مجلس المعارف عرفت البلاد نظام التعليم.

(١) انظر: أحمد السباعي، تاريخ مكة، ٥٨٠-٥٨٣، ومحمد طاهر كردي، التاريخ القويم، ٦/١٨٢.

(٢) انظر: محمد السلطان، التعليم في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٤٦.

والذي بالتعاون مع المديرية المذكورة وضع أول نظام تعليمي للبلاد لتغيير شكل التعليم الذي كان يعتمد بشكل كبير على الكتاتيب وبقايا غير مكتملة لمدارس الأتراك والهاشميين.

وفي عام ١٣٤٥هـ تم افتتاح المعهد العلمي السعودي ومدرسة تحضير البعثات في ١٣٥٥هـ ودار التوحيد في ١٣٦٤هـ كما أصدرت المديرية عددا من النظم التعليمية وفي عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) تأسست الإدارة العامة للمعاهد العلمية.

وقد بلغ عدد المدارس التي فتحت في عهد الملك عبد العزيز ٣١٢ مدرسة ابتدائية حكومية و ١٤ مدرسة ابتدائية أهلية و ١١ مدرسة ثانوية حكومية و ٤ مدارس ثانوية أهلية ومدرسة مهنية واحدة وثمانية معاهد لأعداد المعلمين وكلية للمعلمين وكلية للشريعة وست مدارس لتعليم اللغة الإنجليزية ومدرسة مسائية واحدة لتعليم الآلة الكاتبة^(١).

ويلاحظ أن السمة السائدة لهذه المرحلة هي الإنشاء والتأسيس لهوية جهاز التعليم وتحديد معالم سياسته.

وفي عام ١٣٧٣هـ تحولت مديرية المعارف إلى وزارة المعارف برئاسة الملك فهد بن عبد العزيز -يرحمه الله- كأول وزير لها فقام بتشكيل أول هيكل تنظيمي للوزارة وأنشأ إدارات وأقسام جديدة، ووجد أن الحاجة ماسة إلى تنظيم التعليم إدارياً وفنياً ليواكب أحدث النظم التعليمية في دول العالم المتقدمة، وبالفعل فقد تم إحداث التغيير اللازم في أجهزة الوزارة مما يمكنها من تحمل مسؤوليتها ونشر التعليم بجميع مراحل وأنواعه.

(١) سليمان الحقييل، نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، ص ١٣ وما بعدها.

وفي هذه المرحلة بدأت حملة ضخمة للتوسع في فتح المدارس والمعاهد بمختلف فئاتها وأنواعها كما ظلت ميزانية هذه الوزارة تتزايد وتتوسع حتى أضحت من أهم وزارات الدولة شأننا وأكثرها إنجازاً.

وفي هذه المرحلة أيضاً تم تأسيس الرئاسة العامة لتعليم البنات عام ١٣٨٠هـ وقد سبق تعليم الذكور تعليم البنات بحوالي (٣٦) عاماً، وكان السبب الرئيسي لذلك هو بعض المفاهيم الاجتماعية حول تعليم الفتاة في المجتمع السعودي، ولم يكن سبب التأخير في افتتاح مدارس البنات عدم الاهتمام بتعليمهن، وعندما اقتنع الجميع بأهمية تعليم المرأة تسابقوا إلى إلحاقهن بهذه المدارس خاصة وأن التعليم في المملكة موافق لما جاء به الإسلام حشمةً ووقاراً.

ثم تلتها وزارة التعليم العالي في عام ١٣٩٥هـ، وأخيراً المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في عام ١٤٠٠هـ. وهذه المرحلة تميزت بالنمو الأفقي لكافة أنواع التعليم وعلى مساريه العام والعالي، كما تميزت بوجود أهداف محددة وضعتها خطط التنمية الوطنية والتي زامت -آنذاك- الجزء الثاني من هذه المرحلة^(١).

ج- توسع التعليم وانتشاره:

في هذه المرحلة بدأت وزارات أخرى وجهات حكومية وأهلية تساهم في الإشراف على بعض أنواع التعليم مثل وزارات: الدفاع والطيران، والداخلية، والصحة، والعمل والشؤون الاجتماعية، والشؤون البلدية والقروية، والحرس الوطني، والبرق والبريد والهاتف، والخارجية، وكلها تسير حسب السياسة التعليمية التي ترسمها اللجنة العليا للتعليم في المملكة، وقد تميزت هذه المرحلة

(١) عبد الله بغدادى، الانطلاقة التعليمية، ١/ ١٨٧-١٨٨. وسليمان الحقييل، مرجع سابق، ٢٤٤.

بتشعب التوسع الأفقي والعمودي في افتتاح المدارس والمعاهد والكليات والجامعات المتخصصة في كل الفروع وفي معظم مناطق المملكة وعلى عدة محاور تشمل التعليم العام والتعليم العالي والتعليم الفني والتدريب المهني. والحقيقة أنه لا يسع المقام لسرد البيانات الإحصائية حولها^(١).

د- مرحلة المراجعة والتطوير:

بعد صدور النظام الأساسي للحكم في عام ١٤١٢هـ وتوجه الدولة إلى مراجعة كافة أنشطة ومهام الجهات الحكومية، فقد صدرت التوجيهات إلى وزارات الدولة ومنها الأجهزة المعنية بالتعليم لإحداث التغييرات اللازمة للتماشي مع روح النظام المذكور.

وقد كان لهذا التوجه أثر إيجابي على المستوى الدقيق في المناهج لتعليم الفرد، وعلى المستوى العام في الأداء الوظيفي للمعلم والجهاز التربوي، وقد تزامن هذا بطبيعة الحال مع التوجه الدولي للعولمة وثورة المعلومات والتي استدعت إعادة النظر في أسلوب التعامل مع اكتساب الطالب للمعرفة وطريقة استفادته منها ووسائل تمكينه من التمييز بين الملائم منها للقيم الإسلامية والعربية وتلك التي لا تلائمها.

وبناء على ذلك فقد تم إعادة النظر بشكل خاص في التركيبة الهيكلية لوزارتي التربية والتعليم والتي تغير مسماها من وزارة المعارف إلى وزارة التربية والتعليم في العام (١٤٢٤هـ) والتعليم العالي، وتم إيجاد عدد من الوظائف القيادية العليا بهما على مستوى وكلاء وزارة وذلك لمساعدة الوزراء للقيام بمهامهم وأعباء وزاراتهم بعد التوسع والتخصيص الجديد لمهام هاتين الوزارتين وخصوصاً بعد

(١) للاستزادة ينظر: سليمان الحقييل، نظام وسياسة التعليم، ٢٤١-٢٤٤.

صدور المراسيم المؤسسة لمجلس التعليم العالي ولنظم التعليم العالي والتعليم العام.

وقد تميزت هذه المرحلة بتكوين أجهزة تطويرية متخصصة في تلك الوزارات تعنى بالتطوير والتقييم المستمر، وقد كان نصيب الوزارتين من هذا التطوير الشيء الكثير، علاوة على إنشاء وحدات متخصصة بهما للتطوير والمتابعة وإعادة صياغة التعديلات المطلوبة على السياسة التعليمية لكلا الوزارتين من خلال التنسيق مع الجهات المعنية الأخرى عبر مجلس التعليم العالي ومجلس الوزراء^(١).

هـ- خصائص التعليم في المملكة العربية السعودية:

إن من أهم ما تتميز به السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية الثبات والوضوح، والتكامل والمرونة، مع الأخذ بمبدأ الأصالة والمعاصرة، فهي سياسة توجيهية وليست تفصيلية بحيث تضع الخطوط العريضة للعمل حتى تتمكن الأجهزة الفنية والإدارية من تنفيذ السياسة التعليمية بالصورة التي تمكنها من العمل في حرية واتخاذ القرارات وفقاً لما تراه مناسباً لحل المشكلات التي تواجهها.

وقد تجلت هذه الأولوية للعلم الشرعي في المملكة بدعم طلاب العلم الشرعي، وتحويله من دروس خاصة في المساجد محدود عدد طلابها فضلاً عن عدم الانتظام الإلزامي لهذه الدروس إلى دروس منظمة في مؤسسات تعليمية كالمعاهد الشرعية ثم الجامعات الحكومية على مختلف التخصصات الشرعية، كما تجلت هذه الأولوية بتطوير مجالات التطبيق للمؤهلين شرعياً قضاء وإفتاء

(١) محمد معجب الحامد وآخرون، التعليم في المملكة، ص ١٣٠.

وتدريسا وغيره، مما جعل للتعليم في المملكة العربية السعودية خصائص هامة ومميزات عديدة، ومن أهم هذه الخصائص الآتي:

١- تقرير المواد الشرعية قرآناً وسنة وعقيدة وفقهاً في المراحل الأولى والمتوسطة والثانوية.

٢- تقرير مواد (الدعوة والثقافة الإسلامية) التي تقدم التصور الشمولي للإسلام وتبرز عناصر تميز المسلم، وتنقد الفكر المعاصر لكشف صحاحه من خطئه وتقريرها في المرحلة الثانوية والدراسات الجامعية في كل تخصصاتها.

٣- تنقية المناهج من كل ما يخالف حقائق الكتاب والسنة عن الكون أو الإنسان أو الحياة أو غير ذلك.

٤- الاحتفاظ (بمصطلح العلم) للعلوم الشرعية، دون إنكار لوصف المعارف المادية.

٥- دعم العلوم العقلية والتقنية بصفاتها فروضاً كفاية، ووسائل لتحقيق المقاصد الشرعية.

٦- ربط العلم التقني بغاياته الشرعية من حيث:

أ- توظيف نتائج هذا العلم لتحقيق مصالح المجتمع تطبيقاً لشرع الله بإغناء المجتمع بأبنائه المسلمين، واستثمار تطوراته في الارتقاء بأداء الدولة في التنمية وحفظ الأمن ونحو ذلك.

ب- جعل العمل بهذا العلم عبادة لله، بحيث يمارس الطبيب والمهندس وأمثالهما عمله بهذه الروح، ويحس أنه متسق مع دينه، ومن ثم مع مجتمعه ودولته.

ج- رعاية الاتساق بين الديني والشرعي، بحيث يؤدي كل منهما دوره دون تنقص للآخر، وأن يخدم كل منهما صاحبه، فالتقني يدعم حركة الاجتهاد في المجال الشرعي، والشرعي يدعم حركة الإبداع في المجال التقني؛ من أجل بلورة

مسالك علمية ناجحة في تطوير المجتمع، أو على تحديد مواقف صحيحة تجاه مستجدات العصر، وأجلى ما يتبلور فيه هذا الاتساق بين المتخصص بالعلوم العصرية والمتخصص بالعلوم الشرعية في المملكة في مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة^(١).

٧- نفي الفكر الفلسفي بصفته فكرًا مستقلًا يعالج قضايا الأخلاق والقيم، سواءً كان مثاليًا أو ماديًا؛ لأن العلمين الشرعي والتقني كافيان في سد حاجة المسلم فردًا وجماعة، وتحقيق إنسانيته وسموه، ولهذا لا تدرس الفلسفة بمناهجها التخيلية في المملكة العربية السعودية^(٢).

(١) للاستزادة حول مجمع الفقه الإسلامي يرجع إلى الموقع الرسمي لرابطة العالم الإسلامي www.themwl.org.

(٢) انظر: عبد الرحمن الزبيدي، تطبيق الشريعة في المملكة وآثاره في الحياة، ص ١٦٠-١٦٣، بتصرف.

المطلب الثاني

نبذة عن المدارس بمكة المكرمة

قامت المدارس في المجتمعات الإسلامية إلى جانب المسجد والكتاب للإسهام في تربية الناس وتعليمهم.

ومن الأعمال الخيرية المهمة بمكة ذلك العدد الكبير من المدارس التي أُسِّت خلال العصور حول المسجد الحرام، وقد شهدت مكة المكرمة أول مدرسة في الإسلام وهي دار الأرقم بن أبي الأرقم، أما المدارس النظامية فقد عرفتها مكة مؤخرًا، ولعل مدرسة الأرسوفي هي أقدم مدرسة في مكة وموقعها بالقرب من باب العمرة وكان أول ظهور لها في الربع الأخير من القرن السادس الهجري، وأسس الأمير فخر الدين عثمان المعروف بالزنجيلي مدرسة في مكة نسبت إليه وعرفت بمدرسة الزنجيلي، وكذلك تم تأسيس عدة مدارس منها: مدرسة طاب الزمان، والمدرسة الشرايية، ومدرسة النهاوندي في أوائل القرن السابع الهجري، ومدرسة ابن أبي زكريا، والمدرسة المظفرية، ومدرسة دار العجلة، والمجاهدية، والأفضلية، ومدرسة الشريف بن عجلان، ومدرسة قايتباي، والمدرسة الباسطية وغيرها^(١).

وظهر بمكة المدارس الأربع وتسمى المدارس السلطانية أو المدارس السليمانية، ويظهر أنها كانت تجمع بين تعليم المذاهب الأربعة ولذلك فهي المدارس رباعية المذهب، أنشأها السلطان سليمان العثماني الملقب بالقانوني بين باب الزيادة وباب الدرية ليدرس علماء مكة فيها مذاهب الفقه وأن سبب بناءها إحياء علوم الشريعة^(٢).

(١) انظر: فيصل مقادمي، التعليم الأهلي للبنين في مكة، ص ٩٩.

(٢) انظر: ناجي معروف، مدارس مكة، ص ٢٤، وللاستزادة انظر: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام، ١/ ٣٦٤-٣٦٥.

ثم تنافس المسلمون من حكومات وأفراد في إقامة المدارس بجوار الحرم بعد ذلك، وكانوا يوقفون عليها أوقافاً في المناطق المجاورة لها أو خارج الحجاز كالشام ومصر وغيرهما^(١).

وقد انتشر في مكة ثلاثة أنواع من المدارس:

١ - مدارس ملحقة بالمسجد الحرام وبمحيطه.

كان التعليم في الحرمين الشريفين أعلى مرحلة للتعليم الديني في ما قبل العهد السعودي فلقد كان للتعليم فيهما الفضل الكبير في حفظ العلوم الشرعية وتخريج العلماء والمعلمين من خلال حلقات المساجد والكتاتيب، والتي كانت منتشرة في كل حي، وكانت مهمتها تعليم القرآن الكريم وتجويده وتعليم التلاميذ مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم الشرعية الأخرى كالفرائض، والحساب، وغيرها... إضافة إلى بعض المدارس الملحقة بالحرمين الشريفين وخاصة تلك الملحقة بالمسجد الحرام وهذه المدارس بنيت في الأصل لغرض التدريس، وأوقفت على نشر العلم، وعين لها المدرسون، وبلغت عدد هذه المدارس في أوائل القرن الرابع عشر الهجري أحد عشر مدرسة^(٢).

ولم تكن هذه الحلقات والمجالس منحصرة على مواد معينة، وإنما اتسمت المواد في مجموعها بالدارسات الدينية والأدبية والتاريخية، وكانت كذلك متنوعة في مستوياتها بحيث يستطيع كل راغب الانضمام إلى إحداها حسب مستواه العلمي وفي أي وقت يشاء^(٣).

الناحية العلمية لتلك الفترة: بقي التعليم في مكة في تلك العهود على وتيرته السابقة التي ورثها عن القرون السابقة ويتلخص في طلب العلم في حلقات

(١) انظر: عبد الرحمن صالح عبد الله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص ٦١ وما بعدها.

(٢) محمد علي مغربي، أعلام الحجاز ٤ / ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) حمد السلوم، الإدارة التعليمية في المملكة، الكتاب الثاني، تطور التعليم، ١٤٠٦ هـ ص ١١.

الدروس التي ينظمها العلماء في المساجد وفي المسجد الحرام على وجه الخصوص، أو في المدارس التي ينشئها المحسنون لإيواء الطلبة أو تدريسهم وفي بعض دور العلماء الذي كانوا يمنحون طلبتهم دروسًا خاصة في بعض العلوم الشرعية^(١).

٢- مدارس حكومية نظامية حديثة:

كان التعليم في مكة ضعيفًا في عهد الدولة العثمانية، وكان ممزوجًا باللغة التركية في بعض مدارسه، قراءةً وكتابةً، ولم يكن بمكة إلا عدد قليل من المدارس في العهد الهاشمي^(٢).

حتى جاء العهد السعودي فمنذ أن أعلن الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- تأسيس المملكة العربية السعودية عام (١٣٥١هـ)، كان همه الأكبر تشكيل جهاز للحكم يتولى إدارة أمور الدولة الجديدة ويلبي احتياجاتها، وفي عام (١٣٥٤هـ) وضع الشكل الأول لهذا الجهاز والذي تطور بإنشاء وزارة المالية ثم وزارة الخارجية، فوزارة الدفاع ثم أنشئت خمس وزارات إضافية عام (١٣٧٣هـ) قبل وفاته بعدة أشهر، وكان من بينها وزارة المعارف والتي تغير مسماتها فيما بعد ليصبح (وزارة التربية والتعليم) وقد حرصت هذه الوزارة الفتية على تجنيد كافة إمكانيات الدولة منذ ذلك العهد وحتى يومنا هذا على تحقيق نقلة نوعية في مستوى التعليم السعودي، وقدرته على التوسع والانتشار، وخطت الوزارة في سنواتها المتعاقبة في سبيل تنمية التعليم بكافة مستوياته وأنواعه ومجالاته ومراحلته حتى أصبحت التطورات الشاملة من مظاهر النمو والتقدم في المملكة^(٣).

(١) عبد الله غازي المكي، إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام ٢/ ٣٨٢.

(٢) محمد الشامخ، التعليم في مكة والمدينة، ص ١٠٣.

(٣) محمد بن معجب الحامد وآخرون، التعليم في المملكة العربية السعودية ٣٦-٣٧.

ولما كان التعليم مدعومًا من الدولة مادياً بمجانيته وصرف مكافآت لبعض مراحلها، ومعنوياً بتشجيعه، وتقدير صاحبه وظيفياً، فضلاً عما في شعور المسلم من قيمة شرعية للعلم وطلبه -لهذا- انطلقت نهضة تعليمية ممتدة أفقياً لكل فئات الشعب، ورأسياً في مراحل التعليم المختلفة حتى قفزت الأرقام بصورة كبيرة، وبات التعليم في المملكة يجمع بين الأصالة الحقيقية والمعاصرة الواعية.

٣- مدارس أهلية نظامية: وتنقسم إلى قسمين:

أ- مدارس أهلية خاصة (لعامة الناس).

توجد بمكة المكرمة عدة مدارس أهلية أسهمت -ولا تزال- في تنشئة الأجيال الواعدة، وعملت على نشر العلم والمعرفة فيما بينهم، منها ثلاثة قامت قبل العهد السعودي وهي: مدارس الفلاح، ومدرسة الصولتية، والمدرسة الفخرية العثمانية.

وقد أولى جلالة الملك عبد العزيز -رحمه الله- مدارس مكة الأهلية عنايته ورعايته منذ أوائل عهده، وحتى في عهود أبنائه البررة وهذا الدعم هو الذي مكنتها وغيرها من الاستمرار في أداء رسالتها.

كذلك فقد حرصت المملكة العربية السعودية ممثلة بوزارة التربية والتعليم على أن تشرف على المدارس الأهلية وتضع لها نظاماً خاصاً بها يمكنها من أداء رسالتها على أتم وجه.

وفي عام (١٣٥٧هـ) صدر نظام المدارس الأهلية الذي اشتمل على الأمور

التالية:

١- يسمى هذا النظام نظام المدارس الأهلية في المملكة العربية السعودية، ويقصد بالمدرسة كل مؤسسة أعدت للتعليم والتدريس وكانت مستوفية للشروط الصحية والأخلاقية.

٢- يشترط فيمن يريد فتح مدرسة أهلية أن يكون مسلماً وأن يكون ممن عُرف بحسن السيرة والسلوك، وعليه أن يقدم مع طلبه نسخة من المنهج الدراسي الذي ينوي تطبيقه في مدرسته.

٣- مؤسس المدرسة أو مديرها يجب أن يتقيد تقيداً تاماً بما يرد إليه من تعليمات من قبل مديرية المعارف العمومية.

٤- أن يكون المدير سعودي الجنسية، وهو مسئول عن تنفيذ جميع التعهدات التي تعهد بها المؤسس لمديرية المعارف.

٥- يجوز للمؤسس أو المدير تعديل المناهج التي أقرتها مديرية المعارف دون أخذ موافقة مجلس المعارف^(١).

وقد أدت المدارس الأهلية دوراً قيادياً في بداية الأمر ولكنها أخذت تتراجع شيئاً فشيئاً، ومعظم هذه المدارس تم إغلاقها، فعندما انتشرت المدارس الحكومية في أحياء مكة المكرمة وتكلفت الدولة بمجانبة التعليم وفي جميع المراحل أخذ أولياء الأمور يتجهون صوب المدارس الحكومية لأنها ضمنت لأبنائهم فرص التعليم المجاني.

ويضاف إلى ذلك أن بعض المدارس الأهلية هي دون المستوى المطلوب من حيث الوسائل التعليمية والأثاث المدرسي وعدم اهتمامها بانتقاء المعلمين والمعلمات ذوي الكفاءة العالية فبعض المدارس كان غالبية معلميه لا يحملون الشهادة الجامعية، وبعض مبانيها غير مجهزة تجهيزاً شاملاً وهذه العوامل أثرت سلباً على الطلبة وأرهقتهم.

كل هذه العوامل جعلت أولياء الأمور يتجهون للمدارس الحكومية والتي توفر كل الإمكانيات المتاحة التي تحقق العملية التربوية على أكمل وجه، ولكن لا يعني هذا إغلاقها نهائياً أو تهميش دورها إذ لا يزال بعضها مستمرًا في رسالته

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله، مرجع سابق، ص ٨٨.

العلمية نظرًا لما يتمتع به بعض هذه المدارس من سمعة علمية وماضي عريق، حيث خرجت أجيالاً -وما زالت- إلى اليوم تخدم العملية التعليمية على أفضل وجه، إضافة إلى توفر بعض الخدمات داخل المدارس الأهلية والتي تشجع أولياء الأمور على تسجيل أولادهم بها، وتدرّس بعض اللغات الأخرى كاللغة الإنجليزية وغيرها.

كما ينبغي الإشارة إلى المساعدات الفنية والمالية والتي تقدمها الحكومة السعودية لهذه المدارس، مما أدى إلى رفع مستواها العلمي والمادي عما قبل، لأن هذه المساعدات تساعد المدارس الأهلية على تغطية جزء من نفقات تلك المدارس وتسهم في رفع كفاءتها، وتخفف من الازدحام في المدارس الحكومية رغم استمرار النمو في بناء المدارس الحكومية^(١).

ب- مدارس الجاليات الأهلية الخيرية:

قام عدد من المسلمين قبل العهد السعودي بتأسيس مدارس أهلية ولعل من أبرز الأسباب التي دعت هؤلاء المسلمين إلى فكرة افتتاح المدارس الأهلية ما لاحظوه من فشل السلطات الرسمية قبل العهد السعودي في وضع بذور صالحة لنظام متكامل للتعليم، وشعور أبناء الأمة بتفشي الأمية، يضاف إلى ذلك محاولة بعض الولاة العثمانيين تترك أبناء العرب وتدرّس القرآن الكريم واللغة العربية باللغة التركية، هذه العوامل وغيرها دفعت عددًا كبيرًا من أبناء هذا الوطن وإخوانهم من المسلمين إلى التبرع بالمال والأرض والكتب والتعاون على افتتاح مجموعة من المدارس الأهلية، التي قامت على أكتاف رواد كبار التعليم، وخرجت أجيالاً مازالت تحمل المسؤولية، وتخدم المسلمين في نواحي كثيرة.

(١) عبيد زاهد قدسي، المدارس الأهلية في مكة المكرمة، ٣١-٣٢.

ومن أقدم هذه المدارس: المدرسة الصولتية التي أنشئت عام (١٢٩٢هـ) والمدرسة الفخرية العثمانية (١٢٩٨هـ) وغيرها، وقد استمرت في أداء رسالتها حتى بعد العهد السعودي، ومازال بعضها قائماً حتى اليوم، وأوردتها هنا كمدخل للحديث عن مدارس الجاليات الخيرية والتي يعد بعضها امتداداً لتلك المدارس وتمتمة لتلك الجهود المباركة.

ومما يلاحظ على مدارس مكة المكرمة أنها عُنيت عناية تامة بالعلوم الدينية، فقد كان الشغل الشاغل للمدارس تدريس العلوم الدينية على مذهب من المذاهب الشهيرة أو أكثر، فالمدرسة الأرغونية تدرس المذهب الحنفي، والمدرسة الغياثية تدرس على المذاهب الأربعة، ومدارس بني رسول تدرس الحديث وفقه الشافعي، وكلها أنشأها حكام مسلمون من خارج مكة، فهم يشعرون بانتمائهم إلى هذا الكيان الواحد، ولم تكن إجراءات السفر صعبة، بل كان أمر الانتقال بين الدول الإسلامية سهلاً من حيث معاملاته وإجراءاته مما سهل على العلماء المسلمين الرحلة في طلب العلم في ذلك الزمان. وأدى التركيز على الأمور الشرعية في ذلك الوقت إلى عدم العناية بالعلوم الدنيوية، تلك العلوم التي أبدع فيها علماء المسلمين، والواقع أن هذا القصور لا يقتصر على مدارس مكة وحدها في تلك العهود وإنما على معظم المدارس الإسلامية في الأقطار المختلفة^(١).

(١) من العلوم التي لم توجد بمكة علوم الطب والكيمياء وغيرها من علوم العصر الحديث ففي دمشق مثلاً كانت هناك ثلاثة مدارس للطب ولم يكن بمكة آنذاك أي مدارس تُعنى بهذه العلوم الهامة وقد خصص لها مؤلف الكتاب فصلاً مستقلاً انظر: عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ٢/١٠٠-١٠٢.

المطلب الثالث

نشأة هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية

أ- أسباب تأسيسها:

نبعت فكرة القيام بدراسة وضع المدارس الخيرية لأبناء الجاليتين البرماوية والأفارقة عندما لوحظ انتشار الكتاتيب والمدارس الخيرية بشكل عشوائي في أحياء متفرقة من مكة المكرمة، وبأعداد كبيرة مع اختلاف المناهج، والطرق والرؤى والأساليب، بالإضافة إلى تسرب أعداد أخرى من الأطفال الذين لم يتح لهم الالتحاق بهذه المدارس في الشوارع العامة، وداخل الأحياء مما أكد الحاجة إلى تنظيم تلك المدارس والكتاتيب، وتوحيد العمل بها ووضع الخطط والبرامج التي من خلالها تحقق الأهداف التي من أجلها أنشئت والقضاء على الكثير من السلبيات التي كانت مصاحبة لهذه الاجتهادات مثل:

- ١- اختلاط البنين والبنات في بعض المدارس.
 - ٢- العشوائية في الأنظمة التي تدير العمل في تلك المدارس.
 - ٣- عدم وجود خطط دراسية من حيث المناهج، والجدول الدراسي، وعدد الأيام الدراسية، ووجود معلمين غير مؤهلين وكبار في السن.
 - ٤- اختلاف اللغات واللهجات التي يتم التعليم بها داخل هذه المدارس^(١).
- كل هذه الأسباب وغيرها دعت أهل العلم والمعرفة، وذوي الخير والصلاح إلى البحث عن هيئة تتبنى الإشراف على هذه المدارس وتنظيمها، وتسعى إلى تحقيق أهدافها التعليمية والدعوية، من خلال جهات رسمية تتبنى دعمها والمشاركة في تقييم مستواها الإداري والتعليمي، فنشأت فكرة إقامة هيئة

(١) مجموعة من الباحثين، من تاريخ التعليم في المملكة، ص ١٥٦.

مستقلة تتولى الإشراف عليها ومتابعتها، ويقوم عليها ثلة من أهل العلم بدعم سخّي من الخيرين في هذا البلد الطيب^(١).

ب- المدارس الخيرية لأبناء الجاليات البرماوية:

بعد أن تمت الدراسة الميدانية عام (١٤١٣ هـ) من قبل الإدارة العامة للتربية والتعليم بالعاصمة المقدسة نظرًا لما لوحظ من انتشار المدارس والكتاتيب الخيرية، وكان ذلك يتطلب جهدًا لإقناع القائمين عليها وأولياء الأمور للإدلاء بالمعلومات اللازمة والتعرف على واقع ومواقع هذه المدارس^(٢).

وخلصت اللجنة إلى تقرير شامل اتضح من خلاله أن عدد المدارس والكتاتيب التي تم حصرها وجمع المعلومات عنها هي (٩٧) مدرسة داخل مدينة مكة المكرمة وفي أحياء متفرقة كحي النكاسة، وأم النبع، وحارة اليمن، والحفاير، وغيرها، ومواقع وعرة وسجلت جميع المعلومات اللازمة عن كل مدرسة على حدة وقد بلغ العدد الإجمالي للطلاب آنذاك (١٠٢٦٢) طالبًا منهم من يحمل الإقامة النظامية ومنهم من لا يحملها، إضافة إلى ما تم تسجيله من ملاحظات على المباني وازدحام الطلاب، وعدم تهيئة الجو المناسب، وعدم وجود معلمين متخصصين، وعدم وجود خطة تعليمية واضحة لهذه المدارس..... وغيرها.

وبعد أن تمت دراسة المشروع تم رفعه لمقام سمو وزير الداخلية بخطاب معالي وزير المعارف آنذاك، وتمت الموافقة عليه بتاريخ (١٨/١٢/١٤١٣ هـ) وتلخصت مرئيات الدراسة فيما يلي:

١- إلحاق الطلاب الحاصلين على إقامات نظامية ممن تنطبق عليهم الشروط بالمدارس الحكومية بعد إجراء اختبار تحديد مستوى لهم في مناهج المرحلة الابتدائية.

(١) أحمد العمودي، مدير الإدارة التنفيذية، لقاء أجرته معه بتاريخ (٢١/١/١٤٣٠ هـ).

(٢) مجموعة من الباحثين، من تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص ١٥٧.

- ٢- اختصار عدد المدارس والإشراف عليها من قبل المنطقة التعليمية.
 ٣- تزويدها بالمقررات الدراسية لضمان تطبيق منهج الوزارة والالتزام به.
 ٤- توحيد اللوائح الداخلية لهذه المدارس، وجعلها تسير جنباً إلى جنب مع المدارس الحكومية.

وقد تم تطبيق المشروع منذ بداية العام الدراسي (١٤١٤هـ - ١٤١٥هـ) حيث تم اتخاذ الخطوات التالية:

- ١- تقليص عدد المدارس الخيرية البرماوية الابتدائية من سبع وتسعين مدرسة إلى سبع وثلاثين مدرسة، وقد تم إلحاق من يحملون إقامة نظامية بالمدارس الحكومية المجاورة بعد أن أجريت لهم اختبارات تحديد مستوى لطلاب المرحلة الابتدائية فقط، في حين أُتيح لكبار السن منهم التقدم للاختبار بنظام الدراسة بالمنازل.

- ٢- تم تزويد تلك المدارس بالمقررات الدراسية، وبعض المعلمين السعوديين في تخصصات التربية الإسلامية واللغة العربية.

ج- المدارس الخيرية لأبناء الجاليات الأفريقية:

نظراً لما حققه مشروع المدارس البرماوية من نجاح فقد بدأ العمل على إعداد مشروع مماثل خاص بالجالية الأفريقية غير العربية وبنفس الخطوات السابقة، وتم رفع المشروع لسمو وزير الداخلية وتم تعميم إدارة التعليم بالعاصمة المقدسة -آنذاك- إدارة التربية والتعليم حالياً - باتخاذ اللازم، وعلى ضوء ذلك تم دمج مدارس الأفارقة وتقليص عددها من إحدى وثلاثين مدرسة إلى ثلاث عشرة مدرسة وتم تزويدها بالمقررات الدراسية والخطة الدراسية وبعض المعلمين الوطنيين، وبعد ذلك تم تشكيل لجنة لدراسة أوضاع هذه المدارس وخلصت إلى تأييد ما ورد في ما ورد في المشروع المقدم من الوزارة نظراً لما حققه من نتائج وأهداف محددة وأن يعمم على الجمعيات الخيرية بعدم تقديم

الدعم لأي مدرسة خيرية إلا بعد التنسيق مع إدارة التربية والتعليم بالعاصمة المقدسة، وأن تتولى الرئاسة العامة لتعليم البنات تزويد المدارس الخيرية من هذه الجاليات بالمناهج والمقررات الدراسية، وأن تقوم بدراسة موضوع تطبيق هذا المشروع على الطالبات لتلك الفئة.

وبذلك تنقسم المدارس الخيرية إلى قسمين تبعاً للمجتمع الذي تخدمه، فهناك مدارس الجاليات البرماوية، وهناك مدارس الجاليات الأفريقية ولا يمنع ذلك من تواجد بعض الجنسيات الأخرى من الدول الإسلامية كالسودان، ومالي، واليمن، وباكستان، وبنغلاديش.

ويبلغ عدد المدارس لهذا العام (١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ) (١):

أ- مدارس البنين والبنات:

| | |
|----------------------------|---------------|
| عدد المدارس والدور الشرعية | ٢٤ مدرسة ودار |
| عدد مدارس البنات | ١٥ مدرسة |

ب- عدد المدارس

| المرحلة الابتدائية | المرحلة المتوسطة | المرحلة الثانية |
|--------------------|------------------|--------------------------|
| بنين ١٢ مدرسة | ٧ مدارس - ٣ دور | مدرسة واحدة - ودار واحدة |
| بنات ١١ مدرسة | ٤ مدارس | لا يوجد |

ج- عدد المعلمين والإداريين (بنين):

| | |
|---------------------|-----------------------|
| عدد المعلمين: ٢٥٦ | الإداريين: ٢١ إدارياً |
| عدد الطلاب الدارسين | ٤٧٦٣ طالباً |

د- عدد المعلمات والإداريات (بنات):

| | |
|-------------------------|----------------------|
| عدد المعلمات: ١٤٧ معلمة | الإداريات: ٢٥ إدارية |
| عدد الطالبات: | ٢٦٩٩ طالبة |

وبذلك يصبح العدد الكلي لمدارس الجاليات الخيرية التابعة للهيئة هو (٣٩) مدرسة بنين وبنات، والعدد الكلي للطلاب والطالبات هو (٧٤٦٢) طالباً وطالبة وعدد المعلمين والمعلمات هو (٤٥٩) معلماً ومعلمة.

ج- تأسيس هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية:

هي هيئة تعنى بنشر العلم بين صفوف الجاليات المقيمة في بلاد الحرمين الشريفين - حرسها الله - بفضل من الله ثم بفضل أهل الحل والعقد.

(١) هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، تقرير الإنجازات بالمدارس التابعة للهيئة للعام الدراسي ١٤٣٠-١٤٣١هـ.

وابتدر هذا العمل ثلة من رجال العلم والمعرفة والتربية والتعليم بمكة المكرمة وعضوية جم غفير من المشايخ الفضلاء وأعيان مكة النبلاء^(١). وتشرف الهيئة حالياً على (٤١) مدرسة للبنين والبنات؛ يدرس فيها ما يربو على (٧٤٦٢) طالب وطالبة، ويتولى التدريس بها نخبة من طلبة العلم وحفظة كتاب الله.

وهذا العدد يمثل نصف مدارس الجاليات بمكة المكرمة إذ لا يزال بعض مدارس الجاليات الخيرية خارج إشراف الهيئة نظراً لقلّة الإمكانيات أو عدم توفر الشروط في بعضها للانضمام إلى هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية. وتنتشر مدارس الهيئة بين شعاب مكة ووهادها في الأحياء التي تسكنها الجاليات البرماوية والإفريقية والبنغالية وغيرها من الجنسيات وتتطلع الهيئة إلى استيعاب جميع المدارس الخيرية ولكن فور تحسن أوضاعها المالية^(٢). وقد تطور أداء هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية منذ بدايتها وحتى اليوم -بفضل الله- ثم بفضل جهود القائمين عليها، والدعم اللا محدود من لدن حكومة المملكة العربية السعودية وأهل الخير فيها، واستحقت بجدارة كل النجاحات التي حققتها على المستوى الاجتماعي والمستوى التعليمي وشهد بذلك كل من اطلع على إنجازاتها، أو لمس جدية الطلاب الدارسين بها وإقبالهم على ما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم، وهذه الثمرات اليانعة ما كان لها أن تتحقق إلا بالجهود المباركة للإخوة القائمين عليها، بعد توفيق المولى جل وعلا لهم في مسيرتهم التعليمية.

(١) من بينهم: معالي الشيخ: صالح الحصين، والشيخ عبد العزيز العجلان، والشيخ عبد الرحمن فقيه، والشيخ عبد البارئ الثبتي، والشيخ عبد العزيز الفارسي، وغيرهم.
(٢) هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، كتيب تعريفى بعنوان: من نحن، ص ٣.

المطلب الرابع نظام مدارس الجاليات الخيرية

هي مدارس خيرية نظامية من حيث الدوام والامتحانات والإجازات متوافقة مع نظام وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، ومناهجها ومقرراتها هي نفس مقررات وزارة التربية والتعليم، إلا أنها تختص بالجاليات المقيمة بمكة المكرمة، ويقوم عليها معلمون من أبناء هذه الجاليات ومن غيرهم تبعاً للأحياء التي تسكنها الجاليات وهؤلاء المعلمون يتفاوتون من حيث مؤهلاتهم العلمية، فمنهم من يحمل الشهادة الجامعية، ومنهم من يحمل الثانوية العامة، ومنهم من تخرج من معهد الحرم المكي أو دار الحديث الخيرية ويتم اختبارهم من قبل هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية^(١).

أ- الفرق بين مدارس الجاليات الخيرية ومدارس وزارة التربية والتعليم:
تختلف مدارس الجاليات الخيرية عن مدارس وزارة التربية والتعليم في عدة أمور منها:

١- أن طلابها المنتظمين بهذه المدارس هم من غير السعوديين، ومن أصول غير عربية، ولدى بعضهم إشكالات تتعلق بالإقامة النظامية كحال الجالية البرماوية تمنعهم من الالتحاق بالمدارس الحكومية، أو لقلة المقاعد المخصصة لاستيعابهم.

٢- أن جميع طلاب هذه المدارس يخضعون لسنة تمهيدية قبيل التحاقهم لصفوف الدراسة والغرض من الدراسة فيها تعليمهم اللغة العربية، وبعض العلوم الشرعية الأخرى.

(١) عمر عطار، مدارس الجاليات الإسلامية الأفريقية الخيرية، ص ٢٠٥.

- ٣- أن من بين طلاب المدارس حفظة لكتاب الله تعالى، وغالبيتهم يلتحقون بحلقات التحفيظ القرآن الكريم في المساجد القريبة منهم عصرًا.
- ٤- أن بعض هذه المدارس تُدرس مناهج معهد الحرم المكي الشريف كمدرسة دار أبي بكر الصديق المتوسطة، ومدرسة دار عثمان بن عفان، ودار عمر -رضي الله عن الجميع- وهو منهج قائم على العلوم الشرعية.
- ٥- أن معظم معلمي هذه المدارس ينتمون إلى نفس الجاليات مما يسهل عملية التواصل معهم، ويجعل أساليب التخاطب بينهم أقرب إلى الفهم مع وجود معلمين موفدين من وزارة التربية والتعليم^(١).

ب- مهام هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية:

من أبرز مهام هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية:

- أ- الإشراف على سير المدارس وفق الأساليب التربوية الحديثة والمتمشية مع العقيدة الإسلامية السمحة.
- ب- تسهيل العملية الإدارية فيما بين المدارس والتنسيق فيما بينها.
- ج- الحرص على أن يكون العمل جماعياً والاستفادة من خبرات الآخرين.
- د- التخطيط الصحيح لما ستكون عليه المدارس مستقبلاً.
- هـ- تأمين احتياجات المدارس بالجهود المشتركة.
- و- تقويم عملية الأداء داخل المدارس سواء كان وظيفياً أو تعليمياً.
- ز- معالجة الأخطاء التي قد تقع.
- ح- حل المشكلات التي قد تطرأ أثناء العملية التعليمية.
- ط- ترسيخ العمل الجماعي.
- ي- ضمان سير المدارس وفقاً لمنهج وزارة التربية والتعليم.

(١) أحمد العمودي، مدير الإدارة التنفيذية لهيئة الإشراف، اللقاء الثاني بتاريخ (٢١/٢/١٤٣١هـ).

ك- المحافظة على طلاب الجاليات المقيمة بمكة المكرمة ووقايتهم من أسباب الانحراف والضياع^(١).

وهذه المهام تخرج شباباً مسلماً معتزاً بدينه، وترسخ لديه القيم والمبادئ الإسلامية الحميدة، وتحفظ الطلاب من الضياع والانحراف، خاصة وأن معظم معلمي هذه المدارس هم من طلبة العلم الشرعي، ومن حفظة كتاب الله، والإشراف يقوم على متابعتهم وتذليل الصعاب أمامهم، ليصلوا إلى أهدافهم الدعوية بكل يسر وسهولة فينفعوا أمتهم ومجتمعاتهم.

ج- عدد المدارس التابعة لهيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية:

وتعداد هذه المدارس للعام الدراسي (١٤٣٠-١٤٣١هـ) التي تشرف عليها

الهيئة ما يأتي:

أ- المرحلة الابتدائية بنين:

١- مدرسة ابن عبد البر.

٢- مدرسة عياش بن أبي ربيعة.

٣- مجمع أبي بكر.

٤- أهل الخير.

٥- مجمع الزامل.

٦- عبد الله بن سلام.

٧- الدعوة.

٨- محمد بن مسلمة.

٩- إمام الدعوة.

١٠- العزيزية.

(١) عمر عطار، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

١١- البركة.

ب- دور المرحلة المتوسطة والثانوية:

- ١- دار أبي بكر الصديق المتوسطة والثانوية.
- ٢- دار عمر بن الخطاب المتوسطة.
- ٣- دار عثمان بن عفان المتوسطة.

ج- المرحلة المتوسطة والثانوية العامة:

- ١- مجمع الزامل المتوسطة والثانوية.
- ٢- العزيزية المتوسطة.
- ٣- البركة المتوسطة.
- ٤- محمد بن مسلمة المتوسطة^(١).

د- مدارس البنات:

- ١- الابتدائية:
 - أ- أسماء بنت أبي بكر.
 - ب- الشيماء بنت الحارث.
 - ج- أم المؤمنين حفصة.
 - د- خديجة بنت خويلد.
 - هـ- الخنساء.
 - و- سمية بنت خباط.
 - ز- صفية بنت حيي.
 - ح- الشفاء بنت الحارث.
 - ط- فاطمة الزهراء.

(١) هيئة الإشراف على مدارس الجاليات، التقرير السنوي للعام ١٤٣١هـ ص ٢.

- ي- نسبية بنت كعب.
- ك- لبابة بنت الحارث.
- ٢- المرحلة المتوسطة:
- أ- الشيماء بنت الحارث المتوسطة.
- ب- صفية بنت حيي المتوسطة.
- ج- خولة بنت الأزور المتوسطة.
- د- خديجة بنت خويلد المتوسطة^(١).

(١) المصدر السابق، ص ٥٩.

المبحث الثاني أهداف مدارس الجاليات بمكة وعلاقتها بالدعوة

المطلب الأول

أهداف التعليم بالمملكة العربية السعودية

السياسية التعليمية في المملكة العربية السعودية تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقاً وشرعية وحكماً ونظاماً متكاملًا للحياة، وهي جزء أساسي من السياسة العامة للدولة يسير وفق التخطيط المفصل فيما يلي:

أ- الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم:

- ١- الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.
- ٢- التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة، وأن الوجود كله خاضع لما سنه الله تعالى، ليقوم كل مخلوق بوظيفته دون خلل أو اضطراب.
- ٣- أن الحياة الدنيا مرحلة إنتاج وعمل، يستثمر فيها المسلم طاقاته عن إيمان وهدى للحياة الأبدية الخالدة في الدار الآخرة، فالיום عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.
- ٤- تحقيق الرسالة المحمدية؛ فهي المنهج الأقوم للحياة الفاضلة التي تحقق السعادة لبني الإنسان وتنقذ البشرية من الظلمات إلى النور.
- ٥- الإيمان بالكرامة الإنسانية التي قررها القرآن الكريم وأناط بها القيام بأمانة الله في الأرض قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١).
- ٦- أن العلوم الشرعية أساسية في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

والثانوي بفروعه، والثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي.

٧- توجيه العلوم والمعارف بمختلف أنواعها ومواردها منهجاً وتأليفاً وتدريساً وجهة إسلامية في معالجة قضاياها والحكم على نظرياتها وطرق استثمارها حتى تكون منبثقة من الإسلام متناسقة مع المنهج الإسلامي السديد.

٨- ربط التربية والتعليم في جميع المراحل بخطة التنمية العامة للدولة مع تزويد الفرد بالأفكار والمشاعر والقدرات اللازمة لحمل رسالة الإسلام.

٩- تعزيز الثقة الكاملة بمقومات الأمة الإسلامية وأنها خير أمة أخرجت للناس، والإيمان بوحدتها على اختلاف أجناسها وألوانها وتباين ديارها قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

١٠- شخصية المملكة العربية السعودية متميزة بما خصها الله به من حراسة المقدسات وحفاظها على مهبط الوحي، واتخاذها الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ودستور حياة واستشعار مسؤوليتها العظيمة في قيادة البشرية بالإسلام وهدايتها إلى الخير.

١١- الدعوة إلى الإسلام من خلال التعليم هداية للعالمين وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور وارتفاعاً بالبشر في مجال العقيدة إلى التوحيد الخالص.

١٢- تحقيق القوة في أسمى صورها وأشمل معانيها: قوة العقيدة، وقوة الخلق، وقوة الجسم، لقوله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا، ولكن قل، قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(٢).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير

١٣- تقرير حق الفتاة في التعليم بما يلائم فطرتها ويعددها لمهمتها في الحياة على أن يتم هذا بحشمة ووقار، وفي ضوء الإسلام، فإن النساء شقائق الرجال.

١٤- أن فرص النمو مهياً أمام الطالب للمساهمة في تنمية المجتمع الذي يعيش فيه ومن ثم الاستفادة من هذه التنمية التي شارك فيها.

١٥- أن طلب العلم فرض على كل فرد بحكم الإسلام، ونشره وتيسيره في المراحل المختلفة واجب على الدولة بقدر وسعها وإمكاناتها^(١).

فهذه الأسس قائمة على تلبية حاجات المجتمع المسلم وتحقيقاً لأهداف الأمة المحمدية، وهي تشمل حقول التعليم ومراحلها المختلفة، والخطط والمناهج والوسائل التربوية والنظم الإدارية والأجهزة القائمة على التعليم وسائر ما يتصل به ومدارس الجاليات الخيرية منضوية تحت هذه السياسية، سائرة على هذا المنهج الحكيم في توجيه المعارف والعلوم توجيهاً إسلامياً يتفق مع المثل العليا التي جاء بها الإسلام للقيام بالحضارة الإنسانية الرشيدة التي تهتدي برسالة محمد ﷺ لتحقيق العزة في الدنيا والفوز والسعادة في الآخرة^(٢).

ب- الأهداف الإسلامية العامة التي تحقق غاية التعليم:

غاية التعليم فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملًا، وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلامية وبالمثل العليا وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة، وتطوير

الله، ٤/٢٠٢٥، رقم (٢٦٦٤).

(١) انظر: عبد الله محمد الزيد، التعليم في المملكة العربية السعودية، أنموذج مختلف، ٤٩-٥١، بتصرف.

(٢) للاستزادة حول الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم في المملكة العربية السعودية انظر: عبد الله بغدادي، الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية ١/٥٨١-٥٨٢.

المجتمع المسلم اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وتهيئة الفرد ليكون عضواً نافعاً في بناء مجتمعه.

وللتعليم في المملكة العربية السعودية أهداف وغايات سامية لكل مرحلة من مراحلها ومن أهم هذه الأهداف بحسب مراحلها:

١- المرحلة الابتدائية وأهدافها:

المرحلة الابتدائية هي القاعدة التي يرتكز عليها إعداد الناشئين للمراحل التالية من حياتهم وهي مرحلة عامة تشكل أبناء الأمة جميعهم، وتزودهم بالأساسيات من العقيدة الصحيحة والاتجاهات السليمة، والخبرات والمعلومات والمهارات. ومن أهداف هذه المرحلة:

أ- تعاهد العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفس الطفل ورعايته بتربية إسلامية متكاملة في خلقه وجسمه وعقله ولغته وانتمائه إلى أمة الإسلام.

ب- تدريبه على إقامة الصلاة وأخذه بأداب السلوك والفضائل.

ج- تنمية المهارات الأساسية المختلفة وخاصة المهارة اللغوية والمهارة العددية والمهارات الحركية.

د- تزويده بالقدر المناسب من المعلومات في مختلف الموضوعات.

هـ- تنمية وعيه ليدرك ما عليه من الواجبات وماله من الحقوق، في حدود سنه وخصائص المرحلة التي يمر بها وغرس حب وطنه في نفسه والإخلاص لولادة أمره.

و- توليد الرغبة لديه في الازدياد من العلم النافع والعمل الصالح وتدريبه على الاستفادة من أوقات فراغه.

ز- إعداد الطالب لما يلي هذه المرحلة من مراحل حياته.

ح- تعريفه بنعم الله عليه في نفسه وفي بيئته الاجتماعية والجغرافية ليحسن استخدام النعم وينفع نفسه ومجتمعه.

٢- المرحلة المتوسطة وأهدافها:

المرحلة المتوسطة مرحلة ثقافية عامة غايتها تربية الناشئ تربية إسلامية شاملة لعقيدته وعقله وجسمه وخلقه، يراعى فيها نموه وخصائص الطور الذي يمر به، وهي تشارك غيرها في تحقيق الأهداف العامة من التعليم.

ومن أهم أهداف التعليم المتوسط ما يلي:

- ١- تمكين العقيدة الإسلامية في نفس الطالب وجعلها ضابطة لسلوكه وتصرفاته وتنمية محبة الله وتقواه وخشيته في قلبه.
- ٢- تزويده بالخبرات والمعارف الملائمة لسنه، حتى يلم بالأصول العامة والمبادئ الأساسية للثقافة والعلوم.
- ٣- تشويقه إلى البحث عن المعرفة وتعيده التأمل والتتبع العلمي.
- ٤- تنمية القدرات العقلية والمهارات المختلفة لدى الطالب وتعاهدتها بالتوجيه والتهذيب.
- ٥- تربيته على الحياة الاجتماعية الإسلامية التي يسودها الإخاء والتعاون وتقدير التبعة وتحمل المسؤولية.
- ٦- تدريبه على خدمة مجتمعه ووطنه وتنمية روح النصح والإخلاص لولاية الأمر.
- ٧- حفز همته لاستعادة أمجاد أمته المسلمة التي ينتمي إليها مع المحافظة على مكتسبات الوطن واستئناف السير في طريق العز والمجد.
- ٨- تعويده على الانتفاع بوقته في القراءة المفيدة واستثمار فراغه في الأعمال النافعة وتصريف نشاطه بما يجعل شخصيته الإسلامية مزدهرة قوية.
- ٩- تقوية وعي الطالب ليعرف -بقدر سنه- كيف يواجه الإشاعات المضللة والمذاهب الهدامة والمبادئ الدخيلة.

١٠- إعدادة لما يلي هذه المرحلة من مراحل الحياة^(١).

٣- أهداف المرحلة الثانوية:

للمرحلة الثانوية طبيعتها الخاصة من حيث سن الطلاب وخصائص نموهم فيها وهي تستدعي ألواناً من التوجيه والإعداد وتضم فروعاً مختلفة يلتحق بها حاملو الشهادة المتوسطة وفق الأنظمة التي تضعها الجهات المختصة، فتشمل: الثانوية العامة وثانوية المعاهد العلمية ودار التوحيد والمعاهد والدور التابعة للجامعة الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكذلك مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة حيث افتتحت بها عدة مدارس ثانوية للبنات والبنين وغيرهم.

وهذه المرحلة تشارك غيرها من المراحل في تحقيق الأهداف العامة للتربية والتعليم بالإضافة إلى ما تحققه من أهدافها ومن أهمها:

أ- متابعة تحقيق الولاء لله وحده وجعل الأعمال خالصة لوجهه ومستقيمة في كافة جوانبها على شرعه.

ب- دعم العقيدة الإسلامية التي تستقيم بها نظرة الطالب إلى الكون والحياة في الدنيا والآخرة، وتزويده بالمفاهيم الأساسية والثقافة الإسلامية التي تجعله في حصن حصين من الأفكار والمذاهب المنحرفة.

ج- تمكين الانتماء الحي لأمة الإسلام الحاملة لراية التوحيد.

د- تحقيق الوفاء للأمة الإسلامية وللوطن الخاص المملكة العربية السعودية بما يوافق هذه السن من المعلومات والحقائق.

(١) انظر: سليمان الحقييل، نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، ص ٦٥ وما بعدها، وعمر عطار، مدارس الجاليات الإسلامية الأفريقية والبرماوية الخيرية بمكة المكرمة ١٩٩-٢٠٠.

هـ- تعاهد قدرات الطالب، واستعداداته المختلفة التي تظهر في هذه الفترة وتوجيهها وفق ما يناسبه وما يحقق أهداف التربية الإسلامية في مفهومها العام.
و- تنمية التفكير العلمي لدى الطالب وتعميق روح البحث والتجريب والتتبع المنهجي واستخدام المراجع والتعود على الطرق الدراسية السليمة.
ز- إتاحة الفرصة أمام الطلاب القادرين وإعدادهم لمواصلة الدراسة - بمستوياتها المختلفة- في المعاهد العليا والكليات الجامعية في مختلف التخصصات.

ح- تهيئة سائر الطلاب للعمل في ميادين الحياة بمستوى لائق.
ط- تخريج عدد من المؤهلين مسلكياً وفتحاً لسد حاجة البلاد والبلاد الإسلامية الأخرى في المرحلة الأولى من التعليم والقيام بالمهام الدينية والأعمال الفنية من زراعية وتجارية وصناعية وعلوم شرعية وغيرها.
ي- تحقيق الوعي الأسري لبناء أسرة إسلامية سليمة.
ك- إعداد الطلاب للجهاد في سبيل الله بالقلم وبالسنان، روحياً وبدنياً وذهنياً.

ل- رعاية الشباب على أساس الإسلام، وعلاج مشكلاتهم الفكرية والانفعالية، ومساعدتهم على اجتياز هذه الفترة الحرجة من حياتهم بنجاح وسلام.

م- إكسابهم فضيلة المطالعة النافعة والرغبة في الازداد من العلم والعمل الصالح واستغلال أوقات الفراغ على وجه مفيد تزدهر به شخصية الفرد وأحوال المجتمع تكوين الوعي الإيجابي الذي يواجه به الطالب الأفكار الهدامة والاتجاهات المضللة^(١).

(١) انظر: عبد الله بن محمد الزيد، التعليم في المملكة ٦٣-٦٥.

ن- إتاحة الفرصة أمام النابغين من أبناء مدارس الجاليات الخيرية للدراسات العليا في التخصصات العلمية المختلفة.

س- ترجمة العلوم الشرعية وبعض كتب العقيدة إلى اللغات الأخرى عبر تكوين ملكة لغوية للطلاب الدارسين بمدارس الجاليات الخيرية لينتفع بها أقوامهم.

ع- المساهمة في تخفيف الأعباء الاقتصادية عن أرباب الأسر والضعفاء وذلك بتهيئة أبناء هذه الجاليات لسوق العمل والمساهمة في مد يد العون والمساعدة لأهاليهم.

المطلب الثاني

أهداف مدارس الجاليات الخيرية بمكة

أهدافها:

- ورد في نشرة إدارة التربية والتعليم بالعاصمة المقدسة^(١) أن الأهداف التي تسعى إليها من خلال الإشراف على المدارس الخيرية هي:
- ١- ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس أبناء هاتين الجاليتين وغيرهم من أبناء الجاليات الأخرى بحيث تصبح جزءاً من تكوينه الكلي وجعل كل الأعمال خالصة لوجهه الكريم ومستقيمة في كافة جوانبها على شرعه.
 - ٢- تعليم من يحملون إقامة نظامية ولم يتم قبولهم في المدارس الحكومية لعدم توفر شروط القبول فيهم وللقضاء على أميتهم وتزويدهم بالمفاهيم الإسلامية الضرورية التي تجعله عارفاً بأمور دينه قادراً على الدعوة إليه والدفاع عنه أمام كل مذهب أو شعار يعارض الإسلام.
 - ٣- تعليم أبناء الجاليات الإسلامية للقضاء على أميتهم وللقضاء على تواجدهم في الشوارع والأحياء، وذلك كناحية أمنية إلى جانب النظرة الحانية الإنسانية من حكام هذه البلاد في عدم معاقبة الآباء بمخالفة أبنائهم.
 - ٤- نشر الوعي الصحي والثقافي بين السكان في الأحياء التي توجد بها تلك المدارس بما ينعكس إيجابياً على المجتمع بصفة عامة.
 - ٥- تأصيل الانتماء والولاء لهذه البلاد التي يعيشون على ثراها وينعمون بخيراتها، وذلك من خلال تعليمهم وفق المنهج المطبق في المدارس الحكومية، وتقديم الخدمات لهم^(٢).

(١) إدارة التربية والتعليم بالعاصمة المقدسة، تقرير إحصائي تعريفى بالمدارس الخيرية بالعاصمة المقدسة، ص ٣.

(٢) سلطان الزويهرى، واقع الممارسات الإدارية والفنية لمديري المدارس الخيرة بالعاصمة

وإذا نظرنا إلى هذه الأهداف نظرة متأنية تكشف لنا بوضوح الرؤية الكاملة للأهداف المنشودة التي تعين القائمين على تلك المدارس على تخريج طلبة علم أقوياء في علمهم وعقيدتهم وأخلاقهم حتى ينفع الله بهم العباد والبلاد. وقد جاء في النشرة التعريفية لهيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية عدة أهداف تضاف إلى ما ذكر ومنها:

- ١- الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية وتطويرها تربوياً ومادياً، ووضع الخطط التعليمية لها.
- ٢- إقامة مناشط مختلفة تهدف إلى غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الطلاب وتربيتهم على الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة وتنمية مهاراتهم وقدراتهم والاستفادة من أوقات فراغهم.
- ٣- التركيز على المنهجية السليمة في طلب العلم وتحصيله بإقامة الدروس والمحاضرات والندوات والدورات العلمية.
- ٤- رعاية أبناء الجاليات من طلاب العلم الفقراء وكفالتهم.
- ٥- الاستفادة من الطلاب للمساهمة في البرامج الدعوية والاجتماعية.
- ٦- تعريفه بنعم الله عليه في نفسه وفي بيئته الاجتماعية والجغرافية، ليحسن استخدام النعم وينفع نفسه وبيئته.
- ٧- توليد الرغبة لديه في الازدياد من العلم النافع والعمل الصالح وتدريبه على الاستفادة من أوقات فراغه ومساعدته على تبني اللغة العربية والإلمام بقواعدها وآدابها.
- ٨- تبصيره بما للمملكة العربية السعودية من أمجاد إسلامية تليدة، وحضارة عالمية إنسانية عريقة، ومزايا جغرافية وطبيعية واقتصادية، وبما لمكانتها من أهمية بين الدول الأخرى، ومالها من صلوات حسنة وأيدٍ بيضاء مع بقية دول العالم.

٩- الحض على احترام الحقوق العامة التي كفلها الإسلام وشرع حمايتها حفاظاً على الأمن وتحقيقاً لاستقرار المجتمع المسلم في الدين والنسل والعرض والعقل والمال.

١٠- غرس حب العمل لدى الطلاب والإشادة به في سائر صورته والحض على إتقانه والإبداع فيه والتأكيد على مدى أثره في بناء كيان الأمة المحمدية^(١).
 وخلاصة القول: أن الأهداف التي احتوت عليها سياسة التعليم في مدارس الجاليات الخيرية هي أهداف شاملة ومتنوعة في المنظور التربوي، حيث حوت أهدافاً إسلامية، شغلت حيزاً مناسباً فيها، كما أنها شملت أهدافاً معرفية وأهدافاً تتصل باكتساب المهارات المختلفة، وأهدافاً تتصل بالميول والاتجاهات والقيم وأهدافاً دعوية يستطيع الفرد من خلالها دعوة أهله ومجتمعه وتمكنه من القيام بواجب الدعوة إلى الله إذا عاد إلى بلاده، وبذلك فإن هذه الأهداف تحقق الانسجام فيما بين هذه الجوانب، وتثمر في تكوين شخصية علمية تمكن الطالب من القيام بواجباته خير قيام، وتسخر فكره لخدمة قضايا أمته، ودينه، ووطنه.

(١) وللاستزادة حول الأهداف العامة لمدارس الجاليات الخيرية ينظر: عمر عطار، مدارس الجاليات الإسلامية الأفريقية بالخيرية للبنين والبنات بمكة المكرمة، ففيها مزيد بيان.

المطلب الثالث

علاقة أهداف مدارس الجاليات الخيرية بالدعوة إلى الله^(١)

الغاية التي خلق الله لها الخلق هي أن يعبدوه وحده لا شريك له، فهو سبحانه خلقهم للأمر والنهي في الدنيا، والثواب أو العقاب في الآخرة. والناس أخرج ما يكونون إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه والجهاد في سبيله.

وقد بعث الله رسله -عليهم السلام- للقيام بمهمة الدعوة إلى الخير، ومحاربة مظاهر العدوان والشر، وكل نبي دل أمته على الخير، وحذرها من الشر عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾^(٢).

وأساس كل دعوة ومنطلقها البدء بالدعوة للتوحيد الذي فطر الله عليه الناس، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن مَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣).

والنصوص كثيرة في توضيح أهمية تحقيق أهداف الدعوة والتي أساسها الدعوة إلى تصحيح العقيدة وتوضيح مفهوم العبودية لله تعالى، وأن النبي ﷺ مكث يدعو إلى هذا الأصل حتى وفاته، ومن المعلوم بدهشة أن أي بناء لا يقوم ولا يستقيم إلا بعد إقامة أساسه، ولهذا كان الرسل يهتمون بها قبل كل شيء، وكان النبي ﷺ عندما يبعث الدعاة يوصيهم بالبداة بالدعوة إلى تصحيح العقيدة؛ فعن

(١) على قاعدة التوحيد ومن أجل تحقيق العبودية لله في جوانب الحياة الإنسانية كلها جاء الوحي - القرآن والسنة- بمنهاج تشريعي يُلبي الحاجات الفطرية للوجود الإنساني روحياً ومادياً، وفي ضمير الفرد ومحيط الجماعة، وفي كل المجالات العبادية والدعوية والخلقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(١).

فمن هذا الحديث الشريف، ومن استقراء دعوة الرسل، يؤخذ منهج الدعوة إلى الله، وأن أول ما يدعى إليه ويتعلمه المسلم هو العقيدة، المتمثلة بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه؛ كما هو معنى لا إله إلا الله^(٢).

وقد بين القرآن الكريم أن من لم يقر بهذه الأصول العظيمة فجميع أعماله باطلة مردودة قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٣).

والمتمأمل لمعاني الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، يعلم علمًا يقينياً أن أهداف الدعوة إنما هي عمل بمقتضى هذا الأصل الأصيل. والغاية العامة من التعليم: فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملًا وتنمية العقيدة الإسلامية ونشرها، والتزود بالقيم والتعاليم الإسلامية وبالمثل العليا وتهيئة الفرد المسلم ليكون عضوًا نافعًا في بناء المجتمع الإسلامي وحفظ أمنه واستقراره قولاً وعملاً.

وقررت الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم في المملكة أن الرسالة المحمدية هي المنهج الأقوم للحياة الفاضلة التي تحقق السعادة للإنسانية جمعاء،

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب وجوب الزكاة ٤/٣، رقم (١٣٩٥)، ومسلم، كتاب الإيمان،

باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ١/١٥٩ رقم (١٩).

(٢) صالح الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، ص ١٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

وتنقذ البشرية من الجهل والتخلف والظلمات إلى النور والسعادة والفوز في الدارين، مع الإيمان بالكرامة الإنسانية التي قررها الشرع وحق كل مسلم في العلم والتعليم بقدر وسع الدولة وإمكاناتها.

ولما كانت المدرسة هي البيئة الخاصة المقصودة لتربية الناشئة وإعدادهم على أحسن وجه لأفضل ما يصلحون له في خدمة دينهم وأمتهم وبلادهم، أنشئت مدارس الجاليات الخيرية، ولكي تتحقق الغاية العامة لها وضع القائمون عليها عدة أهداف سامية جعلوها نصب أعينهم للوصول إلى الغاية المرجوة ومن أهم هذه الأهداف:

١ - إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

من أهم أهداف مدارس الجاليات الخيرية بمكة هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور وإرشادهم إلى الحق ليأخذوا به وينجوا من النار وينجوا من غضب الله وإخراج الكافر من ظلمة الكفر إلى النور والهدى، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم، وإخراج العاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة هذا هو المقصود من الدعوة^(١).

فقد بعث الله نبيه محمد ﷺ إلى العالمين، رحمة منه وإحساناً، ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾^(٢). فهذا الهدف هو من أسمى أهداف الدعوة وأعلها إذ هو يقتضي دعوة الناس إلى الدين الحق دين الإسلام، ولا يتحقق ذلك إلا بإخراجهم من عبادة العباد إلى

(١) انظر: هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، كتيب تعريفى بعنوان: من نحن، ص ٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الأديان.

ولا يخفى أن عددًا من الطلاب يحتاجون إلى هذا الإرشاد والتوجيه لما فيه مصلحة دينهم ودنياهم خاصة مع جهل والديهم -أحيانًا- أو فقدانهم لأحدهما في الصغر وليس من هدف أسمى من هذا الهدف إذ به يعرف المرء ربه ودينه، فيقبل على طاعة الله وينهى النفس عن هواها.

وقد حرص القائمون على مدارس الإشراف الخيرية على هذا الهدف العظيم من خلال رسالتهم الدعوية الصحيحة، وبيانهم لحقيقة دعوة التوحيد، وأهمية تأهيل الدعاة الصادقين للقيام بها في أوساط مجتمعاتهم حماية لجناب التوحيد وسدًا للذرائع الموصلة للشرك والضلال.

والناظر في المناهج والمقررات السابقة الذكر، يرى أن مقرر التوحيد قد نال القدر الأكبر من معدّل الحصص، وهذا يدلّ على عظم عناية هذه المدارس بتأسيس التوحيد وتقريره في نفوس الطلاب على اختلاف أعمارهم، وتباين مستوياتهم.

٢- تحقيق التوحيد ونبذ الشرك:

دعا النبي ﷺ قومه إلى توحيد الله، وهذا هو أساس الدعوة إلى الله، والأصل في الولاء والبراء، وعليه تجتمع الأهداف، وبه تقوم أسس الدين، وهو الدعوة لتوحيد الله خالصًا من الشرك معه غيره، ولا سبيل لدعوة صحيحة إلا بهذا الطريق الأقوم، وتصحيح العقيدة والاهتمام بها هي القضية الأولى التي تصدى لها الأنبياء والمرسلون -عليهم السلام-، فإن أهم المهمات وأولى الواجبات التي قاموا بها هي الدعوة إلى تحقيق التوحيد.

فعميقة التوحيد بالنسبة لجميع شرائع الأنبياء بمن فيهم خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كأساس للبناء؛ فلا قيام للبناء إلا بالأساس وكالأصل للشجرة^(١).

ولأن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إصلاحية شاملة لا تستهدف فئة فكرية محدودة، فقد بعثت حركة ثقافية عالمية في المجال الديني، وقضت على نسبة كبيرة من الأمية الفكرية والمنهجية في المدن والقرى والهجر، بل وفي الدول الإسلامية الأخرى والتي كانت تصل إليها مبادئ هذه الدعوة المباركة، والتي بلغ صداها الآفاق، وتوافد للنيل من دعوتها المسلمون من كل مكان ومن بينهم الجاليات المقيمة بمكة المكرمة، واستفادت منها هذه المدارس في نشر العقيدة الصحيحة وبيان ما يضادها لا سيما وأن بعض هذه الأوساط يعاني من انتشار البدع والخرافات والأمية، فهي تخدم الفتن، وتداوي الأمراض، وتجمع الأمة تحت راية واحدة، يلم شعنها إمام واحد، وينبذ الفرقة والخلاف، ولا يقر الشذوذ والاعتساف، ويميت الهوى والبدعة، ولا غرو فعقيدة الشيخ هي مذهب أهل السنة والجماعة وعقيدة السلف الصالح^(٢).

ويظهر هذا الهدف جلياً في أهداف مدارس الجاليات من خلال:

- ١ - المقررات الدراسية التي تعنى بتدريس التوحيد، وما يضاده من الشرك الأكبر والأصغر، من خلال كتب أعلام السلف رحمهم الله قديماً وحديثاً.
- ٢ - متابعة هذه المدارس لطلابهم، ومراقبة كل ما يصدر منهم من مظاهر البدعة والشرك، وتوجيههم تارة، وزجرهم تارة أخرى، لقطع دابر الشرك وغوائله.

(١) انظر: ربيع مدخلي، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص ٩٦.

(٢) صالح العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي،

٣- تعريف الناشئة من طلاب هذه المدارس بمظاهر الشرك المعاصرة، وتحذيرهم منها، وبيان شبه المبتلين بها، ودحضهم، حتى تستنير بصائر هؤلاء الناشئة ولا يلتبس عليهم الحق بالباطل.

٣- الاعتصام بحبل الله ونبذ التفرق والشقاق:

وهذا الهدف يتحقق بإخلاص الدعوة إلى الله والصدق في الأخوة في الله، والتخلي عن الرغبات والشهوات الشخصية، كالطمع في الرياسة والمال وغيرها من المطامع الدنيوية وحاجة الدعوة لهذا الاعتصام ينفي عن الأمة المخاطر، ويصل بها إلى سدة الحكم والغلبة على أعدائها، وإن الأمة الإسلامية لو رجعت إلى قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١)، لوجدت في هذا الاعتصام النجاح والاتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف فيما بينها؛ فالإسلام واحد وأمره واحد فاقضى أن يكون حكمه على الاتلاف التام لا على الاختلاف، وهذه الفرقة مشعرة بتفرق القلوب المشعر بالعداوة والبغضاء، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

فبين أن التأليف إنما يحصل عند الاتلاف على التعلق بمعنى واحد وهو الاعتصام بحبل الله، وأما إذا تعلق كل شيعة بحبل غير ما تعلقت به الأخرى فلا بد من التفرق وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣، وانظر: إبراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام، ٢/ ١٩٢.

فالإسلام حين سطع نوره في مكة المكرمة وارتفع صوته من المدينة المنورة بعد أن هاجر إليها رسول الله ﷺ وجد القبيلتين العظيمتين اللتين رفعا لواء الإسلام ونصرتا رسول الله ﷺ متفرقين، فجمعهم الله بهداه بعد فرقتهم، وبين لهم الرسول ﷺ أن الإسلام لا يقوم على العنصرية أو الشعوبية، ولا على القومية والجنسية ولا يقوم على تفرق في العقيدة أو في الرأي أو الوجهة؛ فإن الدعوة المشوبة يكون مآلها الفشل ومصيرها الفناء، وبين النبي ﷺ الطريق السوي لسعادة الدارين وعرفهم أن دين الإسلام بني على التعاون على الحق ومحو فرقة الجنسية.

ومدارس الجاليات تسعى لتحقيق الوفاق ونبذ الافتراق، عن طريق مناهجها التي تحوي كثيرًا من المقررات الداعية إلى الاعتصام بالمنهج القويم ونبذ البدع التي هي أعظم أسباب الافتراق.

كما أن هذه المدارس تحارب كل أنواع التمييز والخلاف بين صفوف تلاميذها، وتنشر فيهم فقه الائتلاف والتلاحم.

٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذا الهدف لا يقتصر على حماية المجتمعات الإسلامية من مظاهر الفساد، ومعالم الانحلال فحسب؛ وإنما يحافظ على جوهر الدين، ومفاهيمه من البدع والمنكرات الظاهرة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم أهداف الدعوة، كونه يجعل الأمة تعتصم بحبل الله المتين، ورأس الأمر بالمعروف هو الدعوة إلى الإسلام ومعلوم أن العلاقة بين الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي علاقة وثيقة، ذلك أن كلاهما دعوة إلى لزوم الحق واجتناب طريق الشر والعصيان قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

ويقول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطيع فبلسانه، فمن لم يستطيع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان»^(١).

قال النووي -رحمه الله-: «أما قوله ﷺ: (فليغيره) فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين»^(٢).

والتعليم يتضمن الأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر، والاحتساب على المنكرات الظاهرة، والبدع والانحرافات من أهم أبواب الحسبة إن لم يكن أجلها مكانة وأعظمها أجراً، ولا شك أن أبناء الجاليات الإسلامية بمكة المكرمة يحتاجون إلى هذا الأمر العظيم تعلمًا وتعليمًا تنفيذًا لأوامر الله وحرصًا على تماسك المجتمع المسلم الذي يسود بين أفراد تطبيق شرائع الإسلام وأحكامه، لأن كل أفراد المجتمع الإسلامي مطالبون بالمشاركة في هذا الجانب كل بحسب استطاعته وقدرته.

ويدخل في ذلك أيضاً الدعوة إلى ما أوجب الله تعالى من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت إلى غير ذلك.

ويدخل أيضاً في ذلك الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ بما شرع الله تعالى في الطهارة، والصلاة، والمعاملات، والنكاح، والطلاق، والجنايات، والنفقات، والحرب والسلم، ويشمل كل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينهي عن سفاسف الأخلاق وعن سيء الأعمال، فهو عبادة وقيادة... فهو يدعو إلى الأخلاق الفاضلة، والأخوة الإيمانية، والجميع بين المسلمين والتأليف بينهم، ويدعو إلى أداء الأمانة، والحكم بالشرعية، وترك

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، ٢/٢٣، رقم (١٨٦).

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، ٢/٢٢.

الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل، وهو أيضًا سياسة، واقتصاد، كما أنه سياسة، وعبادة، وجهاد، واحترام المسلم لأخيه المسلم، لا غل، ولا حسد، ولا غل، ولا غش، ولا خيانة، ولا غير ذلك من الأخلاق الذميمة^(١). وكلّ هذه المعاني والمفردات موجودة ضمن مقررات مدارس الجاليات.

(١) عبد العزيز بن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة، ص ٢٣ وما بعدها.

المبحث الثالث

المقررات الدراسية للمدارس الخيرية ومضامينها الدعوية

المطلب الأول

أسس المقررات الدراسية بالمملكة

المقررات الدراسية التي تدرس في مدارس الجاليات الخيرية هي نفس المناهج ومقررات وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، مع التركيز على حفظ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذه المقررات تشتمل على جوانب كثيرة ودراسات علمية تساعد الطلاب على اكتساب القيم الخلقية الصالحة والبعد عن ألوان الضعف الخلقى.

ونظرًا لأهمية المناهج والمقررات الدراسية في بناء سياسة تعليمية متزنة فإن السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية تولي المناهج عناية خاصة، باعتبارها وسيلة فعالة من وسائل تحقيق أهداف التربية والتعليم فيها، وهي السياسة التي تنبثق عن مصادر التشريع الإسلامي في الكتاب والسنة واجتهادات المرابين على مدى التاريخ منذ مبعث المعلم الأول للإنسانية محمد ﷺ وحتى يومنا هذا.

وإضافة إلى هذا النبع الإسلامي لتربية الإنسان في مجتمعنا، فإن السياسة التعليمية تستهدف كذلك ربط المتعلم بواقع التطورات العلمية في عالمنا المعاصر ولذا جاءت المناهج على اختلافها لتعكس هذا التوجه الإسلامي في التعليم السعودي.

وفيما يلي بيان لما تضمنته وثيقة التعليم الصادرة عن اللجنة العليا لسياسة التعليم في العام ١٣٩٠ هـ بخصوص اتجاهات المناهج ومحتوياتها وضوابط وضعها وأسسها:

١- تعنى الدولة بالمناهج الدراسية باعتبارها وسيلة هامة من وسائل التربية

والتعليم.

- ٢- ينبغي أن تكون المناهج:
- ٣- منبثقة من الإسلام ومن مقومات الأمة وأسس نظامها.
- ٤- موافقة لحاجة الأمة وترمي إلى تحقيق أهدافها.
- ٥- مناسبة لمستوى الطلاب.
- ٦- محققة للمستوى المطلوب في الدارسين ولأهداف التعليم.
- ٧- متوازنة ومرنة، توافق مختلف البيئات والأحوال.
- ٨- تتضمن المناهج:
- أ- الهدف العام وارتباطه بهدف الدولة من التربية والتعليم.
- ب- الأهداف الخاصة بكل مرحلة تعليمية والمادة العلمية.
- ج- تحديد المستويات العلمية والمهارات العملية والاتجاهات الفكرية والخلقية التي ينبغي تحقيقها.
- د- التوجيهات التي تقود خطوات المعلم في تحقيق الأهداف وتطبيق المنهج.
- هـ- النشاط المدرسي المرافق للدروس والمحقق لأغراض المنهج.
- و- هدف كل وحدة من وحدات المنهج.
- ز- قياس تقدم الطلاب فيه.
- ح- يكون الكتاب المدرسي منسجماً مع مقتضيات الإسلام، سليم اللغة، وافياً بأهداف المنهج ومقاصده العلمية والعملية والخلقية.
- ٩- يوضح نظام التخطيط الكتاب المدرسي: أوصاف الكتاب، والإجراءات المناسبة ليكون على أفضل الوجوه.
- ١٠- تعنى الجهات التعليمية بكتاب المعلم الذي يساعد على توضيح سياسية الدولة في التربية والتعليم، ويعين معلم كل مادة على تحقيق أهداف

المنهج من النواحي التعليمية والتربوية، كما يكون دليلاً مساعداً في حسن استخدام الكتاب المدرسي.

ومن دراسة هذه البنود تتضح عدة حقائق منها:

١- أن المناهج وسيلة لتحقيق غاية التعليم في المملكة العربية السعودية، وغاية التعليم كما نصت عليها وثيقة التعليم الصادرة من اللجنة العليا لسياسة التعليم هي: «فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملًا، وذلك بغرس العقيدة الإسلامية، ونشرها، وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلامية، وبالمثل العليا، وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة، وتطوير المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وتهيئة الفرد ليكون عضواً نافعاً في بناء مجتمعه»^(١).

٢- وضعت السياسة التعليمية شروطاً علمية دقيقة لوضع المناهج وهي:

أ- انبثاقها من الإسلام.

ب- اتساعها لتحقيق أهداف الأمة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

ج- مناسبتها لمستوى الطلاب وقدراتهم واستعداداتهم واتجاهاتهم الإسلامية.

د- متوازن بحيث تستطيع تحقيق النمو الروحي والطموح الشخصي.

هـ- مرنة قابلة للتعديل والتغيير بما يتفق وذاتية الأمة الإسلامية أولاً، وتتماشى مع متطلبات العصر ثانياً.

و- كما يجب أن تحتوي هذه المناهج على ما يحقق النمو المتكامل الشامل للمتعلم روحياً، وجسدياً، واجتماعياً، وعاطفياً.

(١) وزارة المعارف، سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، ص ٣٤.

ز- كما وضعت سياسة التعليم شروطاً للمناهج، ووضعت كذلك شروطاً واضحة ودقيقة للكتاب المدرسي الذي يجب أن يكون متفقاً مع تعاليم الإسلام ومقتضياته، ومحققاً لأهداف التربية والتعليم خالياً من الأخطاء اللغوية... الخ. وهكذا نستطيع القول أن سياسة بناء المناهج في المملكة تقوم على الأسس

التالية:

- أ- بناء العقيدة الإسلامية وبيان ما يضادها.
 - ب- تعزيز الانتماء للأمة الإسلامية وللمحيط العربي.
 - ج- التفاعل مع الخصائص البيئية والاجتماعية والاستفادة منها.
 - د- الأخذ بالعوامل التربوية وتوظيفها لخدمة التربية والتعليم.
 - هـ- مراعاة الجوانب النفسية للطلاب والمعلمين وغيرهم.
- وبناء على ما تقدم فإن أسس بناء المناهج في مدارس الجاليات الخيرية هي نفس الأسس التي قام عليها التعليم في المملكة العربية السعودية ولها مميزات عديدة تميزها عن غيرها من المدارس الحكومية ومن أبرز مميزات هذه المدارس:

- ١- العناية بالقرآن الكريم تلاوةً وتجويداً وحفظاً.
- ٢- العناية باللغة العربية كتابةً ونطقاً.
- ٣- الاهتمام بتصحيح العقيدة ونشر السنة وبيان بعض الأمور البدعية المنتشرة بين أوساط أبناء هذه الجاليات مع التحذير منها.
- ٤- الاهتمام بتعليم البنات الأحكام الخاصة بالنساء وتربيتهن على الحجاب والعفة والبعد عن مظاهر التغريب والسفور.
- ٥- إقامة دورات علمية للمدرسين والمدربات لرفع المستوى العلمي والتربوي لديهم يشارك فيها مجموعة من طلبة العلم والدعاة الأكفاء^(١).

(١) عمر عطار، مدارس الجاليات الإسلامية الأفريقية، ص ٥.

المطلب الثاني

محتويات المقررات الدراسية للمدارس الخيرية

المنهج المدرسي الذي تتطلبه التربية الإسلامية، يجب أن ينطبع بطابعها، ويتصف بأهم صفاتها ومميزاتها ويحقق أهدافها، ويبني على أسسها وتصوراتها الفكرية عن الكون والحياة والإنسان، وقد تضمنت المقررات الدراسية لوزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية هذه المعاني من حيث اختصاصاتها، وأخذها بجوانب عديدة من العلوم البحتة والتي لا تتعارض مع الإسلام، ولا تختلف مع تعاليمه وأسسها بل تعين طالبها على رفع شأن الأمة، وتحقيق شريعة الله وعدله، وتزيد من حضارة الإسلام وإعادة أمجاده التليدة.

و محتويات هذه المقررات تقوم على المنهج المترابط أو ما يسمى بمنهج المواد الدراسية المترابطة وهدف مناهج التربية الإسلامية الاهتمام بتربية الفرد المسلم وهو المحور الذي يشد إليه كل موادها وسائر المواد الأخرى، وإليه تتجه كل أهداف النمو الروحي واللغوي والاجتماعي والفكري وبه يحصل التناسق والتكامل التربوي الرائع الذي كان عليه السلف الصالح ومن تبعهم.

من هذا يتضح أن محتويات المقررات الدراسية عبارة عن منهج مترابط، كما أنه منهج محوري أساسه: إخلاص العبادة لله وحده، ودعوة العباد إلى عبادة الخالق -جل وعلا-، وهذا المحور هو الذي تدور حوله جميع المواد الدراسية الدينية واللغوية والدينية.

فتعلم العلوم اللغوية بكل موادها لخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية وتوضيح ما يقصد فيهما من أحكام شرعية، بتفهم كلام الله وسنة نبيه فهماً صحيحاً.

والعلوم الدنيوية من رياضيات وعلوم وفلك واجتماع... وغيرها إنما تدرس؛ ليستفاد منها في استغلال ما سخره الله لنا مما في الأرض براً وبحراً وجواً، لندرك عظمة الله وقدرته الإبداعية في الكون قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾^(١).

فإذا توجهت كل العلوم والثقافات نحو هذا الهدف العظيم، هدف العبودية المطلقة لله تعالى، عندئذ تتوحد المجتمعات الإسلامية، وتستقيم نفس الإنسان المسلم، وتتحد نوازعه ومشاركه وتصوراته وفقاً لهذا الهدف العظيم^(٢).

وقد ألزمت السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية الدولة ومواطنيها رفع راية الدعوة إلى الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك هداية للعالمين وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور وارتفاعاً بالبشر بالتوحيد الخالص إلى الإيمان الحق.

كما أن الاهتمام بالعلوم الدينية أساسي في خطط الدراسة في المؤسسات التعليمية في المملكة العربية السعودية، وبهذه المزية تنفرد السياسة التعليمية في المملكة عن معظم نظم التعليم في الدول المختلفة وحتى الإسلامية منها، إذ أن السمة الغالبة على التعليم المعاصر في معظم دول العالم هي أنه تعليم لا ديني لا يؤمن إلا بالمدرک المحسوس فقط وينكر أو يهمل كل ما هو غيبي؟ وهذا بخلاف ما ورد في السياسة التعليمية للمملكة حيث أوضحت أن الحياة مرحلة إنتاج وعمل، يستثمر المسلم طاقاته عن إيمان وهدى للحياة الأبدية الخالدة في الدار الآخرة، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل^(٣).

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٢٠-٢٢.

(٢) أحمد الحمد، التربية الإسلامية، ٢٤٩-٢٥٠.

(٣) محمد بن معجب الحامد وآخرون، مرجع سابق، ص ٧٠.

ومن أبرز مميزات السياسة التعليمية في المملكة الاهتمام بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، والعمل على نشرها في جميع أنحاء المملكة، سعياً لتخريج شباب مسلم، حافظ لكتاب الله والذي يعتبر دستور هذه الدولة، فعلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قامت أنظمة المملكة العربية السعودية، واتخذت الأمة الإسلام عقيدة وشريعة وحكماً متكاملًا لشؤون الحياة فيها، فالقرآن الكريم هو القوة المحركة التي غيرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك، وحولت مجرى التاريخ، وأنقذت البشرية العائرة^(١).

(١) عبد المحسن بن عبد الكريم البكر، التعليم الديني في المملكة العربية السعودية، ص ٥٢-٥٣.

المطلب الثالث

المضامين الدعوية للمقررات الدراسية

الدعوة إلى الله هي توجيه الناس نحو طاعة ربهم وامتنال شريعته، فهي شاملة لإرشاد الخلق لكل تعاليم الإسلام عقيدةً وعبادات وأخلاقاً ومعاملات، وتعلمًا وتعليمًا وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر فهي دعوة عالمية، ولا بد أن يكون المسلم داعية لدينه، محبًا للإيمان والعمل الصالح، محبًا لمجتمعه وأهله وقرابته، فالدعوة إلى الله هي وظيفة الرسل -عليهم السلام- وأتباعهم المؤمنين، ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وقد استمرت المدارس الإسلامية تنشر علومها للراغبين، وتفتح أبوابها للطلبة والراغبين في التزود من العلوم الإسلامية، وربما كان لبعض هذه المدارس انحرافات فكرية أو عقديّة أثرت سلبًا في بعض الأزمان على مسيرة الدعوة إلى الله، وحينما قامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أعلنت منار هذه الشعيرة متخذةً مختلف الوسائل في نشر الدين ومنها وسيلة التعليم الشرعي، ورد الناس إلى الشرع المطهر بالعلم النافع الصحيح.

فالكتب والمقررات الدراسية العلمية تعد سمة من سمات العصر الحاضر نظرًا لكثرتها وتنوعها وسرعة انتشارها وطباعتها، وتناقلها بين الطلاب جيلًا بعد جيل، وكذلك إمكانية حفظها ونقلها إلى جميع أصقاع العالم، ولا يخفى ما للكتب والمصنفات العلمية الهادفة من أثر طيب وحميد في توعية الناس، وبث المعتقد الصحيح فيما بينهم، وتحذيرهم من مخالفة ذلك، وتوضيح أحكام الشريعة الإسلامية من العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك والآداب.

وبالجملة فللكتب والمناهج الدراسية أثر هام في الدعوة إلى الله تتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل، ولها مساهمة فعالة في تقعيد وتأسيس علوم الدعوة الإسلامية^(١).

وقد جعلت قيادة المملكة حمل الدعوة الإسلامية ونشرها من أعظم وظائفها، وأهم واجباتها، وضمنت مقرراتها الدراسية كل ما فيه خير الإنسان وصلاح أمره، واستطاعت أن تجعل مجتمعها بيئة صالحة بعيدة عن المنكرات الظاهرة، وترشد الناس إلى ما فيه خير دينهم ودنيهم.

ومن أبرز هذه المضامين الدعوية:

أ- الدعوة إلى العقيدة الصحيحة:

العقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده فيما يتعلق بتوحيد الله سبحانه وتعالى، وما يجب له من الطاعة والإنابة والتسليم، وقد ورد هذا المضمون في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٢).

فثبات العقيدة ورسوخها في نفس معتنقها، يرتفع بها إلى درجة الإيمان الصادق بمفرداتها الكثيرة ومنها: معرفة الله سبحانه وتعالى، ومعرفة أسمائه الحسنی وصفاته العلی، ومعرفة أركان الإيمان وأنواع التوحيد ونواقضه وشروط كلمة التوحيد، وتعريف المصطلحات العقدية كالشرك والإلحاد والكفر والنفاق والردة والبدعة والفسق.

وكذلك تحوي العقيدة جوانب توضيحية لكثير من القضايا التي غابت عن

المقررات الدراسية في بعض البلدان الإسلامية.

(١) انظر: عبد الرحيم المغذوي، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ٢/ ٨٠٣.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

فالعقيدة الإسلامية التي بعث الله بها رسله وأنزلها في كتبه، أوجبها على جميع خلقه فقام الرسل بتبليغها وأمروا أتباعهم باعتناقها وحثوهم على مساعدتهم وإكمال المهمة من بعدهم.

فهي الأساس في كل دعوة وهي البداية لطالب العلم الشرعي أيًا كانت وجهته، وهذا المضمون الشمولي من خصائص ومميزات المقررات التعليمية في المملكة العربية السعودية، وقد انعكس هذا الشمول والتداخل بين ما هو إيماني عقدي وخلقى سلوكي وفكري تقني على المناهج الدراسية حيث تحقق الانسجام فيها بين هذه الجوانب، وأثمر ذلك في الطالب نفسه بتكوين شخصية يتحقق فيها هذا الانسجام والتراكم الباني لقدرته الفكرية في أي مجال اتجه للتخصص فيه وفي عدم الشعور بأي تنافر بين إيمانه بالغيبيات وممارسة تجاربه العملية^(١).

وللعقيدة الإسلامية مقاصد نبيلة وغايات جلية مترتبة على فهمها والعمل بها، فمن آثارها التربوية ما يلي:

- ١- إخلاص النية والعبادة لله وحده.
- ٢- تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي.
- ٣- الراحة النفسية والفكرية.
- ٤- سلامة المقصد والعمل من الانحراف في عبادة الله أو معاملة المخلوقين.
- ٥- الحزم والجد في الأمور.
- ٦- تكوين أمة قوية تبذل كل غال ورخيص في تثبيت دينها.
- ٧- الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والمجتمعات.

(١) انظر: عبد الرحمن الزنيدي، تطبيق الشريعة في المملكة وآثاره في الحياة، ص ٢٦٤ وما بعدها.

٨- الابتعاد عن الشرك صغيره وكبيره، ومنه الرياء الذي يبطل الأعمال، ومن ثم إنقاذ الأنفس من النار التي توعد الله بها من خالف هذه العقيدة^(١).
 إن صلة المؤمن بالله تعم جميع طاقات الإنسان وقواه، وتتملاً بالخير والبر ووضوح الرؤية وصحة العمل ونبيل الغاية كل جانب من جوانب هذه القوى والطاقات، بل إنها لا تفصل جانباً عن جانب، فصلة الإنسان بربه من آثارها أن تقوي العلاقة بين هذه الطاقات نفسها، وبينها وبين عقيدة الإنسان ووظيفته في الحياة، فهي تدفعه إلى الأمام، وتدفع عنه الشبهات والضلال كما قال تعالى:
 ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، فلا حياة طيبة بغير عقيدة صحيحة، فهي مصدر خير وفلاح وسعادة للأمم التي رعتها حق رعايتها، واتبعت هداها، والتزمت قيمها وحدودها.

ب- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة حول الإسلام:

وذلك عبر تكوين الحصانة القوية للطلاب ضد أي مساس بالعقيدة الصحيحة من قريب أو من بعيد، وذلك بغرس المفاهيم العقدية بأساليب تربوية متعددة، ومنها الأسلوب القرآني في عرض شبه المخالفين وطريقة دحضها، والتركيز على الجوانب العقدية المؤثرة، مع استخدام الحقائق والمكتشفات العلمية الحديثة للإقناع، وكذلك بعرض الشبه التي قد تعرض على الطلاب عرضاً علمياً صحيحاً، وهذا الأساس مهم جداً للتربية العلمية؛ إذ لا يمكن لأمة الإسلام أن تنهض من سكونها بغير الرجوع إلى عقيدتها الصحيحة.
 وقد جاء من بين أهداف التعليم الثانوي دعم العقيدة الإسلامية التي تستقيم بها نظرة الطالب إلى الكون والإنسان والحياة في الدنيا والآخرة، وتزويدهم

(١) محمد بن عثيمين، رسائل في العقيدة، ص ٦٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

بالمفاهيم الأساسية والثقافة الإسلامية التي تجعله معتزاً بدينه، قادراً على الدعوة إليه، والدفاع عنه^(١).

ولا يمكن تصحيح هذه المفاهيم عبر الصفوف المدرسية فحسب، بل ينبغي أن تعقد لها الحلقات والندوات لمناقشة أفضل الوسائل المعينة على توضيح الحقائق العقدية أمام المشككين والمخالفين من كافة الفرق والطوائف، خاصة بعد انحراف مجموعات من الشباب تحت شبهة إحياء شعيرة الجهاد في سبيل الله، وضلوعهم في بعض الأعمال الإجرامية، والحوادث الإرهابية، بعد أن وقعوا ضحية مفاهيم خاطئة استغلها أعداء المسلمين لتسويق مؤامراتهم على بلاد الحرمين الشريفين وغيرها من بلاد المسلمين.

إن تصحيح المفاهيم الخاطئة عقدية كانت أم فكرية من أبرز المضامين الدعوية التي يحرص علماء الأمة والمربون على توضيحها عبر المنتديات والدروس العلمية، وفي صفوف المقاعد الدراسية ومجالس العلم ووسائل الإعلام المختلفة، وهي تبدأ من المدرسة حيث يكون للوسط التعليمي أثر بالغ في تكوين الطالب وتحديد اختياره الصحيح.

ج- توحيد مصادر التلقي (الكتاب والسنة):

إذا صحت العقيدة وكانت مصادرها واضحة لا لبس فيها ولا غموض عاش الطلاب بعيداً عن الانحرافات الفكرية، وتوجهت عقولهم نحو الكتاب والسنة ليتلقوا منهما التوجيهات العقدية لأنهما المصدر الوحيد المبرأ من النقص والقصور، ولا يمنع هذا من تحديد مصادر المعرفة الأخرى بشرط أن يوضع كل منها في مكانه اللائق به، هذا مع إغفال مصادر العلوم الإنسانية الأخرى في التزود بالمعرفة والعلوم المختلفة.

(١) وزارة المعارف، مرجع سابق، ص ٣٤.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (١).

فالعقل لا يستطيع أن يقوم بتوجيه إرادته توجيهًا سليمًا إلا إذا توفرت له مجموعة من المبادئ والمفاهيم الثابتة والتي يستطيع من خلالها الإجابة على التساؤلات المتعلقة بالأمور الضرورية التي يحتاج الإنسان إلى معرفتها من المصادر الأصيلة.

فإذا توفرت هذه المبادئ الواضحة من مصادرها الصحيحة، وخضع العقل لسلطانها، وتنور بنورها جاء بالخير لصاحبه، وإلا كانت عاقبته الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة؛ ولأن العقيدة من مصادرها الصحيحة طاقة قوية لا تنفد، فإن التمسك بها يجعل المترين قادرين على الصمود في فترات الضعف والخمول بما يمنع ذوبان الأمة وضياعها، أما حين تكون الأمور عادية فإن عقيدتهم تدفعهم إلى النهوض بواجب الأمة الإسلامية ونشر الخير لكل الناس (٢).

والناظر في المقررات الدراسية لمدارس الجاليات يجدها تصدر كلها من معين الكتاب والسنة الصافي الزلال سواء من خلال صياغتها، أو من حيث إلزام الطلاب بدراسة كتب السلف رحمهم الله من الكتب الأثرية.

د- تحصينهم ضد الغزو الفكري:

كان أعداء الإسلام -ولا يزالون- يبذلون جهودهم لصرف المسلمين عن عقيدتهم حتى لا يكونوا مستقبلاً مشرفاً لهم ولأمتهم عبر بث المغريات والملهيات بين صفوفهم وإشغالهم عن أمور دينهم ودنياهم وتجنيد كافة الإمكانيات الفكرية والنفسية لإخراجهم من المفاهيم الصحيحة للدين القويم إلى

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) هاشم علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

مفاهيم خاطئة لا تمت إلى الإسلام بصلة.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١).

ونظراً لحدوث بعض أبناء هذه الجاليات من دول شيوعية وأخرى غير إسلامية جعل من السهل على أعداء الإسلام بث الشبه والفتن فيما بين صفوف المسلمين بغرض إضلالهم وتقويت الفرص عليهم بإشغالهم بما لا طائل من ورائه.

وهذا التحصين هام وضروري خاصة مع انفتاح وسائل الإعلام اليوم وكثرة الملهيات التي تواجه الشباب المسلم في عصرنا الحاضر، ولا سبيل لتحصينهم من آثاره إلا بالإيمان الصادق، والعلم النافع يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «وإذا كان العبد مخلصاً لله اجتباه ربه فأحيا قلبه، واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضر ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من ضد ذلك، بخلاف القلب الذي لم يخلص لله فإن فيه طلباً وإرادة وحباً مطلقاً فيهوى ما يسنح له ويتشبث بما يهواه، كالغصن أي نسيم مر بعطفه أماله... فيكون ذليلاً خاضعاً له، وإلا استعبده الكائنات واستولت على قلبه الشياطين، وكان من الغاوين»^(٢).

وهذا التحصين يتخذ وسائل عدة:

- منها المقررات الدراسية في مدارس الجاليات التي تعنى ببيان حقيقة المذاهب الفكرية الهدامة وغيرها.
- ومنها المحاضرات والندوات التي تعقد لتعريف الطلاب بماهية هذا الغزو الفكري، وأساليبه الماكرة تجاه أبناء المسلمين.
- محاربة كل المظاهر الغربية المنحرفة بين صفوف الطلاب، التي ربما تأثروا بها من خلال وسائل الإعلام المتعددة.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، العبودية، ص ٤٣.

هـ - تربية الأجيال على الأخذ بأسباب الرقي والتفوق:

ساهم الفهم الخاطيء للتوكل لدى بعض المسلمين إلى التخلف عن ركب العلم والرقي، ولعل تأثر هؤلاء ببعض الأفكار المنحرفة أدى إلى انعكاس هذه المفاهيم على ممارسات الأفراد وتصرفاتهم، ولم يسلم مفهوم القضاء والقدر من هذه التطبيقات الخاطئة فالإخلاق إلى الأرض والركون إليها والرضى بالجلوس في أطراف الأمم يؤدي إلى التخلف واليأس والقنوط وهذه تتعارض مع مقاصد الإسلام وعقائده.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «العقلاء قاطبة متفقون على استحسان إتعاب النفوس في تحصيل كمالاتها من العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة وطلب محمودة من ينفعهم حمده، وكل من كان أتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالاً وأرفع قدرًا، وكذلك يستحسنون إتعاب النفوس في تحصيل الغنى والعز والشرف، ويذمون القاعد عن ذلك وينسبونهم إلى دناءة الهمة وخسة النفس، وضعة القدر..... وهذا التعب والكد يستلزم آلامًا وحصول مكاره ومشاق هي الطريق إلى تلك الكمالات»^(١).

فالإنسان مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر بدرجة متساوية، وأن هذه القدرة كامنة في كيانه، والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحنها وتوجهها هنا أو هناك ولكنها لا تخلقها خلقًا، لأنها مخلوقة فطرة، وكائنة طبعًا، وكامنة إلهامًا.

وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان، هي التي تناط بها التبعة، فمن استخدم هذه القوة في

(١) محمد بن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ٣٧٦.

تزكية نفسه وتطهيرها، وتنمية استعداد الخير فيها... أفلح ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها خاب وخسر^(١).

وهذا الإعداد والتهيئة تكون وفق وسائل عديدة، منها:

- ١- بث حبّ التفوق، والإبداع بين صفوف الطلاب عن طريق التشجيع والتحفيز.
- ٢- بث روح الانتماء لهذه الأمة، والشعور بالمسؤولية تجاه النهوض بها.
- ٣- تدريب الطلاب على بعض الدورات المهنية البسيطة وتشجيعهم على ذلك.

و- تأهيل الطلاب ليكونوا دعاة إلى الله:

حث الأدلة الشرعية على وجوب دراسة العلوم النافعة، والسعي في طلبها مهما بعدت المسافات، خاصة إذا كان هؤلاء الطلاب سيعودون إلى مجتمعاتهم وبلدانهم ليقوموا بواجب تبليغ الدعوة إلى الله يقول تعالى في محكم التنزيل:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢).

قال ابن القيم -رحمه الله-: «فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً.. وتبليغ سنته ﷺ إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأن

(١) انظر: أحمد الحمد، التربية الإسلامية، ص ١٢١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

تبليغ السهام يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء، وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه»^(١).

وهذا يجعل العناية بتكوين الدعوة، وإعدادهم الإعداد المتكامل، أمرًا بالغ الأهمية، وإلا أصيبت كل مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق، في الداخل والخارج؛ لأن شرطها الأول لم يتحقق، وهو الداعية المهيأ لحمل الرسالة، ولا يكون داعية ناجحًا من لم يعرف أمور دينه ويتلقاها من مصادرها الصحيحة^(٢). وهذا التأهيل على نوعين:

- ١- تأهيل علمي: من خلال المقررات الدراسية الشرعية.
- ٢- تأهيل عملي: وذلك من خلال التطبيق العملي لبعض أساليب الدعوة ووسائلها كالخطابة والتدريس والندوات وغيرها، سواء كان التدريب داخل المدارس أو خارجها.

(١) ابن القيم، جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ٤١٥.
 (٢) انظر: فضل إلهي، ركائز الدعوة إلى الله في ضوء النصوص وسير الصالحين، ص ٤٨ - ٤٩.

المبحث الرابع المنشط الدعوية لمدارس الجاليات الخيرية وأثرها في الدعوة

المطلب الأول المحاضرات

أ- تعريفها:

هي بحث في موضوع يلقيه المحاضر في مجموعة من الناس، أو هي معلومات مرئية تعالج موضوعاً معيناً، ولها طابع علمي خاص يلقيها على الناس من لديه القدرة على ذلك، والمحاضر: كل من يلقي على الناس المحاضرة^(١).

ب- أقسامها:

للمحاضرة نوعان:

- ١- محاضرة عامة، وتتصف بأنها تتوجه لجميع الناس، وغالباً ما تهدف إلى موضوعات ذات صبغة تهمة أكبر شريحة من الحضور.
- ٢- محاضرة خاصة، وتتصف بأنها تتوجه لفئة معينة من الناس، وتهدف إلى معالجة موضوع خاص يهم هذه الفئة، مثاله: الموضوعات الخاصة بالشباب أو المرأة أو المساجين أو ذوي الاحتياجات الخاصة وما إلى ذلك.

ج- أصول المحاضرة التي تبني عليها:

هنالك خمسة أصول أو ركائز تقوم عليها المحاضرة الناجحة وهي:

- ١- المحاضر الداعية إلى الله.
- ٢- موضوع المحاضرة الدعوية.
- ٣- المنظمون لها.

(١) توفيق الواعي، الدعوة إلى الله، ص ٢٨٣.

٤- الإعداد والتحضير الجيد لموضوع المحاضرة.

٥- الحضور أيا كانوا^(١).

د- أهميتها:

تعد المحاضرات من الأنشطة الدعوية الهامة في مجال دعوة الناس إلى الله، وتظهر أهميتها في دعوة الناس عامة، وفي ميدان دعوة أبناء الجاليات المسلمة المقيمة في مدينة مكة المكرمة في أنها تعنى بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، وكشف ما يضادها ويحرمها، وتحذير الناس من التهاون في الخرافات والبدع والشركيات.

كما أنها تعنى بمجال بجانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصدي لمظاهر الانحراف عند شباب الجاليات، وتضبط بعض الجوانب الأمنية لدى المجتمعات المعزولة عن باقي أحياء مكة المكرمة، وتساهم في تفعيل دور البرامج التوعوية والمقدمة من قبل إمارة مكة المكرمة كبرنامج (مكة بلا جريمة)^(٢)، والمقام في أوساط الجاليات البرماوية والأفريقية ويقوم بترجمتها معلمون وإداريون مهنيون من أعضاء مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة بالتعاون مع بعض مدارس الجاليات الخيرية وذلك لمناقشة انحراف الأحداث، أو بيان حقيقة ظاهرة الإرهاب وتحذير الشباب منه^(٣).

كما تبرز أهمية المحاضرات بين أبناء الجاليات بمكة المكرمة في تطرقها لما يهم هذه المجتمعات من علاج لبعض الظواهر الدخيلة على مجتمعهم، ووضع

(١) عبد الرحيم المغذوي، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ٢/ ٨٤٤.

(٢) صحيفة الوطن السعودية، عدد ٣٥٠٤ جمادى الأولى، ١٤٣١هـ - ٤ مايو ٢٠١٠م، السنة

العاشرة. والموقع الإلكتروني الخاص بحملة مكة بلا جريمة www.mfc.org.sa.

(٣) موقع الجالية البرماوية بالمملكة العربية السعودية، www.burma-ksa.com.

الحلول المناسبة للعديد من المشكلات التي تواجههم، ويسعى القائمون على هذه المدارس بالتنسيق مع المكاتب التعاونية لدعوة الجاليات إلى بيان كل ما يتطلع الناس إلى معرفته من أمور دينهم ودنياهم، ويضيف إليهم ما فيه نفعهم، وهدايتهم، وصلاح معاشهم، والفوز بالنعيم المقيم في الآخرة بإذن الله.

المطلب الثاني

الدورات العلمية والتدريبية

أ- المقصود بالدورات العلمية والتدريبية:

يقصد بالدورات العلمية والتدريبية: مجموعة من الدروس والمحاضرات تلقى على الطلاب أو المتسبين لهذه الدورة بقصد تعليمهم وتثقيفهم وإكسابهم المهارات الفنية اللازمة في موضوع معين^(١).

ب- أنواعها:

١- دورات علمية؛ تقيمها مدارس الجاليات الخيرية وتختص بنوع معين من أنواع العلوم الشرعية، كعلم الفرائض، أو علوم العربية، أو علوم تطوير الذات، والإدارة والتربية وما إلى ذلك.

٢- دورات تدريبية، وهي التي تختص باكتساب المهارات العلمية والفكرية والنواحي المهارية والفنية.

٣- دورات علمية تدريبية، وهي التي تجمع بين الدورات العلمية والتطبيقات العملية.

وهي على أقسام عدة، منها ما هو قصير الأجل لأيام معدودة، ومنها ما يكون متوسط الأجل لشهر فما دونه، ومنها ما يكون طويل الأجل وتكون مدتها شهرًا أو أكثر وقد تنعقد داخل المباني الدراسية لمدارس الجاليات الخيرية أو خارجها في الأحياء الشعبية التي ترتبط بها، وربما امتد أثر بعض هذه الدورات ليشمل الدول التي قدمت منها هذه الجاليات في لإجازات الصيفية عبر المنتمين لهذه المدارس الخيرية.

(١) عبد الرحيم المغذوي، مرجع سابق، ٢/٨٥٦.

وقد أقامت مدارس الجاليات الخيرية خلال العام المنصرم (١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ) أكثر من (٢٠) دورة تدريبية لمنسوبي المدارس الخيرية، و(٥٣٣٦) برنامجاً علمياً شملت العديد من المناشط التدريبية ومنها: دورات في فنون الإلقاء والخطابة والخط والعربي، وفي تعليم الحاسب الآلي، وفي التعامل مع الآخرين، ودورات تدريبية في تعليم أساسيات بعض الحرف المهنية ليستفيد منها الطلاب مستقبلاً في أمور حياتهم اليومية^(١).

ج- أهميتها في الدعوة:

للدورات التدريبية والعلمية أهمية بالغة في نشر الدعوة إلى الله ودعم المسيرة التعليمية والتربوية في مدارس الجاليات الخيرية وفي المدارس الحكومية بصفة عامة.

ويمكن إيضاح أهمية الدورات من خلال بيان بعض جوانب أهميتها فيما يلي:

- ١- تزويد المتدرب بقدر مناسب من علوم العقيدة والدعوة والفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم الشرعية.
- ٢- مساعدة الطالب على التعمق في التخصص الذي يرغبه.
- ٣- تعريف الطالب وغيره بالمعارف الجديدة والتي تزيد من اطلاعه ومعرفته.
- ٤- إكساب المتدرب للخبرات والمهارات اللازمة في مجال تخصصه.
- ٥- تجديد النواحي الفكرية والمعرفية لدى المتدرب أيّاً كان.
- ٦- المساعدة على تطوير الأداء لدى المتدرب وتأهيله لحياته العلمية والعملية.

(١) هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، تقرير الإنجازات للعام (١٤٣٠-١٤٣١هـ) ص ٧١.

٧- توليد نوع من المنافسة بين المتدربين، وتحفيزهم على الالتحاق بدورات مستقبلية^(١).

وهذه الدورات العلمية والتدريبية التي تعقدتها مدارس الجاليات الخيرية ليست على مستوى واحد، بل تختلف وتنوع حسب موضوعها وطبيعتها والجمهور المستهدف بها بين أن يكونوا طلاباً أو معلمين أو أفراداً من أبناء هذه الجاليات المقيمة بمكة المكرمة والذين تستدعي الحاجة عقدها لهم ليستفيدوا منها وليجدوا بها عملاً شريفاً مناسباً لهم خاصة مع انتشار البطالة بين بعض أبناء هذه الجاليات مما يجعلهم فريسة سهلة للوقوع في الجريمة والقضايا الأمنية.

وغالباً ما تركز عليه الدورات الخاصة بالمدارس الخيرية هو جانب حفظ القرآن الكريم وتجويده، وجانب حفظ المتون، والعناية بالعلوم الشرعية المختلفة، وعلوم اللغة العربية والثقافية، إضافة إلى تنمية الجانب العملي بتعليم أساسيات بعض المهن التي يحتاج إليها بعض الطلاب، وتعليم بقية وسائل الدعوة، والبرامج الخاصة بالأسرة المسلمة عن طريق بعض المختصين والمعلمين المحتسبين للقيام بها عبر استضافتهم في برامج المدارس الخيرية بانتظام^(٢).

(١) عبد الرحيم المغذوي، مرجع سابق، ٢/٨٥٦.

(٢) أحمد العمودي، مدير الإدارة التنفيذية، اللقاء الثاني، بتاريخ ١٠/١/١٤٣١هـ.

المطلب الثالث

أثر الأنشطة الدعوية في الدعوة إلى الله

للأنشطة الدعوية التي تقيمها مدارس الجاليات الخيرية آثار على المدعوين من منسوبي مدارس الجاليات الخيرية وغيرهم من المقيمين ومنها:

أ- آثار الأنشطة على منسوبي هيئة الإشراف:

١- التأكيد على صفاء العقيدة لدى المعلمين والطلاب الذين يدرسون في هذه المدارس وهي ميزة تميزهم عن غيرهم من باقي الجاليات التي لا تتلقى تعليمًا مماثلاً في بعض البلاد الأخرى.

٢- الحرص على السنة النبوية واتباع منهج أهل السنة والجماعة قولاً وفعلاً وحفظ المتون الشرعية من السنة النبوية المطهرة.

٣- أن الأنشطة الدعوية التي تقوم بها مدارس الجاليات الخيرية يتعدى نفعها الطلاب إلى المجتمع والبلدان التي قدم منها طلابها وهي تنمي فيهم روح المثابرة والنشاط.

٤- أن استقامة السلوك وقلة الوقوع في الجرائم أثر من آثار هذه الأنشطة الدعوية المباركة.

٥- نجاح الخطط التعليمية التي احتضنت هذه المدارس ووفرت لها الدعم والإسناد والإشراف والصفة القانونية التي يتعلمون من خلالها.

٦- إعلاء شأن العلم والمتعلمين بين الطلبة الوافدين وإعطائهم الفرصة لنيل نصيبهم من العلم الشرعي والتزود من العلوم النافعة.

٧- المحافظة على خصوصية المجتمع السعودي، وحفظه من مشكلات تسرب الأحداث من الدارسة وتورطهم في الجريمة إذا لم ينالوا حظهم من التعليم.

- ٨- تنسيق الجهود بين الجهات الحكومية والقائمين على هذه المدارس عبر تنظيم الاحتفالات والمؤتمرات والاستفادة من ذوي الإبداع منهم.
- ٩- تزويد بعض الجهات الدعوية بالمتربين من أبناء هذه الجاليات في مواسم الحج والعمرة.
- ١٠- الاستفادة من أبناء هذه الجاليات في تزويد سوق العمل بالأيدي العاملة^(١).

ب- آثار الأنشطة الدعوية على الجاليات المقيمة بمكة:

- لا تقف آثار المناشط الدعوية التي يقيمها منسوبو مدارس الجاليات الخيرية عند الطلاب فحسب؛ وإنما تمتد إلى الجاليات المقيمة بينهم من عامة الناس ومن أبرز هذه الآثار:
- ١- معرفة الله تعالى، والإيمان به، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وبيان العقيدة الصحيحة وتوضيح كل ما يضادها.
 - ٢- التزود بالعلم النافع القائم على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح.
 - ٣- الإقبال على تصحيح أداء بعض العبادات كالصلاة، وأحكام الزكاة، والصوم، والحج، والعمرة، نظرًا لانتشار الجهل في كبار السن منهم.
 - ٤- توضيح أحكام المعاملات، والتحذير من المعاملات المحرمة وبيان آثارها، وما في هذا التوضيح من صدق في التعامل، ومنع للغش فيما بين المتعاملين في الأسواق.
 - ٥- تيسير بعض المتون المختصرة لصغار طلاب العلم، ممن يصعب عليهم فهمها في مواضع أخرى.

(١) عقدت بمكة بتاريخ (١٠/٣/١٤٢٩هـ) ورشة عمل لمناقشة أوضاعها وكيفية الاستفادة منها انظر: صحيفة عكاظ، (عدد ٢٤٧٣ الثلاثاء ١٧/٣/١٤٢٩هـ) ٢٥/مارس/٢٠٠٨.

- ٦- توضيح الأحكام الشرعية الخاصة بالنساء، مع تنبيه أولياء أمورهم عليها خاصة في ظل جهل بعضهم، وضعف اللغة العربية لدى بعضهم الآخر.
- ٧- انخفاض مستوى الجريمة، حيث أدى الإقبال على المناشط الدعوية التي يقيمها منسوبو هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية إلى انخفاض معدل الجريمة في أوساط الجاليات بشكل ملحوظ^(١).
- ٨- زيادة التوعية فيما بين الجاليات بأهمية التعليم بعد أن كان يحجم عنها الكثيرون نظرًا لحاجة بعض العائلات إلى عمل أبناءهم، وقلة ذات اليد لديهم، فأصبح الكثيرون يقبلون على هذه المناشط لينالوا شيئًا من فوائدها، ويستفيدوا من علومها ومعارفها^(٢).

(١) صحيفة المدينة السعودية، (عدد: ١٧٤٥٢ الخميس ٣٠/٢/١٤٣٢ هـ ص ١١).

(٢) أحمد العمودي، مدير الإدارة التنفيذية، اللقاء الثاني ص ٣.

الفصل الثالث

وسائل مدارس الجاليات في إيصال رسالتها

تعريف الوسيلة لغة واصطلاحًا:

أ- تعريف الوسيلة لغة: هي من وسل إذا رغب والواصل الراغب إلى الله عز وجل.

والوسيلة: المنزلة عند الملك والدرجة والقربة، ووصل إلى الله تعالى توسيلاً عمل عملاً تقرب به إليه كتوسل^(١).

وهي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به^(٢).

فالكلمة تدور على «ما يتوصل به إلى الشيء المطلوب»، فهو الوسيلة إليه. ومن هنا أطلق على الرغبة والقربة، وسمي الراغب واسلاً لأنه يطلب شيئاً يرغب فيه، فيسلك ما يوصله إليه.

وقوله في اللسان: «ما يتوصل به إلى الشيء» أي كل ما من شأنه أن يوصل إلى المقصود من الطرق والأساليب والأفعال والأقوال ونحو ذلك فكلها وسائل ويسمى كل واحد منها وسيلة.

ومما تقدم يمكن تلخيص معاني الوسيلة لغة بأنها أتت من الفعل: وسل، ومفرداتها: وسيلة، وجمعها: وسائل، وتفيد في اللغة معنى: الرغبة والطلب والقربة.

ب- تعريف الوسيلة اصطلاحًا:

عرفت الوسائل بعدة تعريفات في الاصطلاح العام^(٣)، ومن تعريفاتها: «الأفعال التي يتوصل بها إلى تحقيق المقاصد»^(٤).

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٦٤ / ٥.

(٢) الجوهري، الصحاح ١٨٤١ / ٥.

(٣) انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٢٥٢، والراغب الأصفهاني، المفردات ص ٥٢٣، وابن منظور، لسان العرب، ٩٢٧ / ٣ مادة: وسل.

(٤) ابن جزي، تقريب الوصول إلى علم الأصول، ص ٢٥٣.

ومن أجمع التعاريف عندي تعريف ابن الأثير الجزري^(١) حيث عرفها بقوله: "هي ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به"^(٢).

تعريف وسائل الدعوة في الاصطلاح الدعوي الخاص:

عرفت وسائل الدعوة بعدة تعريفات في الاصطلاح الخاص بالدعاة ومن تعريفاتها:

- ١ - عرفت بأنها: «هي الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته»^(٣).
- ٢ - ومن تعاريفها أنها: «ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر»^(٤).
- ٣ - ومما ورد في تعريفها أنها: «ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية ومادية»^(٥).
- ٤ - وعرفت كذلك بأنها: «ما يتوصل به إلى دعوة الناس بطريق شرعي صحيح»^(٦).

والمتأمل في التعريفات السابقة لوسائل الدعوة يجد أن الخلاف الذي بينها إنما هو خلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، حيث إن المعنى المراد واحد وهو

(١) هو: مجد الدين أبو السعادات محمد بن عبد الكريم الجزري، المعروف بابن الأثير الجزري، ولد عام (٥٤٤هـ) وهو عالم ومؤرخ، من أبرز مؤلفاته: النهاية في غريب الحديث والأثر، وجامع الأصول، وغيرهما وتوفي بالموصل عام (٦٠٦هـ) انظر ترجمته: أحمد بن خلكان، وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٥.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ١٨٥.

(٣) محمد بن صالح العثيمين، رسالة في الدعوة إلى الله، ص ١١.

(٤) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة ص ٤٢٩.

(٥) حمد العمار، الدعوة في نصوص القرآن الكريم، ص ١٤٩.

(٦) عبد الرحيم المغذوي، وسائل الدعوة، ص ١٦.

إيصال الدعوة إلى الناس، وإنما الاختلاف في الألفاظ والكلمات والمصطلحات والتراكيب.

ج- أنواع وسائل الدعوة وأهميتها:

هنالك عوامل تساعد الداعية على إنجاح دعوته إلى حد كبير في مجالات الدعوة، وتحقق له الهدف المنشود من دعوته بإذن الله، وتمنحه القدرة على التأثير في المدعويين أيًا كانت أصنافهم، فالوسيلة الصحيحة هي أحد العوامل الهامة التي توفر على الداعية وقتًا وجهدًا كبيرًا إذا أحسن استغلالها، وتصل بدعوته إلى بر الأمان بأقل التكاليف وأقصر الطرق، ووسائل الدعوة إلى الله نوعان هما:

١- وسائل أصلية: وهي الاستفادة من كتاب الله تعالى، ومن سنة نبيه ﷺ،

وما سار عليه سلف هذه الأمة الصالح وانتهجوه.

٢- وسائل تبعية: وهي ما استحدث بعد ذلك من وسائل وطرق دعوية

نتيجة لما طرأ على حياة الناس من أمور عديدة، وما ساعدت العلوم التقنية على إنتاجه وتيسيره للناس كوسائل الاتصال والتعليم والطباعة ونشر الكتب النافعة وتوزيعها، وكذا المحاضرات والندوات والمنظمات والمؤتمرات والمراكز الإسلامية التي فيها خير للناس ونفع لهم وإيصال لدعوة الإسلام إلى الأمم والشعوب الأخرى^(١).

ويتبين مما تقدم أن وسائل الدعوة هي كل الطرق والأسباب التي من شأنها

أن تجعل الدعوة الإسلامية واقعا متحققا في الحياة، سواء كانت أسبابا شرعية أمر الله بها أو ندب إليها في الكتاب والسنة، وكونية دل الشرع على إباحتها وجعلها الله كونا وقدرا تقتضي مسبباتها التي تكون في هذه الحال هدفا من أهداف الدعوة، فاختيار الوسيلة المناسبة سبب في تحقيق المقصود، ولذلك يلحظ أن من

(١) عبد الرحيم المغذوي، وسائل الدعوة، ص ١٧.

الوسائل ما كتب لها الانتشار بسبب الكيفيات المستخدمة لنشرها ولو كانت في حقيقتها باطلة، وبينما نجد أن هناك دعاة في بعض الأماكن قد يصيب دعوتهم فتور، أو ضعف مع قابلية الإسلام للانتشار لموافقته للزمان، والمكان، والفتور التي فطر الله الناس عليها، إلا أن الانتشار في ذلك يكون قليلاً، ولو أرجعت السبب لوجدت أن سوء استخدام الوسائل له دور في ذلك.

وانطلاقاً من القاعدة الشرعية: الوسائل لها أحكام المقاصد فلا بد من معرفة ضوابط الوسائل التي تصونها مع استخدامها من الخلل والاضطراب فهنا ضابطان لا بد من مراعاتهما وهما: أولاً: الإذن بمعنى أن تكون مأذوناً بها سواء إذن تنصيص أي جاءت منصوصاً عليها أو بدخولها تحت قاعدة عامة كالمباح، وهو أحد الأحكام الخمسة التكليفية الشرعية، ولا يكون المباح حراماً بمجرد أن ينوي به الإنسان النية الصالحة مع التفريق بين النية الصالحة العامة ونية التقرب والتعب.

ثانياً: المصلحة ويشمل ذلك مناسبة المقام، واختيار الوسيلة ورجحان المصلحة على المفسدة، مما يحتاج معه على إمعان نظر وسلامة قلب^(١).

إن الناس اليوم بحاجة إلى ما يلفتهم إلى الإسلام أولاً، ويشعرهم بوجودهم كمنهج حياة، من إمامة، وقيادة، وريادة، وسط التيارات والقوى العالمية المتصارعة، وبدهي أيضاً أن عملية اللغة هذه خطوة تمهيدية تسبق عملية الإقناع، بل هي أشبه بخطوة أولية لتحضير عقول الناس ونفوسهم للتلقي والانفعال، لذا كان حصر الوسائل الدعوية صعباً، نظراً لتنوعها، وكثرتها، وقد نص القرآن الكريم على بعضها نصاً صريحاً مباشراً، كما أشار إلى بعضها إشارة، وعلى هذا النسق جاءت السنة النبوية المطهرة، فمن أساليب الدعوة الرئيسة التي نص عليها القرآن: أسلوب الحكمة، وأسلوب الموعدة الحسنة، وأسلوب المجادلة بالحسنى، كما

(١) مصطفى مخدوم، قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ص ٣٤٣.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١).

وعلى هذا النسق جاءت السنة المطهرة، وإجماع سلف الأمة عليهم رضوان

الله^(٢).

إن على الداعية أن يدين الله باتخاذ أفضل الوسائل في حق المدعويين - خاصة - إذا كانوا طلاباً أو متعلمين، وأن يجتهد في دعوتهم بحسب طاقته وقدرته وإمكانياته بلا ضجر أو ملل، ولكي تحقق الوسائل هدفها ينبغي استكمال عدة نقاط أهمها:

أ- الحرص على تحقيق الهدف الشرعي بتثبيت أركان الدين، وحفظ وحدة المجتمع، وتنمية روح الإخاء بين أفرادهم مع معرفة حال المخاطبين؛ لأنه شرط لصحة البلاغ، وفهم خواص الوسيلة المستخدمة؛ لاستثمارها الاستثمار الأمثل.
ب- الوضوح والاعتدال والتشويق والتنوع مع عصمة الوسيلة من الجنوح للهوى.

ج- القدوة الحسنة من أهم وسائل الدعوة وأبلغها تأثيراً في النفوس؛ لأنها قول صدقه الفعل وهو ما ينبغي أن يكون عليه المعلم الداعية^(٣).

٣- المدارس: باعتبارها منارات للعلم ونشر الفضيلة فهي مؤسسات دعوية قائمة بذاتها، حيث يتم توظيف سائر الوسائل الدعوية الأصلية والتبعية لتبليغ رسالتها، وإيصال مضامين دعوتها لطلابها ومرتاديهما ولكافة المتأثرين بأنشطتها الداخلية والخارجية.

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) حمد العمار، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص ٣١.

(٣) انظر: إبراهيم بن عبد الله السماري، الإبداع في الدعوة الإسلامية، أسس وضوابط، ٥٤-٥٥.

فالمدارس هي إحدى المعامل التربوية والدعوية التي يأوي إليها الطالب فترة طويلة من عمره، إذا يقضي بين أروقتها ما بين الفينة والأخرى ما يقارب ثلث عمره، فهو يقضي في المرحلة الابتدائية ست سنوات، وفي المرحلة المتوسطة والثانوية ست سنوات، وفي المرحلة الجامعية أربع سنوات، فهي بلا شك من الوسائل الدعوية المفيدة للدعاة وهو ما أسعى إلى بيان أثره فيما يلي - بإذن الله -.

المبحث الأول المناهج والمقررات الدراسية

المطلب الأول

تعريف المناهج والمقررات لغة واصطلاحًا

١- المنهج لغة: مشتق من نهج ينهج نهجًا، ونهاجًا ونهوجًا ومنهجًا، ومن معانيه الطريق المستقيم الواضح اليبين^(١).

وقد ورد في القرآن الكريم كلمة ترادفها وهي كلمة المنهاج وهي كذلك مأخوذة من (نهج)، والمنهاج بمعنى: الطريق الواضح^(٢)، وقد وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٣)، أي طريقًا واضحة.

٢- أما المنهج في الاصطلاح فقد عُرف بعدة تعريفات بحسب تناول المتخصصين لها ((فيراد به هنا باعتبار النظام والخطة العلمية السلمية المرسومة للشيء، وذلك مثل مناهج الدراسة والتعليم ومناهج البحث العلمي، ومناهج العلوم وغيرها))^(٤).

(١) انظر: أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (نهج) ٦/٦٣٦٢.

(٢) المنهج أو المنهاج مصطلح عام يعني الطريق الواضح، وهو مصطلح لا تيني الأصل (method) يعني الطريقة التي يتبعها الفرد لتحقيق هدف محدد، والمنهج (curriculum) مصطلح شائع في التعليم حيث يشير إلى وثائق الرسالة التعليمية التي تقدمها مؤسسات التعليم لطلابها كي تحقق من خلالها أهدافًا محددة. انظر: ماهر إسماعيل، التدريس مبادئه، ومهاراته، ص ١٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٤) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ٢/٩٧٥.

ومع ذلك فإن المهتمين بحقل التربية يختلفون فيما بينهم، كلٌ بحسب مدرسته الفكرية التربوية، أو حسب اتجاهاتهم الدينية، أو القومية، أو المعرفية، ويمكن إجمال أسباب الاختلاف وبالتالي صعوبة الوصول إلى تعريف موحد إلى الأمور التالية:

- أ- اختلاف الآراء التربوية ومدارسها عبر الأصول وباختلاف الأمم.
- ب- التطور الذي لحق مفهوم المنهج بمرور الزمن، شأنه في ذلك شأن معظم العلوم والفنون وكان نتيجة لهذين السببين ظهور عدة مفاهيم للمنهج لعل أوضحها الفرق بين المنهج القديم (التقليدي) والمنهج الحديث.
- ج- صعوبة التفريق بين المنهج عند تخطيطه والمنهج عند تطبيقه.
- فالمنهج على مستوى التخطيط هو وثيقة مكتوبة تشتمل عناصر المنهج الأساسية: الأهداف، المحتوى، وطرق التدريس، والتقويم، بينما على مستوى التطبيق هو تنفيذه عمليا أي تدريسه، وبالجملة فيمكننا تعريف المنهج بأنه نظام محدد المعالم له مدخلاته (التلاميذ والمواد الدراسية)، وله عملياته (طرق التدريس) وله مخرجاته (معارف ومهارات متعلمة)^(١).
- وهذا المفهوم جاء نتيجة للتطورات التقنية، وتطور نظريات التعلم. والمنهج بهذه الاعتبارات يمكن أن يعرف بأنه: «مجموعة الخبرات المرية التي تهيئها المدرسة للتلاميذ بقصد مساعدتهم على النمو الشامل وعلى تعديل سلوكهم»^(٢).

والمأمل لهذا التعريف يرى أنه قد أدخل مع المقررات المناشط المدرسية التي تنمي خبرات الطلاب من الأنشطة الصفية وغيرها، وهو ما تنادي به التربية الحديثة اليوم، بعد أن خرجت عن المفاهيم القديمة للمناهج والتي كانت تقتصر

(١) محمد زياد حمدان، المنهج أصوله وأنواعه، ص ٤٩-٥٠.

(٢) حلمي أحمد الوكيل وآخرون، أسس بناء المناهج وتنظيماتها، ص ٤١.

-آنذاك- على الحفظ والتلقين فحسب دون شمول نظرتها لتنمية مهارات الطلاب وتحفيزهم، وهو ما تنادي به مناهج التعليم الإسلامية الحديثة في وقتنا الحاضر.

والخلاصة أن: المنهج عبارة عن مجموعة من المفاهيم النظرية، والخبرات العلمية التي تتبناها الدولة لتحقيقها عن طريق المدرسة، وذلك لصالح الأمة والفرد^(١).

٣- التعريف الاصطلاحي للمقررات:

من المفاهيم التي ربما تتداخل لدى البعض هو مفهوم المنهج مع مفهوم المقرر، ذلك المفهوم الذي يشير إلى العناوين والموضوعات والعناصر الرئيسة التي يدور حولها المحتوى العلمي لأي منهج، أو برنامج تعليمي، أو دراسي موجه لأية فئة أو مجموعة من الدارسين وهناك من يخلك بين المنهج، والمحتوى، والمقرر.

ويعرف المقرر الأساسي بأنه: مقرر دراسي يقدم فيه إطار عام هيكلي للأفكار ونشاطات التدريس، والذي يستطيع فيه المدرس أن يضيف طرفه وأفكاره الخاصة، كما يشير المصطلح أيضا إلى المقرر الذي يجب أن يؤخذ كجزء من المنهج الأساسي لأي صف أو أية مرحلة تعليمية.

أما المقرر الدراسي فيعرف بأنه: ذلك الجزء من البرنامج الدراسي والذي يتضمن مجموعة من الموضوعات الدراسية التي يلتزم الطلاب بدراستها في فترة زمنية محددة قد تتراوح بين فصل دراسي واحد، وعام دراسي كامل وفق خطة محددة، ويرتبط المقرر الدراسي بمفهوم الخطة الدراسية، تلك التي تشير إلى توصيف كامل للمقرر الدراسي الذي يدرسه الطلاب من حيث تحديد القائم على

(١) عبدالحافظ سلامة، الوسائل التعليمية والمنهج، ص ٢٤.

تدريسه، والفئة الطلابية المستهدفة، ومجموعة الأهداف التعليمية المراد تحقيقها من خلاله والموضوعات التي يتناولها المقرر وتوزيعها على مدة الدراسة، وأهم المتطلبات التعليمية اللازمة لتنفيذه، وأساليب التقويم التي تستهدف الحكم على مدى تحقق أهدافه، وقائمة المراجع التي تدعم تعليم وتعلم المقرر^(١).

ونظرًا للخلط الحاصل بين مفاهيم المناهج والمقررات فسأكتفي بالإشارة في حديثي إلى المنهج فكلاهما في المضمون التربوي بمعنى واحد، وما يهمننا بالمقام الأول هو الحديث عن مضامين المناهج كوسيلة دعوية لا عن مسمياتها التربوية فحسب.

(١) ماهر إسماعيل، التدريس مبادئه، ومهاراته، ١٤-١٥.

المطلب الثاني

أهمية المناهج الدراسية في الدعوة إلى الله

أ- المضامين الدعوية لمناهج مدارس الجاليات الخيرية:

الناظر للمناهج التي رسمتها هذه المدارس الخيرية يجد أنها قد اشتملت على كافة المفاهيم النظرية والخبرات العلمية التي تبتتها الدولة حرسها الله، ذلك أنها نابعة من روح الشريعة الغراء، ومن قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، وهذه المناهج هي وسيلة جديرة بإيصال رسالة هذه المدارس للمستهدفين، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: شمولية هذه المناهج لمضامين الدعوة وموضوعاتها فهي تركز على الدعوة إلى أركان الإسلام والإيمان بالتفصيل، ومن حيث الإجمال فهي تقوم على دراسة التوحيد وكتب الحديث، وأحكام الشريعة، والأخلاق، والرد على المبادئ الهدامة والأفكار الدخيلة والبدع والخرافات التي دخلت على المسلمين، وأفسدت عليهم دينهم وعقائدهم، وكل هذه المضامين نجدها في كتاب التوحيد، والفقه، والتفسير، والتعبير، والمطالعة وغيرها...^(١).

حيث تم اختيار هذه المناهج والمقررات من قبل علماء أكفاء بعناية تامة من المصادر الموثوقة والمؤلفات الخالية من الشكوك والأباطيل والشبهات.

ولهذا جاء في وثيقة التعليم الصادرة من اللجنة العليا لسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية عام (١٣٩٥هـ) حديث عن الأصول والمنطلقات والثوابت والمتغيرات التي تتعلق بوضع المناهج في اتجاهاتها ومحتوياتها وضابطها وأسسها، وأهم ما ورد فيها ما يلي:

(١) رصد وتحليل من قبلي لعدد من المناهج الدراسية ومقررات الصفوف الأولية في كتب وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، حيث إن محتوياتها تنبثق من الشريعة الإسلامية.

- ١- ينبغي أن تكون هذه المناهج منبثقة من الإسلام ومن مقومات الأمة وأسس نظامها.
 - ٢- ينبغي أن تكون هذه المناهج موافقة لحاجة الأمة وترمي إلى تحقيق أهدافها.
 - ٣- ينبغي أن تكون هذه المناهج مناسبة لمستوى الطلاب.
 - ٤- ينبغي أن تكون هذه المناهج محققة للمستوى المطلوب في الدارسين ولأهداف التعليم.
 - ٥- ينبغي أن تكون هذه المناهج متوازنة ومرنة توافق مختلف البيئات والأحوال^(١).
- ثانياً: هذه المقررات تدعو في جملتها إلى مكارم الأخلاق، وتعديل السلوك وربط الطالب والمتلقي بالله تعالى ورسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، ويتضح ذلك جلياً من خلال الاهتمام بدراسة السيرة النبوية وما تهدف إليه من تعريف للطالب بسيرة النبي ﷺ، وغرس محبته في نفوسهم، والاقتداء به في الأقوال والأفعال، كما يشتمل ذلك على دراسة تاريخية لسيرة الخلفاء الراشدين، وفتوحاتهم ومآثرهم العظيمة في السياسة والعلم والتنظيم.
- ومما جاء في وثيقة التعليم العام أيضاً فيما يتعلق بمضامين المناهج وارتباطها برسالة الإسلام روحاً ونصاً ما يلي:
- أ- الهدف العام ارتباط المناهج بهدف الدولة من التربية والتعليم.
 - ب- الأهداف الخاصة بكل من المرحلة التعليمية والمادة العلمية.
 - ج- تحديد المستويات العلمية والمهارات العملية والاتجاهات الفكرية والخلقية التي ينبغي تحقيقها.

(١) سليمان الحقييل، نظام وسياسة التعليم، ص ٣٠٢.

د- التوجيهات التي تقود خطوات المعلم في تحقيق الأهداف وتطبيق المنهج.

هـ- النشاط المدرسي المرافق للدروس والمحقق لأغراض المنهج.

و- هدف كل وحدة من وحدات المنهج.

ز- قياس تقدم الطلاب^(١).

وبهذا يتضح أن التربية الإسلامية تمثل المنهج الذي يحقق التطبيق الفعلي للتشريع الإسلامي، وخدمة مقاصد الدعوة؛ لأن الإسلام ليس جانباً عملياً معرفياً فقط، بل يهدف إلى تقويم سلوك المتعلمين، وإرشادهم إلى ما فيه نفعهم وصلاحهم، والعلم الشرعي هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق الجانب التطبيقي لأحكام الإسلام وشرائعه، فبه يكون الهدى والنجاة.

ثالثاً: هذه المناهج تتضمن السبيل الأمثل للتأهيل الوظيفي الدعوي، حيث إن التربية الإسلامية لا تعتمد في مضامينها على الأهواء، أو الآراء الشخصية، وإنما مصادرها هي مصادر الشريعة الإسلامية الأصلية، حتى تكون في حدود ما أمر الله تعالى به، وتحقق مقاصد الشريعة، ويسعد من اتباعها في الدنيا والآخرة وفي مقدمة هذه الأصول القرآن الكريم فمن خلال دراسة القرآن الكريم وعلومه يتكون لدى الطالب الدليل القاطع والحجة الواضحة، بالإضافة إلى ما يتعلمه من دراسة الحديث الشريف وعلومه الذي يبين مراد الله تعالى في كتابه العزيز، فيفصل مجمله، ويفسر مبهمه، ويقيد مطلقه، ويخص عمومه، كما أن الطالب يكون على إمام بمعرفة الأحاديث الصحيحة من الموضوع.

فمن هذين المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامي (الكتاب والسنة) تؤخذ الأدلة لتكون الدعوة إلى الله على بصيرة، وعلى ضوئها يسير الداعية إلى الله تعالى، كما أن الطالب يدرس الفقه وأصوله فيتدرب على استنباط الأحكام من

(١) المرجع السابق.

الأدلة الشرعية، ويتعلم طريقة المجادلة والتي هي أحسن، كما يدرس التوحيد والعقيدة الصحيحة ويتعرف على المذاهب المختلفة المعاصرة، وطريقة التعامل معها، وبدراسة السيرة النبوية وهي مصدر دعوي مهم حيث يمثلون للدعاة التطبيق الفعلي لسنة النبي ﷺ واتباعها يتدربون على الدعوة على الله على بصيرة وبالتى هي أحسن، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، ويبدأ بالأهم فالأهم، ويتعرف على أساليب النبي ﷺ في الدعوة إلى الله وكيفية نشر الإسلام في أرجاء المعمورة، كما يتأسى به ﷺ في الصبر ولاحتساب وتحمل الناس وأذاهم، وفي مواقفهم دروس عظيمة يستفيد منها المربي والمتعلم.

ومن خلال اللغة العربية يخاطب الطالب الناس في دعوته بأسلوب يفهمونه ويدركون معناه، ويبلغهم ما يريد بأسلوب مفهوم وواضح^(١).

رابعاً: تكوين التنمية المعرفية من أهم ما تحتويه المناهج في مدارس الجاليات الخيرية، سيما المناهج المتمثلة في مواد الشريعة وعلوم اللغة العربية والمواد الاجتماعية، والأنشطة الطلابية المتمثلة في النشاط والرحلات والزيارات الميدانية، والمخيمات التربوية وما يتخللها من برامج ثقافية تصقل مواهب الطلاب، وتنمي معارفهم وتوسع مداركهم، بالإضافة إلى أنشطة الجهات التعليمية.

والتنمية المعرفية كفيلة بتبصير المتلقي بما يجب أن يكون عليه كي يدرك تمام الإدراك آلية القيام بالدعوة على هدى وبصيرة، ويدرك كذلك أصناف المدعوين كي يقوم بمخاطبة كل بحسب توجهه وفكره.

(١) مريم راجح المنعمي، مدرسة دار الحديث المكية، ص ١٤٩.

ويقصد بالتنمية المعرفية هنا: «تكوين فكر الولد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية، والثقافة العلمية والعصرية، والتوعية الفكرية والحضارية، حتى ينضج فكريا ويكون علميا وثقافيا»^(١).

فالإنسان عندما يولد لا يعرف من المعارف والعلوم شيئا، إلا أن يكون مهيبا لذلك، فقد زوده الله تعالى بأدوات المعرفة كالعقل والحواس والفؤاد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

ومما يدل على أهمية التنمية المعرفية ودورها في تسيير الإنسان على خير نظام وأوضح منهاج: أن النبي ﷺ لم يطلب منه الاستزادة من شيء سوى الاستزادة من العلم، قال تعالى: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣).

وانطلاقا من هذا التوجيه القرآني انكب المسلمون في عصر الرسالة والعصور التي تلت على مدارس العلوم الكونية، واعتبروا تعلم كل علم نافع من قبيل الفرض والواجب الكفائي، واستفادوا من حضارات الأمم الأخرى في العالم، فجدوا فيها وهضموها، وطبعوها بطابع الإسلام المتميز، وظل العالم قرونا طويلة يقتبس من علومهم، ويستفيد من حضارتهم^(٤).

وقد تضمنت اتجاهات التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية هذا التكوين المعرفي لدى الطلاب ومنها ما يلي:

(١) عبدالله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ص ٢٥٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٤) عبدالله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ص ٢٥٣.

- ١- الاتجاه نحو إيجاد مجتمع عربي مسلم متعلم يتحقق فيه تكافؤ الفرص التعليمية بين المواطنين.
- ٢- الاتجاه الثاني: تنويع بنى التعليم وتحقيق المرونة والتكامل من أجل ربط التعليم بخطط التنمية الشاملة في المملكة.
- ٣- الاتجاه الثالث: تجديد محتوى التربية والتعليم وطرقها ووسائلها وأساليب تقويمها بما يتفق وذاتية الأمة الإسلامية أولاً وروح العصر ثانياً.
- ٤- الاتجاه الرابع: تنمية البحث العلمي والتربوي وتعزيز أجهزته واعتماد أساليب التخطيط العلمية.
- ٥- تنمية التعاون الثقافي بين المملكة العربية السعودية والدول العربية والإسلامية والصديقة^(١).

ب- الوسائل الدعوية المستخدمة في مدارس الجاليات الخيرية:

نظراً لأهمية المعرفة؛ فإن مناهج مدارس الجاليات الخيرية تعمل على تثقيف أبنائها وتزويدهم بالخبرات والمعارف الملائمة حتى تمكنهم من الإلمام بالأصول العامة والمبادئ الأساسية للعلوم، وإكسابهم فضيلة القراءة والمطالعة النافعة والرغبة في الازدياد من العلم.

كما تعمل على تأصيل الثقافة الإسلامية لدى الطلاب، وذلك من خلال حفظ أجزاء من القرآن الكريم والحديث الشريف، وبعض المتون والمنظومات العلمية، والإقبال على الثقافة الإسلامية^(٢).

(١) انظر: سليمان الحقييل، مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٢) هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، كتيب تعريفي، ص ٤.

كما أنها لم تأل جهداً فيما تستطيع بذله في توسيع مداركهم وحثهم على القراءة والاطلاع باللغة العربية - لغة القرآن - حيث أن الطلاب بحاجة إلى تعلى أصولها، وفهم معالمها حتى يستطيعوا فهم أحكام النصوص ومفرداتها، كما أنها تنتهز الفرص لبث الوعي في نفوسهم وتحصينهم بالعلم النافع والكشف عن الشبهات والأباطيل التي تحاك حول الإسلام وأهله، حتى يتمكنوا من أداء المهمة التي جاءوا من أجلها بأن يكونوا صالحين في أنفسهم ومصالحين لغيرهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

إن من اللوازم المتعينة على الداعية تحديد ما يدعو إليه وكذا استخدامه الوسيلة المناسبة التي يوصل من خلالها إلى المدعو دعوته؛ إذ لا يتصور البتة الدعوة بدون وسيلة، والمناهج التي تقوم عليها مدارس الجاليات الخيرية قائمة على الدعوة إلى الله وعلى التأهيل المناسب للداعي، قال ابن تيمية - رحمه الله -: «إن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر، لا بد فيما يدعو إليه من أمرين: أحدهما: المقصود والمراد.

الثاني: الوسيلة والطريق الموصول إلى المقصود، فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله وتارة إلى سبيله، فإنه سبحانه هو المعبود المراد المقصود بالدعوة»^(٣).

فالمناهج الصحيحة تحافظ على الأصالة، وعلى بث الأخلاق الحميدة بين التلاميذ، وتربي فيهم البعد عن الرذائل، وأما المواضيع المستجدة من النظريات

(١) سورة هود، الآية: ١١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٣) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٥/١٦٢.

وغيرها فيُنظر فيها من خلال المنهج الإسلامي، فيؤخذ الصالح منها ويترك ما لا مصلحة منه، فالمناهج إما مجال بناء أو هدم أو مضيعة للوقت، فالمنهاج يحتاج إلى دراسة مستفيضة من علماء المسلمين، يضعون الخطط المنهجية والمضامين المعرفية العلمية التي تسهم في تربية النشء تربية قويمه، تجعلهم متمسكين بعقيدتهم، يعيدون مجد الإسلام وحضارته، والدعوة إليه ونشره بالكلمة الطيبة، والنصيحة، والقدوة الحسنة، التي تتجسد فيها أخلاق الإسلام وهدية^(١).

(١) انظر: خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص ٣٥١.

المطلب الثالث

الأسس العلمية لمناهج مدارس الجاليات الخيرية

التربية في بعدها الثقافي هي عملية اجتماعية، تعني بتطبيع أفراد المجتمع على مستوى معين من الخلق والسلوك، وتكسيبهم المهارات في مختلف الفنون، والخبرات العلمية، لهذا؛ فإنها تختلف من مجتمع إلى مجتمع، تبعاً للظروف الخاصة بكل مجتمع، وفي بعدها العملي موقف تفاعلي انفعالي بين المربي وبين المتلقي، حيث يكون العطاء من المربي، ويكون التلقي والتأثر والتفاعل من المتلقي، والذي يؤثر بدوره على عملية العطاء عند المربي تصحيحاً وتطويراً، من حيث الأساليب والوسائل.

وما لم تقم التربية على التفاعل والانفعال بين جهة الإرسال (المربي) والاستقبال (المتلقي) تصبح عملية التربية عملية ميتة لا روح فيها ولا حياة ولا نماء، ولا يكاد يترتب عليها أثر ذو فاعلية أو فائدة^(١).

ولا يكاد يتصور حدوث تغيير حقيقي في المجتمعات الإسلامية، وانتقالها من حال إلى حال إلا من خلال الأسس العلمية المنهجية القائمة على الكتاب والسنة والتي يقوم عليها نظام التعليم وسياسته في المملكة العربية السعودية، وتستفيد من مناهجه مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة إذا لا يحدث تغيير إلى الأفضل في أحوال المجتمعات إلا من خلال تغيير الأنفس كما قال تعالى:

﴿لَهُ مَعْقَبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(٢).

(١) محمد بن شاكر الشريف، نحو تربية إسلامية راشدة، ص ١١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

فالمسار التعليمي الدعوي لا بد أن يقوم على الأسس والمبادئ الإسلامية السمحة التي تضمن الحياة الناجحة الكريمة لكل أفراد المجتمع، والمنهج القويم يدعو إلى العلم ويعده من أهم الواجبات على الفرد المسلم فإذا ما انحرف مساره عن أسسه الصحيحة المنبثقة عن هدي الكتاب والسنة إلى المفاهيم الخاطئة والمناهج المنحرفة فقد خرج عن مقصوده، وتلاشت أهدافه وضل مريدوه، وهذه الأسس تقوم على أربع مرتكزات أساسية هي:

١- الأساس العقدي:

العقيدة التي جاء بها الإسلام في قوتها وبساطتها وسلامتها من الشطط والانحراف وارتكازها على أسس ثابتة من الفطرة الإنسانية العامة والمنطق العقلي المستقيم والنصوص الدينية الصريحة بحيث لا يمكن لعقول كل المفكرين والفلاسفة أن ينقضوا أصلاً واحداً من أصولها، فهي عقيدة تقوم أولاً وأساساً على الإيمان بالله رباً واحداً له الربوبية المطلقة على الأشياء كلها خلقاً وملكاً وتدبيراً ورعاية وحفظاً، وأن الدين كله لله فهو الذي يتعبد عباده بما يشاء، ويشرع لهم من الأحكام والحدود والفرائض والآداب ما اقتضته حكمته مما يعلم أن فيه صلاحهم وسعادتهم، فلا يجوز لأحد أن يزيد في دين الله ما ليس منه أو ينقص منه ما هو منه أو يبدل كلماته عن مواضعها أو يحرفها بتأويل زائغ أو يشرع ما لم يأذن به الله.

فيجب الإيمان بالعقيدة الصحيحة، والتسليم لها، والعمل بموجبها، وتحقيق مقاصدها، ويجب على الدعاة أن يستفيدوا من هذا الأساس في بيان حقيقة الدعوة إلى التوحيد والتي تقوم على أن دين الله واحد وهو الإسلام الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه وأن الأنبياء كلهم إخوة وهم أبناء علات، أصول دينهم واحدة وشرائعهم شتى، وأن الواجب الإيمان بهم وبما أنزل إليهم جميعاً قال تعالى: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾.

هذا هو مجمل العقيدة الإسلامية وهي العقيدة الإنسانية التي تنجي البشرية من الفساد والإلحاد، ومن جور الوثنية إلى عدل الإسلام^(١).

ويرتكز المنهج المدرسي على قواعد علمية هامة منها: العبودية المطلقة لله، والتعاون على البر والتقوى، والإيمان بذكاء الفرد المسلم وقدرته على الإنتاج، واعتبار العمل أساساً بعد الإيمان بالله.

وإذا نظرنا إلى الرؤية التي يتخذها نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية توجيهاً لحياة الطالب المسلم في كافة نواحي الحياة؛ نجد أنها تقوم على أساس النظام الإسلامي الذي من أهم دعائمه:

أ- الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

ب- التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة، وأن الوجود كله خاضع لما سنه الله تعالى، ليقوم كل مخلوق بوظيفته دون خلل أو اضطراب.

ج- أن الرسالة المحمدية هي المنهج الأقوم للحياة الفاضلة التي تحقق السعادة لبني الإنسان وتنقذ البشرية مما تردت فيه من فساد وشقاء.

د- أن الحياة الدنيا مرحلة إنتاج وعمل، يستثمر فيها المسلم طاقاته عن إيمان وهدى للحياة الأبدية الخالدة في الدار الآخرة، فالיום عمل بلا حساب، وغدا حساب بلا عمل.

هـ- المثل العليا التي جاء بها الإسلام لقيام حضارة إنسانية رشيدة بناءة تهتدي برسالة محمد ﷺ لتحقيق العزة في الدنيا، والسعادة في الآخرة^(٢).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) انظر: محمد خليل هراس، دعوة التوحيد، ص ٢١٥ وما بعدها.

(٣) سليمان الحقييل، نظام وسياسة التعليم، ص ٦٥.

فأي نظام تعليمي تربوي لا يقوم على هذا الأساس العظيم فهو بناء ناقص، وتعليم دينوي بحت، لا يفيد متعلميه، ولا يحقق لمجتمعاتهم العزة والكرامة والحياة السعيدة في الدنيا والآخرة^(١).

ويمكن بيان أثر الأساس العقدي على رسالة مدارس الجاليات الخيرية من خلال الآتي:

أ- تسهم سلامة العقيدة ووضوحها في سلامة مضامين المناهج الدراسية؛ لأنها كلها تنطلق من العقيدة أولاً، فصفاء العقيدة وسلامتها يؤديان إلى سلامة المقررات كافة.

ب- أن مناهج هذه المدارس (العلمية) مرتبطة دائماً بالعقيدة، إذ تفسر الظواهر الكونية والعلوم التجريبية دائماً بقدرة الله وعظيم سلطانه، وتسعى إلى زرع توحيد الربوبية والإلهية في نفوس الطلاب.

ج- أن الأساس العقدي في المناهج من شأنه النظر في المستجدات من العلوم والنظريات، فينظر إليها من خلال هذا الأساس فيؤخذ الصالح منها ويترك الطالح.

إن مجمل الدعوة الإسلامية التي دعا إليها الرسل الكرام -عليهم الصلاة والسلام- هو الدعوة إلى التوحيد من خلال:

١- توحيد الله في الربوبية -توحيد الله بأفعاله- كالخلق، والرزق إلخ.

(١) أرى أن هذا الأساس فرصة سانحة للدعاة إلى الله من أجل تفعيل دور الدعوة إلى مبادئ الإسلام وقيمه بين الطلاب، وجعل المدرسة ورشة عمل حقيقية من أجل تطبيق هذه المبادئ والقيم وتفعيلها، ولا بأس من استخدام التقنيات الحديثة حسب الحاجة والضرورة، وتفعيل طرق تعليم العبادات؛ كالوضوء والصلاة والمعاملات الشرعية، وكذلك تعليم الطلاب للمعاملات المالية، ويشارك المعلمون والطلاب في إحداث هذا العمل التعليمي والتربوي في آن واحد كما قد تساهم التقنيات الحديثة من شرائط الفيديو والأشرطة المدمجة (c d) في نقل ومعالجة بعض الأخطاء أو المواقف التي قد يتعرض لها الطلاب في حياتهم اليومية.

٢- توحيد الله في الألوهية - توحيد الله بأفعال العباد -.

٣- توحيد الأسماء والصفات - توحيد الله بأسمائه وصفاته - وقد برزت

الدعوة إلى هذا المبدأ من خلال قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾.

٢- الأساس الاجتماعي:

الأساس الثاني الذي يجب أن يقوم عليه المنهج هو الأساس الاجتماعي، فيتمثل في التراث الثقافي للمجتمع وقيمه ومعاييرته التي يريد أن يزود بها أفرادها، وفي حاجاته ومشكلاته التي ينشد حلها، وأهدافه التي يريد أن يحققها، ولا بد للمنهج أن يراعي هذه النواحي جميعاً فيقوم بنقل هذا التراث الثقافي - بما فيه من قيم ومعايير اجتماعية - وذلك بعد تثقيفه وتحسينه، وهو في هذا النقل البصير يراعي حاجات المجتمع، ويراعي مشكلاته، ويسعى إلى تحقيق أهدافه التي تتخلص عادة في خلق مواطنين صالحين قادرين على التكيف والمشاركة الفعالة في حياة المجتمع والنهوض بهذه الحياة^(١).

لذا سينصب حديثنا في هذا الأساس على الأسرة، وبعض المؤسسات الأخرى في المجتمع، مثل المساجد والمراكز الثقافية المختلفة، بصفتها عاملاً مؤثراً في بناء الفرد وتربيته، ومؤثرة في المنهج المدرسي.

فلا شك أن الفرد يقضي بين أفراد أسرته أوقاتاً ليست بالقليلة، ومنذ طفولته يرتبط بالمسجد لتعليمه الصلاة، وتلاوة القرآن، فإذا ما شب التحق بأحد النوادي الرياضية والثقافية، وكل هذه المؤسسات لها أبلغ الأثر في توجيه المنهج وتربية الفرد، والمنهج السليم لا بد أن يهيئ التلاميذ لتقبل الحياة من حولهم في كل هذه

(١) سورة فصلت، الآية: ٦، وانظر: حمد بن ناصر العمار، إعداد الداعية في سورة فصلت، ص ٨٨.

(٢) أبو الفتوح رضوان وآخرون، المدرس في المدرسة والمجتمع، ص ١٣٥.

المؤسسات، حيث إنه لا ثبات مطلقاً في هذه المؤسسات، بل هي متغيرة بتغير الظروف من حولها، فمعاملتها لفترة الطفولة تختلف عن معاملتها لفترة الشباب والمراهقة، والرجولة والشيخوخة، لذلك يجب أن لا تغفل المناهج هذه التغيرات التي تحدث، وعليها أن تساعد الفرد على مواجهتها والتعامل معها بوعي وإيجابية^(١).

فالتربية عنصر من عناصر الثقافة، ونتاج من نتاجات المجتمع، مثلها في ذلك مثل أي جانب ثقافي آخر ابتكره المجتمع، فالمجتمع المسلم تقوم التربية فيه على معاني الإسلام العظيمة من الصدق، والموودة، والإخاء، والصفاء، والمروءة، وغيرها ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتربية الراشدة.

ومن أبرز آثار هذا الأساس الاجتماعي الآتي:

أ- أن تسهم مقررات مدارس الجاليات الخيرية في تقويم سلوك الطالب والتلميذ وتسعى لتهيئته ليكون فرداً صالحاً مصلحاً في مجتمعه وذلك من خلال المناهج التربوية والدعوية.

ب- تسهم مناهج مدارس الجاليات الخيرية في توطيد الترابط الأسري وذلك من خلال بيان مكانة صلة الأرحام، والتراحم بين المجتمع، وبيان المنهج السوي في التعامل مع الوالدين، والأهل، والجيران، وغيرهم.

ج- تسعى المناهج الدراسية إلى تحفيز الطلاب لنشر الفضائل الشرعية، والأدبية الخلقية في مجتمعهم، وذلك لإعطاء القدوة الحسنة لغيرهم.

٣- الأساس الثقافي:

تعرف الثقافة بأنها: ذلك النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير والعمل، وأنماط

(١) انظر: محمد زياد حمدان، المنهج أصوله وأنواعه ومكوناته، ص ٤٢.

التفكير وكل ما يبني عليها من تجديدات وابتكارات ووسائل في حياة الناس، مما ينشأ في ظله كل عضو من أعضاء الجماعة، ومما ينحدر إلينا من الماضي فنأخذ به كما هو أو نظوره في ضوء ظروف حياتنا ومعتقداتنا وخبراتنا، فهي بإيجاز: ذلك الجزء من البيئة الذي صنعه الإنسان بنفسه وهذبه بخبرته وتجاربه^(١).

والثقافة الإسلامية تتضمن عناصر معنوية مثل: إعلاء قيمة القرآن والسنة المطهرة، وهيمنة مقرراتها على النفس والعقل مما يجعل الواردات الأخرى تأخذ مكاناً تالياً منظوراً إليها من خلال هذين المصدرين كعلوم اللغة، والفنون، والعلوم، والنظم، والقوانين، والعادات والتقاليد ولاتجاهات... إلخ، وهذا خلاف ما وقعت فيه مجتمعات كثيرة استطاع أعداء الأمة الإسلامية أن يغيروا من ثقافتها الشرعية، وسادت فيها الرؤى الغربية ولو على حساب عقائدهم، وثقافتهم، وأفكارهم^(٢).

وللثقافة الإسلامية كثير من الخصائص الهامة التي ينبغي أن يراعيها المنهج حتى يستفيد منها المعلم والمتعلم، ومن هذه الخصائص: أن الثقافة إنسانية أي خاصة بالإنسان، وأنها مشبعة لحاجات الإنسان، وأنها مكتسبة أي يستطيع الإنسان أن يتعلمها، وأنها قابلة للنقل والانتشار، فهي تنتقل من جيل إلى جيل، ومن مجتمع إلى مجتمع آخر، ويتم كل ذلك عن طريق التعليم، وهذا هو الارتباط الأساسي بين الثقافة والمنهج^(٣).

(١) تعددت تعريفات الثقافة كثيرًا لدى المعنيين بها، لكنها تعود عمومًا إلى هذا التعريف المذكور

وهو الذي أرجحه، انظر: عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، السلفية وقضايا العصر، ص ٤٤٦.

(٢) انظر: صلاح بن ردود الحارثي، دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة،

رسالة ماجستير غير منشورة، ص ٢٠٠ وما بعدها.

(٣) انظر: أحمد الحمد، التربية الإسلامية، ص ٢٣٨-٢١٤.

ومهمة المشتغلين بالتأصيل الإسلامي في مجال التربية هو إعادة اكتشاف المنهج، وتفصيل الحديث في جوانبه المتعددة، وفي شموله وتوازنه، مع محاولة إجراء التجارب العملية التي توصل إلى تحويل المنهج من نظريات إلى واقع قابل للتطبيق.

إن من أبرز عوامل بناء الثقافة الإسلامية في المملكة هي المناهج التعليمية، والتي تركز بصورة منهجية على وعي أفراد المجتمع، من خلال مراعاة مراحل نموه، وتزويده بالعلوم الشرعية المناسبة لهذا النمو على قاعدة العلم الشرعي النافع، عقيدةً، وفكرًا، وأخلاقًا، ومعاملات، وشعائر تعبدية، وشرائع سلوكية.

كما أن موضوعاتها تشمل نظم الدين الإسلامي ومن أبرزها: نظام العقيدة، ونظام العبادة، ونظام الدعوة والاحتساب، والأنظمة العلمية، والخلقية، والعائلية، والاقتصادية، والسياسية، وهذه النظم يبحثها علم الثقافة الإسلامية من حيث مصادرها، وأسسها، وخصائصها، وأهدافها، وآثارها، ومسائلها الكبرى^(١).

ومن أبرز آثار هذا الأساس الثقافي في مناهج مدارس الجاليات الآتي:

أ- تقوم مناهج مدارس الجاليات الخيرية على شمولية الثقافة لكافة مناحي الحياة، فهي شاملة وغير قاصرة على الجوانب المادية المحضة مثل المقررات الغربية، ولا موعلة في الشطحات السلوكية مثل بعض المناهج الوافدة على مناهج التعليم في بعض دول العالم الإسلامي، ولكنها شاملة متوازنة تلي جميع متطلبات الروح والجسد.

ب- تمتاز مناهج مدارس الجاليات الخيرية بأصالة ثقافتها، وبعدها عن كل ما يشين الخلق والدين؛ فهي ثقافة صافية من المكدرات والشبهات.

(١) انظر: مفرح القوسي، مقدمات في الثقافة الإسلامية، ص ٣٢.

والخلاصة: أن منهج التربية الإسلامية منهج ثقافي كامل يشمل كل جوانب التربية الإسلامية بل وكل جوانب الحياة الإنسانية اليوم.

٤ - الأساس السلوكي^(١):

تُعرف التربية بأنها: العملية التي يتم من خلالها تغيير سلوك التلاميذ، فالتلاميذ يدخلون المدرسة ولديهم ذخيرة كثيرة من أنماط السلوك التي تسعى التربية إلى إحداث تغييرات في بعضها؛ وذلك من خلال تعلم أنماط جديدة من السلوك أو تعديل بعضها الآخر أو إزالته، مع توفير فرص ممارسة هذه الأنماط السلوكية المتغيرة بحيث يستطيع التلاميذ إصدارها على مستوى مقبول من الكفاءة في الظروف المناسبة والملائمة^(٢).

إن لعملية التربية لها جانبين أساسيين وهما: التلميذ بخصائص نموه، والمجتمع بأهدافه وطبيعته، ولا يمكن أن تميل التربية إلى أحدهما على حساب الآخر، لأن التلميذ يعيش في مجتمع والتربية في جوهرها عملية اجتماعية.

فإذا كان على التربية مراعاة الناحية الاجتماعية كما مر في الأساس الثاني؛ كان لا بد أن تراعي الأسس السلوكية للفرد، فعلى المنهج أن يراعي نمو التلاميذ، ويتبع هذا النمو ويتدرج معهم وفقاً لمراحل نموهم، ويعطي لكل مرحلة ما يناسبها، ويراعي أهداف كل مرحلة، ويعمل على تحقيقها من خلال المحتوى، والوسائل والأنشطة وطريقة التعليم.

(١) يقصد بالأساس السلوكي: العلم الذي يبحث في كثير من الظواهر السلوكية لدى الإنسان ويقوم بتحليل أسبابها وبواعثها ومحاولة وضع خطط علاجية لحلها، وهذا الأساس في الشريعة الإسلامية يقوم على تعاليم الإسلام عبر تعزيز المفاهيم الأخلاقية لدى المتلقي، وبث المعاني الحميدة في نفوسهم، انظر: محمد محمود الخوالدة، مقدمة في التربية، ص ١٨٤.

(٢) عبد العزيز بن محمد النغمشي، علم النفس الدعوي، ص ١٥.

إن التربية هي الحياة، والحياة نمو، إذن التربية عملية نمو مستمرة، ودور المنهج مراعاة هذا النمو ومسايرته والتفاعل معه، وخاصة التعامل مع النمو الروحي للفرد، والذي تغفله كثير من المناهج المعاصرة، والتربية الإسلامية لها دورها على الحياة العلمية للفرد في كل مراحل حياته^(١).

والمدرسة بمناهجها ومعلميها وتلاميذها وعاملها هي مؤسسة اجتماعية تجسد المجتمع الواسع طبقياً وسلوكياً، واقتصادياً وسياسياً، وهي بتفاعلها مع المجتمع وثقافته كل يوم، تخدم كأداة للإصلاح الاجتماعي أيّاً كان هدفه واختصاصه، ولا سبيل لإحداث هذا الإصلاح إلا بالمنهج التربوي والقائم على أهداف الدعوة إلى الله والتي من أبرز أهدافها تقويم سلوك المخالفين ومخاطبة عقله وروحه معاً، فلا يطغى في دعوتها له الجانب العقلي على الجانب الروحي ولا الروحي على العقلي فهي رسالة قائمة على دعوة العقل والروح؛ لأنها رسالة من لدن حكيم عليم يعلم السر وأخفى^(٢).

إن هذا الأساس يركز على قيام الفرد بالعمل ذاته، دون النظر إلى خلفيته أو جذوره النفسية، فالممارسة للصلاة والصوم وتلاوة القرآن وقراءة الأوراد والأذكار، وكذلك الممارسة للتعاون والبذل والطاعة والاحترام والصدق والأمانة والوفاء والنظام، وكذلك عادات النوم والاستيقاظ، والأكل والشرب والنظافة والجلوس والدخول،.... إخ، كل ذلك يقصد به في هذا المستوى الانجاز الظاهر، وأن يرى المربي الأعمال التي قد أنجزت، والعادات التي رسخت، والنظام وقد صار مألوفاً.

(١) انظر: أحمد الحمد، التربية الإسلامية، ص ٢٣٨-٢١٤.

(٢) انظر: محمد زياد حمدان، المنهج، ص ٤٠-٤١، وحمد العمار، أساليب الدعوة، ص ٢٠٢.

وعبر التراكمات السلوكية الجزئية يكون قد نشأ الفرد على أنماط محددة من الأخلاق، وخصال بارزة مقصودة من السمات والصفات، تمهد للمرحلة الخلقية التي تليها، فكأن المنهج الإسلامي عندما جعل الإسلام أو هدف سلوكي لدعوته، جعل الناس يسلمون بجوارحهم وأعمالهم وظواهرهم مع وجود أصل الإيمان الذي لا يُقبل الإسلام إلا به، ثم بعد ذلك تنتقل التربية الإسلامية إلى مرحلة أخرى أعلى على تفاوت بين الناس في سرعة بلوغهم لتلك المراحل نظراً لاختلاف استعداداتهم وظروفهم وبيئاتهم^(١).

ومن آثار هذا الأساس السلوكي في مناهج مدارس الجاليات الخيرية الآتي:

- ١- أن مدارس الجاليات الخيرية هي محاضن للتربية والتوجيه، وتقييم السلوك من خلال مناهجها، ومن خلال القدوات الحسنة من معلمها وموظفيها ولذلك تعد التربية السلوكية من أسمى مقاصد وغايات هذه المدارس؛ لأن الناس يتأثرون ببعضهم البعض في الأقوال، والأفعال، والاتجاهات والأفكار، والاعتقادات، وسائر الأخلاق، مما يعطي أهمية كبيرة لهذا الأساس السلوكي.
- ٢- لا يقتصر التوجيه السلوكي لهذه المدارس داخل المحيط المدرسي بل يتعداه للمحيط الخارجي للطلاب، وذلك من خلال توعية الطلاب لضرورة التحلي بمكارم الأخلاق والبعد عن أراذلها، لكونهم محل القدوة والأسوة.
- ٣- تربية الناشئة المسلمة وتعويدهم على التفكير السليم والرجوع إلى الحقائق الكونية عن الإنسان، والبعد عن الحقائق المغلوطة، والتفاسير الخاطئة، واستمداد ذلك من مصادر الوحي المقدس الذي يدعو إلى إعمال العقل فيما ينفع وفق خطوات مدروسة تبدأ بالمقدمات وتنتهي بالنتائج.

(١) انظر: عبد العزيز النغمشي، علم النفس الدعوي، ص ٤٩.

فالعقيدة الإسلامية هي التي تؤثر في النفوس، وتنقلها من الجهل إلى المعرفة، ومن الظلمات إلى النور، ولا سبيل إلى إصلاح السلوك الإنساني إلا بالرجوع إليها، وإن الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيق الحدود من أعظم الجوانب الوقائية التي تحفظ الأفراد والأسر والمجتمعات من غوائل الانحراف وتفشي ظاهرة الإجرام.

المبحث الثاني الدروس العلمية

المطلب الأول

أهمية الدروس العلمية في الدعوة

أ- مكانة المسجد في الدعوة إلى الله:

كان المسجد في عهد النبي ﷺ وعهد خلفائه الراشدين والصدر الأول ومن بعدهم حتى يومنا هذا أهم مكان لبث العلم وتلقيه، ففي دروس المساجد من الفوائد المتنوعة والمنافع الكثيرة المتعددة ما لا يخفى، فقد اتخذ المسجد مقرًا للتعليم والتثقيف، وأصبح يضم حلقات التعليم للصغار والكبار، وتركزت الدراسة فيه على حفظ القرآن الكريم وتفسيره، ومعرفة معانيه وأحكامه، بجانب تعلم العلوم الشرعية الأخرى، فرسالة المسجد لم تكن قاصرة على كونه مكانًا للعبادة، بل هو أيضًا مؤسسة تعليمية، يلتقي فيها العلماء بطلابهم لتعلم القرآن الكريم والسنة.

ولاشك -إذن- أن المساجد والمدارس من أفضل الأماكن التي يتلقى فيها العلم خاصة العلم الشرعي وما يتعلق به مما اصطُح على تسميته بالعلوم الشرعية، وليس في إمكان كل الناس تلقي العلم في مؤسسات التعليم ومدارسه بخلاف المساجد فإنها تستوعب الراغبين في العلم كلهم، لا تختص بفئة منهم دون فئة سواء أكانوا ضمن مدارس الجاليات الخيرية أم من مجتمع الطلاب والمعلمين.

وقد اهتم ولاية الأمر في هذه البلاد المباركة بدروس الوعظ والإرشاد بالمسجد الحرام اهتمامًا واضحًا إذ يبلغ عدد حلقات التدريس بالمسجد الحرام اثنتان وعشرون حلقة في الأيام المعتادة، ويقوم بالتدريس فيها جملة من العلماء المتخصصين في علوم الشريعة وغيرها، وبعضها يلقي بغير اللغة العربية

كالأوردية، والإندونيسية، والملاوية والإنجليزية، وتزيد هذه الحلقات في أيام
المواسم كرمضان والحج^(١).

ويدرس في هذه الحلقات علوم مختلفة من التوحيد والتفسير والفقه
والحديث واللغة العربية، والفرائض، ويقوم بالتدريس فيها أئمة المسجد الحرام
وعدد من أعضاء هيئة كبار العلماء، وبعض أساتذة جامعة أم القرى وبعض القضاة
وغيرهم من العلماء.

وهناك نوع آخر من التدريس وهو تحفيظ القرآن الكريم في المسجد الحرام
ووقت الدراسة في جميع حلقات التحفيظ بعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء،
وتشرف عليه جمعية تحفيظ القرآن الكريم^(٢).

ويستفيد طلاب مدارس الجاليات الخيرية بلا شك من هذه الحلقات في
حفظ وتعليم كتاب الله تعالى وتفسيره وتجويده، وهو مما يميز طلاب هذه
المدارس حيث يُعد الإقبال على حفظ كتاب الله تعالى من أبرز مميزاتهم عن باقي
طلاب المدارس الأخرى وفي كل خير.

ب- مهمة المسجد التربوية الدعوية:

- يؤدي المسجد مهماته التربوية والدعوة من خلال عدة مسارات، منها:
- أ- أنه مكان تتم فيه أداء الصلوات الخمس، والجمعة، وصلاة الكسوف
والخسوف، والاستسقاء، ولهذه العبادات آثار دعوية عظيمة.
- ب- إقامة حلق العلم التي يعرف الناس من خلالها الحلال والحرام
والخطأ من الصواب، والصالح من الفاسد.
- ج- الاقتداء بالرسول ﷺ، حيث كان مسجده ﷺ مكاناً يُعلم فيه أصحابه -
رضوان الله عليهم-.

(١) انظر: الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان، ص ٢١٥.

(٢) انظر: محمد السبيل، رعاية الحرمين الشريفين في عهد الملك فهد بن عبد العزيز، ص ٨٧.

د- شمولية التعليم في المسجد لجميع أفراد المجتمع، على مختلف أعمارهم وصنائعهم، ومستواهم التعليمي ومؤهلاتهم الدراسية، الأمر الذي تفقده المدرسة بحكم رسالتها وتنظيمها.

هـ - لا يتطلب التدريس في المسجد أمورًا إدارية كثيرة، كما هو الحال في المدارس، من قوى بشرية تديرها، ومكاتب ومستودعات، وغير ذلك من الأعباء الإدارية والمالية التي تترتب على إنشاء المدرسة.

و- يمتد التعليم في المسجد لأوقات طويلة، قد تمتد من بعد الفجر إلى العشاء^(١).

وعمارة المساجد بحلق العلم مما يسهم في نشره بين الناس، وتقصير أهل العلم في إقامة هذه الحلق وعقدتها من أسباب درس العلم وانتشار الجهل، خاصة في ظل وجود بعض المنتسبين إلى الجماعات والفرق المنحرفة في أوساط الجاليات الإسلامية بمكة المكرمة، لذا حرصت مدارس الجاليات الخيرية على الاستفادة من هذه الوسيلة في تأهيل أبنائها تأهيلاً علمياً، والسعي إلى إيصال رسالتها النيرة إلى جميع المسلمين، ولا أدل على ذلك من اهتمامها بعقد الدروس العلمية في العلوم المختلفة على يد ثلة من خيرة معلميها وبلغات مختلفة امتداداً لواجبها الدعوي القائم على نشر العلم النافع، والحث على اكتساب المعارف والمعاني الحسنة^(٢).

وبهذا يتضح أن للدروس العلمية في المساجد والمدارس والمراكز الصيفية التابعة لها دوراً دعويًا هاماً في حياة أبناء الجاليات الإسلامية بمكة المكرمة، إذا أحسن القائمون عليها الاستفادة منها في التعاون والتوجيه والإصلاح، وفي تقويم سلوك المنحرفين منهم.

(١) انظر: خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص ٣٠٢ وما بعدها.

(٢) انظر: منيرة بنت دهيش، دور المسجد في القرن الأول في الحجاز والشام، ص ١٦١.

المطلب الثاني

دور مدارس الجاليات الخيرية في إقامة الدروس العلمية

ترسيخاً لمهام مدارس الجاليات الخيرية وأهدافها الدعوية، فإنها تعد أبناءها إعداداً مناسباً للغاية التي جاءوا من أجلها، وهي تبليغ رسالة الإسلام الخالدة في شتى بقاع الأرض ليكونوا دعاة إلى الله تعالى على بصيرة مؤهلين بالعلم النافع على بصيرة وهداية.

ومن الوسائل الهامة التي تنتهجها هذه المدارس: وسيلة إشراك بعض منسوبيها في إقامة الدروس العلمية في الأحياء والمراكز التي تقع في محيطها، ويشرف عليها المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بمكة المكرمة.

ومن هذا المنطلق تتضافر جهود العاملين في مدارس الجاليات الخيرية في سبيل إعداد نخبة صالحة من شباب مجتمع الجاليات الإسلامية بمكة المكرمة والمنتسبين لهذه المدارس والتركيز على الجانب التطبيقي حتى يحولوا ما تعلموه من علوم إسلامية إلى واقع عملي في مجتمعاتهم سواء في داخل المملكة العربية السعودية أثناء إقامتهم بها، أو عند رجوعهم لأوطانهم بعد انتهائهم وعودتهم، والدروس العلمية المقامة بها تعتبر أهم الوسائل التي تعين هذه المدارس على القيام بهذا الواجب على أكمل وجه.

وهذه الدروس العلمية التي تستعين بها مدارس الجاليات الخيرية تسهم بقدر كبير في إبلاغ رسالة الله تعالى لهذه الفئة التي التحقت بهذه المدارس، ومن ثم إعدادهم ليكونوا أفراداً فعالين صالحين ودعاة في مجتمعاتهم^(١).

ومن الدروس التي تستفيد منها مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة تلك التي تقام في رحاب المسجد الحرام، حيث يعقد به عدد من الحلقات

(١) أحمد العمودي، مدير الإدارة التنفيذية، اللقاء الأول بتاريخ ٢١/٢/١٤٣٠هـ.

الدراسية المنظمة في التوحيد، والتفسير، وعلوم الحديث، والفقه وأصوله، والنحو والصرف، والمعاني والبيان البديع، والمنطق والتاريخ والسيرة النبوية، والعلوم الرياضية، والفرائض، والتي تعقد كل يوم مع حلقات تحفيظ القرآن الكريم لجميع الطلاب الراغبين في الالتحاق بها^(١)، وكل هذه الدروس يستفيد منها المنتسبون إلى مدارس الجاليات الخيرية وهي وسيلة ليكونوا خير دعاة إلى الله.

(١) للاستزادة انظر: خالد حسن الدين منديلي، الدور التربوي للمسجد الحرام، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ٩٣ وما بعدها.

المطلب الثالث

أثر الدروس العلمية في دعوة الجاليات بمكة المكرمة

إن الإسلام لم يجعل وسائل الدعوة أمرًا محددًا لا يمكن تجاوزه، بل جاء بالمنهج العام لأساليب الدعوة ووسائلها وجعلها من حيث أصولها توقيفية، ومن حيث أدواتها متجددة، وراعى فيها اختيار الداعية لأفضل الوسائل في حق المدعويين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١). فالمطلوب في الدعوة هو الحكمة، ومنها: الحكمة في استخدام الوسيلة المناسبة، والدروس العلمية القائمة على المناهج الشرعية لها آثار حميدة على الأفراد والمجتمعات، حيث تعين الداعية والمربي على إيصال رسالته في مناخ علمي، وبيئة صالحة، وعلم نافع.

ومن المعلوم أن الزمن يتغير، والوسائل تتنوع، والمعلم الداعية مطالب بالإبداع في الأدوات والنواقل الدعوية وعدم الجمود، مع ملاحظة أن الوسائل تأخذ حكم الغايات في شرع الله، فمن كانت وسيلته صحيحة كانت طريقته ومنهاجه أسلم.

فأصبح من واجب دعاة الإسلام وعلمائه أن يستفيدوا من جميع أنواع الوسائل الحديثة ومنها: الدروس العلمية ونشرها عبر المساجد والمدارس لإيصال دعوة الله تعالى إلى كل الناس، وبكل اللغات إن أمكن ذلك، وهو ما تسعى إليه مدارس الجاليات الخيرية حيث خصصت للدروس العلمية في مدارسها وبعض المساجد معلمين أكفاء يقومون برعاية مجتمعهم ودعوتهم إلى

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

الخير انطلاقا من قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

ومن الدعوة إلى الخير القيام بالدروس العلمية وما يتبعها من تخريج دعاة إلى الله يقومون بواجب الدعوة ويناصحون أقوامهم بالتي هي أحسن فيحذرونهم من العصيان، ويرغبونهم في طاعة الله، فتصلح أحوالهم، وتستقيم أمورهم، ويكونوا نواة لمجتمع مسلم صالح بإذن الله.

ومن آثار هذه الدروس العلمية:

- ١- تسهم هذه الدروس العلمية في البناء العلمي المنهجي لطلاب المدارس، وهو نوع من التأهيل العلمي المركز، وبالتالي يكون من أعظم ثمارها جيل من الدعاة المسلمين المتمرسين في العلوم الشرعية.
- ٢- تسهم هذه الدروس العلمية في الجانب التأديبي للطلاب من خلال احتكاكهم بالعلماء، والأخذ من سمتهم وهديتهم.
- ٣- أن الدروس العلمية لها أثر على بقية الجاليات وذلك من خلال حضور غير المنتسبين لهذه المدارس واستفادتهم منها.
- ٤- سهولة هذه الدروس العلمية من حيث موادها وقصرها الزمني بحيث يتمكن من حضورها مجموعات أخرى من المستمعين ممن لم يسعفهم الحظ للانتساب إلى المعاهد والدور والمدارس الشرعية.
- ٥- الدروس العلمية قد ترتبط بالنوازل الفقهية والاجتماعية والأمنية للمجتمع مما يكون لها أعظم الأثر في التوجيه والوقاية.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

المبحث الثالث المعاهد والدور الشرعية بمكة المكرمة

المطلب الأول دار الحديث الخيرية

أ- نشأتها:

تعود فكرة إنشاء هذه الدار العلمية إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، أي بعد إعلان توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز آل سعود -طيب الله ثراه-، لما رأى من قلة المدارس التي تعنى بعلم الحديث الشريف، فتبنى هذه الفكرة وأخرجها إلى حيز الوجود بعض علماء البلد الحرام^(١) حيث رفعوا خطابا يلتمسون فيه المشورة والعون من الملك عبدالعزيز ويستأذنون به بإنشاء هذه المدرسة لتأخذ الدار الإجراء النظامي في فتحها، وقد جاء النصح السامي الكريم متوجا بالموافقة على إنشاء هذه المدرسة في غرة صفر سنة ١٣٥٢هـ^(٢).

وبعد الموافقة الرسمية على نظام الدار ولائحتها الداخلية فتحت المدرسة أبوابها لطلبة العلم في الثاني عشر من ربيع الأول عام ١٣٥٢هـ، فالتحق بها عدد

(١) هو الشيخ عبد الظاهر بن محمد نور الدين أبو السمح -رحمه الله- انظر ترجمته: عبد الله الزهراني، أئمة المسجد الحرام ومؤذنيه في العهد السعودي، ص ٤٤.

(٢) عبدالرحمن صالح عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص ١٦٦، علي محمد شلبي، تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، دار القلم، الكويت، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص ١١٦، علي عامر الأسدي، دار الحديث خلال ٥٢ عاما، مجلة دار الحديث الخيرية، مكة، العدد الأول، ١٤٠٢هـ، ص ٥.

كبير من طلبة العلم السعوديين والمجاورين بمكة المكرمة، فدرسوا فيها الحديث وعلومه والتفسير واللغة العربية وآدابها وغيرها من العلوم الشرعية^(١).

ب- تطورها:

واستمرت الدار في أداء رسالتها التربوية ضمن المدارس الأهلية الخيرية، وفي عام ١٣٧٤هـ خضعت لإشراف وزارة المعارف فكانت تمدها بمساعدات مالية وفنية تقدم لها سنويا.

وفي عام ١٣٩٠هـ رفع مدير الدار -آنذاك- التماسا إلى جلالة الملك فيصل -رحمه الله- يطلب فيه ضم الدار إلى الجامعة الإسلامية لتتولى الإشراف عليها ومساندتها في أداء رسالتها السامية، فصدرت الموافقة الكريمة على ضم الدار للجامعة الإسلامية في ١٠/٢/١٣٩١هـ، على أن يكون الانضمام الفعلي في العام الدراسي ١٣٩٣/٩٢هـ، وبذلك أصبحت دار الحديث فرعا من فروع الجامعة الإسلامية وخرجت عن كونها أهلية.

وفي عام ١٣٩٥هـ أصبحت دار الحديث الخيرية تنقسم إلى قسمين: دار الحديث المكية وتتبع الجامعة الإسلامية أسوة بدار الحديث المدنية، ودار الحديث الخيرية ظلت كما هي أهلية يجمع لها إعانات وتبرعات من المحسنين وتخضع لنظام التعليم الأهلي وإشرافه وحتى الوقت الحاضر^(٢).

ج- الدور الدعوي لدار الحديث الخيرية:

ساهمت دار الحديث الخيرية في مجال الدعوة إسهاما واضحا من خلال عدة مجالات هي كالاتي:

(١) الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، ص ٣٧٠.
(٢) علي عامر الأسدي، دار الحديث الخيرية خلال ٥٢ عاما، ص ١٠-١١، عبدالرحمن صالح عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص ١٦٩.

١- التدريس: حيث يقوم بالتدريس في الدار مجموعة من المدرسين المؤهلين علمياً وتربوياً ممن يحملون الشهادات العالية كالدكتوراه والماجستير والبكالوريوس، ويسلك هؤلاء المعلمون لإيصال المعلومات إلى طلابهم وترسيخها في أذهانهم أساليب متنوعة، ووسائل متعددة تناسب طلابهم وموضوعات دروسهم وطريقة تدريسهم وما يقتضيه الموقف التعليمي.

ويستخدم مدرسو الدار طرقاً متنوعة في تدريسهم تتمثل في طريقة الإلقاء والمحاضرة، والطريقة الحوارية، وقد يجمع المدرس في درسه أكثر من طريقة حسب حاجة الموقف التعليمي وما يتناسب مع الطلاب، ويعمل مدرسو الدار أيضاً على استخدام العديد من الوسائل التعليمية التي تساعد على إثراء العملية التعليمية وتسهم في إثارة عقل المتعلم، وهذا يؤدي إلى زيادة التركيز وحسن الاستيعاب وإثارة النشاط العقلي، ويعمل المدرس بالدار على أساليب متعددة في عمله التعليمي والتربوي، فيعلم طلابه عن طريق القدوة والممارسة والتدريب والحوار والإقناع والتشويق وشد الأذهان وطرح الأسئلة والقصص وضرب الأمثال وغرس القيم النبيلة والأخلاق الحسنة في نفوس المتعلمين^(١).

ومن خلال ما سبق يتضح بأن المدرس في الدار يقوم بدور دعوي تربوي فاعل من خلال قيامه بالتربية والتعليم وتهذيب الأخلاق وتقويم السلوك وإثارة الدافعية نحو التعليم، والسير بأبنائه نحو الطريق الصحيح الذي يؤهلهم ليكونوا أعضاء نافعين لأنفسهم ومجتمعاتهم، ويقوم المدرسون بإلقاء الدروس العلمية خارج أوقات الدوام في الفترة المسائية أو الصباحية بعد صلاة الفجر، وكذلك الإشراف على حلقة تحفيظ القرآن الكريم في المساجد، وكذلك طلاب دار الحديث ممن هم على مستوى عالٍ من العلم حيث يشاركون في إمامة المساجد والتدريس في حلقات التحفيظ وإقامة الدروس العلمية.

(١) دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، تقرير عن واقع التدريس في الدار، ١٤٢٨هـ، ص ١.

٢ - مكتبة دار الحديث الخيرية بمكة:

تعد مكتبة الدار مركزاً من مراكز الإشعاع المعرفي والعلمي حيث يرتادها الطلاب باستمرار للاستزادة من العلوم والمعارف وللإطلاع والبحث والقراءة، وتحتوي مكتبة الدار على مجموعات نفيسة من الكتب والمخطوطات وبحوث الطلاب المتخرجين، وتضم بين جنباتها العديد من المكتبات الخاصة التي أهديت إليها، ويرتاد الطلبة المكتبة على فترتين صباحية ومساءً^(١)، إلا أن المكتبة في الوقت الراهن يتم ارتيادها من قبل طلاب الدار في الفترة الصباحية فقط، ونظراً لأهمية المكتبة في حياة طالب العلم، فقد تم تعيين أمين لها يتولى الإشراف عليها وتنظيمها، وحارس ومدخل للبيانات ليتمكن الطالب من معرفة محتوياتها بسهولة، وبالتالي فإنها تقدم دوراً تربوياً مهماً لمرتادها من الطلاب فيتيسر عليهم الوقت والجهد في القراءة والإطلاع وإجراء أبحاثهم.

ومن خلال ذلك يتضح أن لدار الحديث الخيرية مردوداً إيجابياً في نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة وتهيئة فرص التعليم لأبناء العالم الإسلامي، ولها دور فاعل في دعم البناء الثقافي والفكري للملتحقين بها وللمجتمعات الإسلامية بشكل عام، وما تحويه مكتبتها من نفائس الكتب لدليل واضح على عناية الدار بانتقاء الكتب النافعة لأبنائها لينهلوا من المعين الصافي من كتب السنة وعلوم القرآن والفقه وأصوله واللغة العربية وفروعها، مما يمكن طلابها مستقبلاً من القيام بدورهم الإسلامية بعيداً عن الغلو والتطرف مع التزام الوسطية في معاملاتهم وتعاملهم.

د - جهود دار الحديث الخيرية في التأهيل العلمي للمدارس الخيرية:

(١) علي عامر عقلا، نبذة عن دار الحديث الخيرية بمكة، تقرير عن مكتبة الدار، ص ١.

يسكن في مكة المكرمة أبناء كثير من المسلمين من شتى بقاع الأرض، وهؤلاء المسلمون المقيمون في مكة لهم حق الدعوة والتعليم والتوجيه والإرشاد، وتمتد دار الحديث الخيرية الجاليات بمكة المكرمة بالمعلمين القادرين على مخاطبة أقوامهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويشهد لهم كل من عرفهم بالتميز العلمي والقدرة على العطاء الدعوي من خلال المدارس التي يقومون بالتدريس فيها ومن خلال مكاتب الدعوة التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية في جميع أنحاء المملكة يطلق عليها (المكاتب التعاونية لتوعية الجاليات) حيث تعمل هذه المكاتب المحاضرات والدروس العلمية، وتعمل على طبع الكتب والنشرات التوجيهية بعدة لغات لنشر الإسلام الصحيح بين أبناء المسلمين، ويشارك مدرسو وطلاب دار الحديث بمكة المكرمة والخريجون منها بواجب الدعوة إلى الله في هذه المكاتب من خلال إلقاء المحاضرات الموسمية والدروس الدورية المنتظمة لهذه الجاليات بعدة لغات، حسب الجدول المخصص من قبل إدارة الجاليات.

كما يشاركون هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية في إدارة بعض المدارس وتأسيسها بين أوساط جاليتهم قيامًا بواجب الدعوة إلى الله ونشر العلم بين أبناء جلدتهم.

ويشارك بعض العلماء في الدار بإلقاء الدروس في يوم الخميس بصفة مستمرة في مكتب توعية الجاليات بمكة، ويحضر له عدد كبير من أبناء المسلمين أثناء إلقاء الدرس ومن هؤلاء طلاب مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة. فتعد دار الحديث رافدا مهما من روافد هذه المدارس الخيرية وركنا من أركانها^(١).

(١) دار الحديث الخيرية، تقرير عن النشاط الطلابي، ١٤٢٨هـ، ص ١١.

المطلب الثاني دار الحديث المكية

أ- نشأتها وتطورها:

أنشئت عام ١٣٥٢هـ، وفي عام ١٣٩١هـ تمّ ضمها إلى الجامعة الإسلامية، وتشتمل الدار على مرحلة التعليم المتوسط ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، ومرحلة الدراسة الثانوية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

ب- دورها التربوي:

تعمل الدار على تربية طلابها من جميع جوانب الحياة التي يحتاجون إليها، ولم تأل جهداً في تحقيق هذه الخصائص من خلال الدور التربوي الذي تقوم به تجاه طلابها، وفي جوانب متعددة تتجلى في الآتي:

١- التربية العقائدية:

إن من أهداف دار الحديث المكية: ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس طلابها، وربط الشباب المعاصر وطلبة العلم بدينهم الإسلامي المجيد عقيدة وشريعة وعملاً بالقرآن والسنة النبوية، وتتبع سيرته ﷺ وعلمه وجهاده وغزواته، وتعامله مع أعداء الله تعالى.

ويتجلى اهتمام دار الحديث المكية بترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة من خلال ما يلي:

٢- المناهج والمقررات الدراسية:

فمناهج دار الحديث المكية تركز على دراسة التوحيد وكتب الحديث، والرد على المبادئ الهدامة والأفكار المستوردة والبدع والخرافات التي أدخلت على المسلمين، وأفسدت عليهم دينهم وعقيدتهم.

حيث تم اختيار هذه المناهج والمقررات من قبل الجامعة الإسلامية بعناية تامة من المصادر والمؤلفات الموثوقة الخالية من الشكوك والأباطيل والشبهات، ككتاب (فتح المجيد) للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، و(العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب (التوحيد) لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله، فخصائص المنهج الذي أسست عليه الدار تتميز بإظهار جيل متسلح بسلاح العلم، والوعي الديني المتزن، فمن جمع هذا العلم ووعاه وعمل به فإنه يكون على قدر من العلم، والأهلية للدعوة إلى الله^(١).

٣- حضور الدروس التي تلقى في الحرم المكي الشريف:

حيث عملت دار الحديث المكية على ربط الطلاب ببيت الله الحرام ليؤدي المسجد رسالته العلمية والعملية.

وتتكفل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة "بتوفير وسائل النقل للطلاب مجاناً بين مقر الجامعة والمسجد النبوي الشريف، ومثل ذلك مع طلاب دار الحديث المكية حيث يتم نقلهم للمسجد الحرام، وذلك للصلاة فيها ولحضور بعض الدروس التي تقوي الجانب الإيماني لدى الطلاب"^(٢).

٤- التربية الخلقية:

ويظهر اهتمام دار الحديث المكية بالتربية الخلقية من خلال ما يلي:

- المقررات الدراسية:

حيث تدعو في جملتها إلى مكارم الأخلاق، وتعديل السلوك، وربط الطالب بالله تعالى ورسوله ﷺ والسلف الصالح، ويتضح ذلك جلياً في مادة السيرة النبوية في المرحلتين المتوسطة والثانوية وما تهدف إليه من تعريف الطلاب بسيرة الرسول ﷺ، وغرس محبته في نفوسهم، والاقتران به في القوال

(١) انظر: عبد الله العبود، جهود المملكة في الدعوة من خلال الجامعة الإسلامية، ١/ ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) حامد الصاعدي، المعاهد والدور التابعة للجامعة الإسلامية ورسالتها التربوية، ص ٢١٧.

والأفعال، كما يعقب ذلك دراسة تاريخية عن سيرة الخلفاء الراشدين وفتوحهم ومآثرهم العظيمة في السياسة والعلم والتنظيم.

- الأنشطة الطلابية:

حيث إن النشاط الطلابي وسيلة لاكتساب الخلق القويم، وممارسة أساليب التعاون بين الطلاب وتعويدهم على العمل الجمعي، وحب الجماعة. كما أنه يتيح الفرص للمعلم لغرس القيم الدينية والاجتماعية والأخلاق في نفوس الطلاب، فهو يكشف عن أخلاقهم ويمكن المعلم من تعديل ما اعوج منها على أن يكون قدوة حسنة ومثالا يحتذى به. ودار الحديث اهتمت بذلك ويظهر ذلك في اهتمامها بالأنشطة المنهجية واللامنهجية كالنشاط الاجتماعي، وإقامة المسابقات المختلفة بين الطلاب^(١).

٥- التنمية المعرفية:

فدار الحديث المكية تعمل على تثقيف أبنائها وتزويدهم بالخبرات والمعارف الملائمة التي تمكنهم من الإلمام بالأصول العامة والمبادئ الأساسية للعلوم، وإكسابهم فضيلة القراءة والمطالعة النافعة والرغبة في الازدياد من العلم. كما تعمل على تأصيل الثقافة الإسلامية لدى الطلاب بحفظ أجزاء من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وبعض المتون والمنظومات العلمية، والإقبال على الثقافة الإسلامية.

وتتكون التنمية المعرفية لدى طلاب دار الحديث المكية من مصادر عدة، وذلك عن طريق المناهج والمقررات الدراسية المتمثلة في مواد الشريعة وعلوم اللغة العربية والمواد الاجتماعية، والأنشطة الطلابية المتمثلة في النشاط والرحلات والزيارات الميدانية، والمخيمات التربوية وما يتخللها من برامج ثقافية

(١) للاستزادة انظر: جلال عبد الوهاب، النشاط المدرسي، ص ٥٥ وما بعدها.

تتصل مواهب الطلاب، وتنمي معارفهم وتوسع مداركهم، بالإضافة إلى أنشطة الجهات التعليمية.

٦- التربية الاجتماعية:

التربية الاجتماعية هي إحدى أهداف الدار التي أسست من أجلها، والهدف هو: تعريف الشباب الإسلامي الدارس في هذه الدار بمعنى الأخوة في الله، وتذوق معانيها السامية من خلال الدروس العلمية فيها.

وتظهر التربية الاجتماعية في دار الحديث المكية متمثلة في المناهج والمقررات الدراسية، حيث أنها تحث على وحدة الإسلام والمسلمين، وما تتضمنه من موضوعات اجتماعية تدعو إلى غرس القيم والمبادئ الإسلامية، بالإضافة إلى الأنشطة الطلابية اللامنهجية التي تشكل في المحاضرات والندوات التي تعمل على تقوية روابط التعارف والتعاون بين الطلاب، وتعويدهم على الأساليب الصالحة للتعامل مع الناس، والقدرة على العمل الجمعي التعاوني بنجاح.

ج- التأهيل الوظيفي للطلاب كدعاة إلى الله تعالى:

الدعوة إلى الله عز وجل من أجل الأعمال وأشرفها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

وهي قرينة إلى الله تبارك وتعالى، ودار الحديث المكية تعمل على إعداد أبنائها ليكونوا دعاة إلى الله وليبلغوا رسالة الإسلام على بصيرة مؤهلين بالعلم قادرين على المجادلة والتي هي أحسن، ويتبلور هذا التأهيل من خلال المجالات التالية:

١- المناهج الدراسية:

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

حيث إن المناهج تتضمن أدلة واقعية للتأهيل، وإعداد الطالب ليكون داعية على الله تعالى، فمن خلال دراسة القرآن الكريم وعلومه يتكون لدى الطالب الدليل القاطع والحجة الواضحة، بالإضافة إلى ما يتعلمه من دراسة الحديث الشريف وعلومه الذي يبين مراد الله تعالى في كتابه العزيز، فيفصل مجمله ويفسر مبهمه، ويقيد مطلقه، ويخصص عمومه، كما أن الطالب يكون على إمام بمعرفة الأحاديث الصحيحة من الموضوعات والمكذوبة.

فمن هذين المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامي (الكتاب والسنة) تؤخذ الأدلة لتكون الدعوة إلى الله على بصيرة وعلى ضوئها يسير الداعية، كما أن الطالب يدرس الفقه وأصوله فيتدرب على استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية، ويتعلم طريقة المجادلة والتي هي أحسن، كما يدرس التوحيد والعقيدة الصحيحة ويتعرف على المذاهب المختلفة المعاصرة وطريقة التعامل معها، ويبدأ بالأهم فالمهم، ويتعرف على أساليب الرسول ﷺ في الدعوة وكيف نشر الإسلام في أرجاء المعمورة، ومن خلال اللغة العربية يخاطب الناس في دعوته بأسلوب سلس يفهمه الناس ويدركون معناه، ويبلغهم ما يريد بأسلوب مفهوم وواضح. ولا يتخرج الطالب من المرحلة الثانوية إلا وقد عرف الطريق الأمثل للدعوة الصحيحة والتعامل مع الآخرين، ويصبح مؤهلاً لذلك ويكمل هذه المسيرة الخيرة في كليات الجامعة، ليكون أكثر تأهيلاً وأشمل إعداداً^(١).

٢- الأنشطة الطلابية:

الأنشطة الطلابية تبني شخصية التلميذ وتعوده على مقابلة الجموع، وإبداء رأيه بحرية، كما يتوجه التلميذ توجيهاً سليماً لفهم النصوص الشرعية وكيفية تطبيقها، كي يتبعد عن الإفراط والتفريط، كما تنمي مواهبه وتوجد التفاعل بين

(١) حامد الصاعدي، المعاهد والدور التابعة للجامعة الإسلامية، ص ٢٣٢.

التلاميذ وتحملهم المسؤولية، وتنمية روح الجرأة لديهم، مع تعويدهم على الأساليب الصالحة للتعامل بين الناس^(١).

بالإضافة إلى ذلك يتدرب الطالب من خلال الأنشطة الطلابية على الخطابة والإلقاء والجرأة في الحق، ومواجهة المشاكل، والتعرف على أساليب الدعوة الناجحة، والآداب التي يحتاجها الطالب كداعية.

٣- ربط التربية بالعمل:

تنتهز دار الحديث المكية الفرص لتدري الطلاب على الدعوة إلى الله وإعدادهم للمشاركة في الحياة العملية بما تسنده إليهم من مهام تعينهم على تحمل المسؤولية، ومن ذلك:

أ- تدريب حفظة القرآن على إمامة المسلمين في صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك، إضافة إلى مشاركتهم في حلقات تحفيظ القرآن الكريم.

ب- اشتراك بعض الطلاب المجيدين لعدة لغات في كل عام للقيام بالترجمة والتوجيه والإرشاد وإلقاء بعض الكلمات التوجيهية خلال موسم الحج.

ج- إسناد بعض الأعمال القيادية للناخبين منهم أثناء الدراسة، مثل رئاسة الفصول وجمعيات النشاط، والقيام ببعض الأعمال التنظيمية^(٢).

(١) عبدالله سالم القاضي، الإدارة المدرسية: المهام والمسؤوليات، ص ٥٩.

(٢) حامد الصاعدي، ص ٢٣٢.

المطلب الثالث

معهد الحرم المكي الشريف

أ- نشأة المعهد ودوره:

أخذت هذه الدولة منذ تأسيسها على يد الملك عبد العزيز -رحمه الله- حمل رسالة العلم ونشره والعناية بأهله، فكان من مظاهر ذلك المقصد الشريف إنشاء المؤسسات التعليمية وإيجاد المعاهد الدينية المتخصصة لما لها من أهمية عظيمة في التطور والنمو المعرفي، فكان من هذه المآثر -وما أكثرها- معهد الحرم المكي الشريف حيث تأسس في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز -رحمه الله- وبناء على ما رفعه إليه سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد -رحمه الله- رئيس الإشراف الديني بالحرم وقت ذلك، مبيناً أهمية المؤسسة التعليمية المتخصصة داخل الحرم لكونها تسهم في تثقيف الناس عموماً والحجاج والمعتمرين خصوصاً، وتكون مهمتها إعداد علماء متخصصين في الشريعة الإسلامية، ويهيئ الدعوة من داخل هذه البلاد وخارجها ليقوموا بواجباتهم لخدمة دين الله^(١).

فكان القرار برقم: ٢٧٩٦ وتاريخ: ٧/٢/١٣٨٥هـ بإنشاء معهد الحرم المكي الشريف بمراحله الثلاث الإعدادي، والثانوي، والعالبي. فوضعت له المناهج الشرعية والعربية من ذوي الاختصاص حتى أصبح معلماً بارزاً من معالم الحرم الشريف ودوحة مشيدة في العلم، وتأكيداً على أهميته ارتبط المعهد بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

(١) انظر: الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان، ٢٣١-٢٣٢، وللإستزادة انظر: عبد الرحمن صالح، التعليم في مكة، ص ٤٨.

وقد عودلت شهادة الثانوي والإعدادي بالمعهد بموجب قرار لجنة المعادلات رقم: ٤٥/٧/٢٦/٣٥/٤١، وتاريخ: ١٧/١/١٣٩١هـ. فكان لحامل تلك الشهادة من الحقوق والوظيفية مثل غيره من حملة الشهادات المماثلة إضافة لما يحمله من علم مبارك تلقاه تحت قباب الحرم وبين أروقته، كما تمت معادلة شهادة القسم العالي من جامعة أم القرى بشهادة بكالوريوس شريعة، ومن جامعات السودان وجامعة الأزهر الشريف.

ب- الدور التربوي لمعهد الحرم المكي.

الغرض من كون معهد الحرم داخل أروقة المسجد الحرام ليكون عامراً بالدروس العلمية في الفترة الصباحية، وليستفيد من هذه الدروس إضافة إلى الطلاب المنتظمين به مرتادو المسجد في هذه الفترة، للمعهد جهاز إداري وتعليمي كامل ومستوى الدراسة في المعهد عال بفض الله، يؤهل الطالب تأهيلاً شرعياً جيداً، يُدرس فيه القرآن الكريم والتجويد والفقه وأصوله والتفسير وأصوله، والحديث وأصوله مع علم الفرائض والسيرة والتاريخ والبلاغة، واللغة العربية ويؤهل خريجه للالتحاق بالجامعات في كلياتها النظرية، وقد عاد عدد كبير من طلابه إلى بلادهم مشغولين بالدعوة إلى الله^(١).

لقد أنشئ معهد الحرم المكي الشريف لأهداف تربوية نجملها فيما يلي:

- ١- نشر العلم الشرعي والعقيدة الصحيحة البعيدة عن الخرافة والبدع بين أبناء العالم الإسلامي قاطبة.
- ٢- تعميق الإيمان المقرون بأدلة الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة مع التعريف بتحريف الغالين وانتحال المبطلين من الفرق والمذاهب والتيارات

(١) انظر: محمد السبيل، رعاية الحرمين الشريفين في عهد الملك فهد بن عبد العزيز، ص ٨٦.

الفكرية والأهواء الباطلة، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة والتي انتشرت في ذلك الوقت.

٣- حفظ التراث الإسلامي ونشره وإحياء نهج السلف الصالح في الدروس العلمية الثابتة عن طريق دراسة وحفظ كتاب الله تعالى وعلومه والتفسير وأصوله والحديث ومصطلحه والعقيدة الصحيحة والفقه وأصوله والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين وعلوم الدعوة والثقافة الإسلامية وغير ذلك من العلوم المساعدة.

٤- إمداد العالم الإسلامي بالدعاة إلى الله.

٥- إعداد المعلم المتخصص، والداعية المخلص الواعي لقضايا ومشكلات عصره.

٦- إعداد الدارس بعد القسم العالي لإتمام الدراسات العليا في مجال العلوم الإسلامية والعربية في جامعات العالم التي عنيت بهذه العلوم^(١).

ج- جهود معهد الحرم المكي في التأهيل العلمي للمعلمين:

تعتمد مدارس الجاليات الخيرية على خريجي معهد الحرم المكي الشريف مع باقي المعاهد والدور الشرعية في إمداد الكادر التعليمي لها بطلبة العلم، خاصة بعد أن يتخرج الطالب من مرحلة العالي، ويتجه إلى سبيل نفع أهله ومجتمعه بعد أن تحصل قدرًا كافيًا من العلوم التي تمكنه من أداء رسالته على أكمل وجه.

كما أن طلاب مدارس الجاليات الخيرية يسمح لهم بالالتحاق بمعهد الحرم المكي الشريف لإكمال دراستهم حتى مرحلة العالي، وهو ما يوفر لهم

(١) للاستزادة انظر: خالد حسن الدين منديلي، الدور التربوي للمسجد الحرام، ص ٩٣ وما بعدها.

نصيًّا وافرًا من التزود بالعلوم الشرعية، والإقبال على المعارف الإسلامية المختلفة من هذا المنبر العلمي الشامخ^(١).

والمتمأل في خريجي معهد الحرم المكي الشريف وغيره من المعاهد والدور الشرعية، يجد أثر هذه المعاهد في تخريج ألاف كثيرة من الطلاب، والذين استطاعوا أن يصبغوا المجتمعات التي يعيشون فيها بصبغة الثقافة الشرعية القائمة على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، فهي تمثل امتدادًا لدور المسجد في إمداد الساحة العلمية بالدعاة إلى الله، وتواصلًا نظاميًا لدروس العلم الشرعي التي كان يقوم بها العلماء منذ قرون عديدة خلت - ولا تزال بفضل الله - حتى يتأهل الطالب بعد تخرجه لأرقى الوظائف في المجتمع المسلم قضاءً وإفتاءً واجتهادًا في النوازل وتعليمًا لدين الله بين الناس.

فقد أسس معهد الحرم المكي الشريف لهذا الغرض وهو إعداد دعاة إلى الله قادرين على حمل أمانة الدعوة، ونفع أقوامهم ومجتمعاتهم، وهو ما تسعى مدارس الجاليات الخيرية إلى الاستفادة من هذا الصرح العلمي في تأهيل دعاة متبصرين مؤهلين.

(١) عبد العزيز محمد حسين فارسي، عضو اللجنة التنفيذية لمدارس الجاليات الخيرية، لقاء مكتوب أجرته معه بتاريخ (١٣/١/١٤٣١هـ).

المبحث الخامس المعلمون

المطلب الأول

مكانة المعلم في الدعوة إلى الله

أ- أهمية المعلم الداعية:

من أبرز ما يمتاز به المعلم الداعية عن غيره من المعلمين هو قيامه بالدعوة إلى الله تعالى، وليس معنى هذا أن الدعوة إلى الله حكر عليه وحده، فإن الدعوة إلى الله تجب على كل فرد من أفراد المجتمع بحسب قدره وجهده وطاقته. لذا كان للمعلم أهمية كبرى في الدعوة إلى الله خاصة بين صفوف طلابه، حيث أشار القرآن إلى أن من أهم وظائف الرسول ﷺ تعليم الناس الكتاب والحكمة وتركية الناس، أي تنمية نفوسهم وتطهيرها بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

ويتضح من الآية السابقة أن للمعلم وظائف من أهمها:

- ١- التعليم، أي نقل المعلومات والعقائد إلى عقول المؤمنين وقلوبهم.
- ٢- التزكية، أي التنمية والتطهير والسمو بالنفس إلى بارئها وإبعادها عن الشر.

فنجاح الدعوة الإسلامية يعتمد على وجود المعلم والموجه المخلص الذي يدرك حقيقة عمله وعظم مسؤوليته، والذي يؤمن بمبادئ عقيدته وغاياتها، ويخلص لها كل الإخلاص، ويدعو إليها بإيمان وحكمة، وتكون حياته خير مثال لما يدعو إليه، ولا ينجح نظام تعليمي ولا يؤتي أكله -مهما كان كاملا محكما-

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

إذا كان المعلمون متذبذبين متناقضي الفكرة، لا تتفق حياتهم مع رسالة الدين والعلم.

إذن "فقضية اختيار المعلمين ليست بسيطة ولا سهلة، بل يجب أن تكون للسيرة والخلق، والمبدأ والغاية، والإيمان والعقيدة المكانة الكبرى في اختيار المعلم"^(١).

فالمعلم الأول ﷺ كان معلماً ومرشداً وموجهاً وقائداً في التغيير الاجتماعي، ومسئوليته لم تقتصر على التعليم فقط، ولكن تعدتها إلى أمور أخرى كتطهير النفس وتزكيتها وحثها على السلوك الحسن والعمل من أجل الدار الآخرة.

فالقيام بالدعوة من مزايا وخصائص الداعية سواء كانت دعوته:

أ- موجهة إلى غير المسلمين بدعوتهم إلى الدخول في الإسلام.

ب- أم كانت موجهة إلى المسلمين وذلك بدعوتهم إلى تقوية أواصر الإيمان، والتحلي بأداب وشعائر الإسلام والالتزام بأوامر الإسلام والاجتناب عن نواهيه.

إن كلمة الدعوة -حينئذ- هي أحسن كلمة تقال في الأرض وتصدق في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، ومع الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة، تصبح الدعوة خالصة لله، ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ ولا على الداعية بعد ذلك أن تتلقى كلمته بالإعراض أو بسوء الأدب أو بقبح في الأفكار، فهو إنما يتقدم بالحسنة، فهو في المقام الرفيع، والوظيفة الأسمى.

والدعوة إلى الله لازمة للداعية في كل أحواله، فحاله كحال المرسلين -

عليهم السلام- فهم لم يتقاعسوا عن الدعوة ساعة من الزمن، بل لقد وهبوا

(١) أبو الحسن الندوي، التربية الإسلامية الحرة، ص ٢٢.

حياتهم كلها من أجل القيام بالدعوة وتحمل ما يلاقونه في سبيلها من الأذى والمصاعب.

وكلما استشعر المعلم الداعية مسؤوليته في القيام بواجبه نحو الدعوة واستشعر الفضل الذي سيحصل عليه -إن شاء الله- بسبب الدعوة ازداد حماساً ونشاطاً^(١).

وإذا كانت الدعوة إلى الله فريضة على كل مسلم حسب طاقته في كل زمان وهي مهمة الداعية إلى الله، فإن هناك اتفاقاً كبيراً بين العالم المعلم والداعية يمكن إيجازه فيما يلي:

١- أن للداعية أهدافاً يود أن يصل إليها ويبلغ غايتها، ومنها إصلاح المجتمع وتحويل سلوك أفراده السيئ على سلوك حسن يتفق مع شريعة الله وسنة نبيه ﷺ، ولا تختلف الأهداف التي يسعى المعلم المسلم لتحقيقها عن ما ذكر من أهداف التعليم العامة.

٢- يحتاج المعلم الداعية إلى اختيار أمثل الطرق والأساليب المناسبة لكي يصل إلى تلك الأهداف، وذلك بالنظر إلى ما أوصى به الرسول ﷺ من الرحمة والشفقة والحنو على المتعلمين وباقي أصناف المدعوين كما حث القرآن الكريم عليها في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مِمَّنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢).

٣- أن المعلم والداعية يتعاملان مع الإنسان بكل كيانه ومكوناته ويحتاج كل منهما إلى معرفة كنه الإنسان، وأسرار نموه والمشكلات التي قد تعوق وصول الرسالة إليه، بينما، جد أن أصحاب المهن الأخرى كالطبيب والمهندس... وغيرهما، فهما يتعاملان مع أجزاء بسيطة قد تتعلق بالنسبة للطبيب بأجزاء من

(١) انظر: حمد بن ناصر العمار، إعداد الداعية في ضوء سورة فصلت، ١٦٢-١٦٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

جسم الإنسان، وبالنسبة للطبيب تتعلق بالآلات الجامدة التي يتعامل معها ولا تتعلق بصلاح الإنسان أو باستقامته.

٤- أن كلاً من المعلم والداعية مطالب بأن يكون على علم بما يدعو إليه ويعلمه، وقد شددت آيات الشريعة على كل من يحمل علماً ولا يبلغه أو يعلمه لغيره، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾^(١).

ب- الفرق بين الداعية والمعلم الداعية:

والحقيقة أن إيجاد الفوارق بين الداعية المسلم والمعلم المسلم لم تكن معروفة في العصور الأولى من صدر الإسلام، ذلك أن الداعية كان يقوم بالتعليم والمعلم كان يقوم بالدعوة إلى الله دون أن يستشعر وجود الحاجز بينهما، فالرسول الكريم ﷺ كان داعية ومجاهداً ومعلماً ومربياً كما وصفه المولى عز وجل بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

ولعل من أبرز هذه الفوارق بين الداعية المطلق والمعلم الداعية في عصرنا الحاضر ما يأتي:

١- أن الداعية المطلق لا يملك إلا التوجيه وحسن الإرشاد أما المعلم الداعية فإن لديه من السلطة والهيبة ما يؤهله إلى تقويم المعوج، وتوجيه المنحرف، بوسيلة الكلمة والوسائل المادية الفعلية.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

- ٢- أن الداعية المطلق قد يكون مولياً أو متطوعاً بينما المعلم الداعية لا يكون إلا مولياً، وثمة فروق جوهرية بين الداعية المتطوع والداعية المولى^(١).
- ٣- أن المعلم الداعية عادة ما يتعامل مع فئة معينة بصفة مستديمة تمكنه من سبر الأخطاء والتعرف على مكامن النقص والخلل بخلاف الداعية المطلق فهو يتعامل مع أصناف متنوعة وقد لا يراهم إلا فترات بسيطة.
- ٤- أن المعلم الداعية يملك في قلوب تلاميذه مفاتيح التأثير فيهم مع طول الملازمة، وعظم المكانة، وهذا لا يتأتى لأغلب الدعاة المطلقين.
- ومسؤولية المعلم الداعية في الدعوة إلى الله تتطلب منه ما يلي:
- أ- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل الفصل وخارجه، وضمن إطار المنهج الدراسي أو من خلال النشاطات الصباحية.
- ب- الاهتمام بالواقع والمشكلات التي تحصل داخل المجتمع بإيضاح أخطارها ومحاولة حث الطلاب على تجنبها كلما أمكن ذلك.
- ج- ربط كافة المواد الدراسية في شتى الفنون بالعلوم الشرعية وعدم مخالفة أي محتوى أي من المواد الدراسية لعلوم الشريعة الإسلامية.
- وقد حرصت هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة على الاهتمام بمسؤولية المعلم في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاولة غرس القيم الإسلامية في المتعلمين ضمن مدارسها، ولم يقتصر نشاطها على عليهم داخل الصف الدراسي بل امتد ليشمل مجتمع الطلاب والمساعدة في إصلاح أفرادهم قدر الإمكان.
- فالمعلم المسلم مطالب بمساعدة مجتمعه، من خلال العمل الرسمي في المدرسة ثم من خلال المشاركة التطوعية خارجها، كالمشاركة في حلقات تحفيظ القرآن وهو ما يقوم به معلمو هذه المدارس، أو الخدمات الاجتماعية

(١) للاستزادة انظر: سعيد بن علي القحطاني، الحكمة في الدعوة، ص ١٢٠ وما بعدها.

الأخرى مثل توجيه وإرشاد ضيوف الرحمن في البلد الحرام، والقيام بالحملات الإرشادية والتوجيهية للمجتمع المكي. ونظرًا لخبرات المعلم الداعية، فإن حاجة البيئة إليها ملحة وضرورية إضافة إلى أن متابعة المتعلم خارج المدرسة من المسؤوليات الملقاة على عاتق المعلم نظرًا لضرورة تكامل الرعاية التربوية. وإذا كان المعلم العالم الكفاء لا يسهم في الدعوة إلى الله فمن الذي يمكنه التصدي لها، ومجتمعات اليوم في أمس الحاجة إلى من ينبههم ويذكرهم بحالهم وما هم عليه^(١).

(١) انظر: عبد الله عبد الحميد محمود، إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية، ص ٥٢ وما بعدها.

المطلب الثاني خصائص المعلم الداعية

أ- سمات المعلم الداعية:

الداعي إلى الله خليفته في أرضه به يبين الدين الحق، ويوضح السنن والأحكام والمسائل الشرعية، والمعلم الداعية تقوم دعوته على الخير والتربية الحسنة المفيدة، والدعوة إلى الله لا تعني الدعوة إلى التوحيد والعبادة والترغيب في طاعة الله والترهيب من مخالفته وعصيانه، بل تعني إضافة إلى ذلك القيام بمعالجة الأمراض والمشكلات الاجتماعية، وهو ما قام به الأنبياء والمرسلون - عليهم الصلاة والسلام - ولا يزال ورثتهم من العلماء يقومون بنفس المهمة حتى قيام الساعة، ولكي يحقق المعلم وظيفته التي كلف الله بها الرسل وأتباعهم يجب أن يتصفوا بسمات عديدة من أهمها:

١- أن يكون هدفه وسلوكه وتفكيره ربانيا، كما صرح بذلك رب العزة في كتابه إذ يقول: ﴿ مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ يُتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى الْإِنْسَانِ نَبِيًّا وَلَمْ يَلْمِ يَاقِينَ ﴾ (١). فإذا كان المعلم ربانيا؛ استهدف من كل أعماله التعليمية ودروسه أن يجعل طلابه أيضا ربانيين أي ينتسبون إلى الرب جل وعلا بطاعتهم إياه، وعبوديتهم له، وإتباعهم لشرعه، ومعرفتهم لصفاته، يرون آثارا عظيمة الله ويستدلون عليها في كل ما يدرسون، وبدون هذه الصفة لا يمكن للمعلم أن يحقق هدف التربية الإسلامية.

٢- أن يكون مخلصا: أي لا يقصد بعمله التربوي إلا مرضاة الله، والوصول إلى الحق، وإحقاق الحق في عقول الناشئين.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

٣- أن يكون صبورًا على معاناة التعليم، وتقريب المعلومات إلى أذهان الطلاب.

٤- أن يكون صادقًا فيما يدعو إليه، وعلامة الصدق أن يطبق ما يقول على نفسه، فإذا طابق علمه عمله اتبعه الطلاب، وجعلوه قدوة لهم في كل أقواله وأفعاله.

٥- أن يعمل على زيادة ثروته العلمية، بمواصلة تزوده بالعلم والمعرفة، وأن يكون على علم وافر من المعرفة بالعلم الذي يدرسه.

٦- أن ينوع في أساليب تعليمه عارفاً بالأسلوب الذي يصلح لكل موقف من مواقف التدريس ومواده.

٧- أن تكون لديه القدرة على شد انتباه المتعلمين.

٨- أن يكون فاهمًا لنفسية طلابه، مراعيًا لفروقهم الفردية، مدركًا لقدراتهم واستعداداتهم.

٩- أن يساعد طلابه على إزالة ما يعترضهم من شبهات مسهما في حل مشكلاتهم^(١).

فكل من تصدر للتدريس فقد تقلد أمرًا عظيمًا وعليه أن يحفظ آدابه ووظائفه ومنها:

أ- الشفقة على المتعلمين، وأن يجريهم مجرى بنيه.

ب- ألا يطلب أجرًا على التعليم اقتداءً بالرسول ﷺ.

ج- أن يزر المتعلم عن سوء الخلق بالتعريض ما أمكن.

د- أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم الأخرى التي لا يقوم بتعليمها المعلم.

هـ- أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه.

(١) انظر: أحمد الحمد، التربية الإسلامية، ص ١٦٧-١٦٩.

و- أن يراعي حالة المتعلم القاصر ويعلمه العلوم الواضحة اللائقة به.

ز- أن يعمل بما علم^(١).

إن هذا الخصائص وغيرها تبرز وظائف المعلم الداعية ومسؤولياته حيث أن المعلم يبدأ بنفسه ثم مع طلبته بالدعوة إلى الله على هدى وبصيرة، ولا سبيل إلى الاستفادة من هذه الوسيلة إلا باستحضار النية الصالحة والثواب العظيم على هذه المهنة وهي وإن عدها بعض أهل العلم آداباً^(٢) إلا أنها تشمل خصائص المعلم الداعية ومسؤولياته والمهام المنوطة به.

ب- أهمية الدعوة بين الطلاب:

إن الدعوة بين الطلاب داخل أفنية المدارس وأروقتها تكتسب أهمية عظيمة

للمعلم الداعية من نواح عديدة لعل من أبرزها:

١- خصوبة تربة الدعوة بين الطلاب:

إذ أن مجال التعليم من أخصب مجالات الدعوة إلى الله، ذلك أن المدرس

يظل على صلة مستمرة بطلابه لفترة طويلة تصل إلى عدة شهور بل وسنوات، فإذا

كان المدرس مؤمناً بالله معتزاً بإسلامه شاعراً بواجبه في الدعوة إلى الله أفاض

على طلابه من نور هذا الإيمان، واستطاع خلال هذه الفترة أن يؤثر فيهم بالكلمة

الطيبة والسلوك الحسن فتشرح قلوبهم لدعوته، ويقبلون على الاقتداء به.

٢- طلاب اليوم هم دعاة المستقبل:

(١) انظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ١/ ٥٥.

(٢) انظر: بدر الدين بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص ٤٧ وما بعدها.

وقد ذكر فيها شيئاً من آداب المعلم مع نفسه ثم مع طلبته وفي حلقته وعدد شيئاً من مسؤوليات المعلم مع طلبته كحسن النية، والترغيب، والتلطف، والإيضاح، والمساواة والعدل مع الطلاب وغيرها فليراجع.

إن طلاب اليوم هم الذي سيقودون سفينة المجتمع إلى بر الأمان، فإذا قام المعلم الداعية بتوجيههم الوجهة الصحيحة، وخرجوا لنا جيلاً مؤمناً بالله تسري في نفوسهم روح الجهاد وحب العمل وابتغاء وجه الله، تخلصت مجتمعاتنا من أمراضها وصعدت أمتنا لمكانتها اللائقة بها.

٣- محاربة الفساد والدعوات الهدامة:

هناك من أفراد المجتمعات من يقوم بنشر الدعوات والأفكار الهدامة بين الطلاب، أو ينشر السلوكيات المخلة سواء أكان ذلك من المعلمين أو غيرهم، خاصة في بعض أوساط الجاليات بمكة المكرمة، ودور المعلم تجاه هذه الدعوات حماية أبناء المسلمين من التأثير بها، ونشر العلم والدعوة إلى الله فيما بينهم^(١).

وبالجملة فإن على المعلم الداعية أن يحبب دعوته لطلابها، وأن يجعل من نفسه محلاً للقبول ليقوم له الآخرون وزناً وقيمة، فرسالة الإسلام جاءت لاستصلاح هذا الإنسان، حتى يكتب الله لأمة الإسلام الخير والفلاح وتعود إلى مكانتها بين الأمم.

(١) انظر: عبد الرحمن الفارس، المعلم الداعية، ص ١٠٢.

المطلب الثالث

أهمية التأهيل الشامل للمعلم الداعية

لا يتسنى للمعلم أن يقوم بدوره الدعوي لبناء أبناء الجاليات الذين يقوم بتدريسهم إلا بتوفير الحد الأدنى من الأسباب الموصلة لهذا الهدف المحمود، ويأتي في طليعة تلك الأسباب: تأهيل هؤلاء المعلمين المرشحين لهذه المهمة، وتفيد كلمة (تأهيل) معنى الوجوب والاستحقاق، يقال: وهو أهل لكذا: أي مستوجب، للواحد والجمع، وأهله لذلك تأهيلاً: رآه أهلاً له، واستأهله: استوجهه^(١).

والأهلية للأمر: الصلاحية له، والمراد بتأهيل المعلم هنا: إعداده مسبقاً قبل ندبه للقيام بهذه المهمة الدعوية، ليكون أهلاً لما يسند إليه من مهام وواجبات، ويمكن تلخيص تلك المؤهلات فيما يلي^(٢):

١ - التأهيل العلمي:

المعلم الداعية المسلم متحدث باسم الإسلام، وعليه أن يعرف ما يدعو إليه الإسلام كما نطقت به نصوصه ومصادره، ولو تأملنا أكثر فأكثر في وظائف الداعية المتصلة بالبلاغ؛ لتجليت لنا مهام في غاية الخطورة والأهمية، كالإفتاء والتربية والتعليم والخطابة والحوار والمناظرة، وكل وظيفة قائمة بذاتها لها مفرداتها وشعبها وأدبياتها الخاصة التي تستلزم امتلاك ناصية معرفتها، حتى يصح الانتساب إليها، ولا أبالغ إذا زعمت أن الداعية المسلم لا تخصص له على التحقيق؛ وإنما مطالب أن يضرب في كل علم بسهم، وفي ازدياد دائم واستمرارية في الطلب.

(١) الطاهر محمد الزاوي، ترتيب القاموس ١/ ١٩٣.

(٢) غازي بن غزاي المطيري، الدعوة في الواقع المعاصر، ص ١٥١-١٦٢، بتصرف.

وأؤكد على الجمع بين الحفظ والفهم، والتفريط فيهما أو في أحدهما مضيعة للعلم، فإن طلب العلم درجات ومناقب ورتب، لا ينبغي تعديها، فمن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف يرحمهم الله، ومن تعدى سبيلهم عامدا ضل، ومن تعداه مجتهدا زل.

فأول العلم حفظ كتاب الله عز وجل وتفهمه وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه ولا أقول: إن حفظه كله فرض ولكني أقول: إن ذلك شرط لازم على من أحب أن يكون عالما فقيها ناصبا نفسه للعلم ليس من باب الفرض.

وليس من المنطقي في هذا العصر أن تترك مهمة التأهيل العلمي للدعاة للمبادرات الشخصية، والهمم الذاتية فحسب، وإنما لا بد أن تقوم بهذا الدور المؤسسات العلمية كالجوامع والمعاهد، وإن استلزم تغيير المناهج الرتيبة والنظم القديمة السائدة في التعليم، ما دام ذلك في إطار التطوير إلى الأحسن والأفضل، وهو المنهج الذي قامت به هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية حيث عقدت العديد من الدورات في مجال التأهيل الشامل للمعلمين ليتمكنوا من أداء رسالتها الدعوية على أكمل وجه، ومن بين هذه الدورات:

أ- دورات في الإلقاء، والخطابة، وفنون التعامل مع الآخرين.
ب- محاضرات عن المشكلات والحلول التي يعاني منها مجتمع الطلاب وكيفية التعامل معها.

ج- دورات تأهيلية في اللغة العربية، والشعر والأدب.

د- دورات في مهارات التدريس ومناهجه^(١).

٢- التأهيل العملي:

إن التربية الإسلامية في البيوت والمساجد والمدارس تستهدف تكوين

(١) هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، التقرير السنوي، ص ١٧.

المسلم الحق الذي يعيش زمانه في ضوء المصادر الأصلية ووفق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، ولا يغني التأهيل العلمي عن التأهيل العملي ما لم يقترن باكتساب المهارات واختزال التجارب، فمن المعروف أن المعلومات العلمية تبقى حبيسة العقول وفي مستودع الصدور، حتى تجد من ينفذ عنها الغبار، ويعرضها على الملأ، والمدعوون بحاجة للوصول إلى قمة الهداية، وللوصول إلى ذلك كله لا بد مما يلي:

أولاً: إلى المعلومات والحقائق والوقائع التي تضمن صلاحيتهم، وتحدث تغييراً مباركاً في حياتهم كاملاً وعميقاً.

ثانياً: يحتاجون إلى الوقت الكافي لهضم الحقائق وإعادة التأقلم.

ثالثاً: المساعدة على تخطي هذا الطريق من قبل دعاة حكماء^(١).

وهذه كلها مهام عملية محضّة، تقضي بضرورة توافر العدد الكافي من الدعاة والمصلحين ممن يتصفون بالخبرة والكفاءة، حيث لا يجدي تنميق الكلمات وتنميق الخطب وسط إفلاس كامل من الآلية التنفيذية، والسنن الإلهية لا تحابي أحداً إذ أمر سبحانه بالعمل لتحقيق كل غاية، وجعل طلب الأسباب من الدين دون التعويل عليها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسَيْرِ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢). فكل من اطلع على هدي الرسول ﷺ في العمل بالأسباب الموصلة إلى التقدم والرخاء الاقتصادي وجد ضالته، ومن العيب حقاً أن ينكفئ بعض المثقفين المعاصرين على أنفسهم ويقبلوا على الاعتكاف، بعيداً عن هموم الأمة ومشكلاتها والاشتغال بما لا علاقة له بالواقع بصلّة، لتبقى قدراتهم وطاقاتهم معطلة^(٣).

(١) بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير ص ٦٢ بتصرف.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٣) محمد الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ص ٢٣.

٣- التأهيل الأخلاقي:

يحتاج الداعية إلى الأخلاق الحسنة والصفات الكريمة: وهي أخلاق الإسلام التي بينها الله في كتابه وبينها رسوله ﷺ في سنته، ومن أهم هذه الأخلاق والصفات التي ينبغي للداعية أن يلتزمها: الصدق، والإخلاص، والدعوة إلى الله على بصيرة، والحلم، والرفق، واللين، والصبر، والرحمة، والعفو، والصفح، والتواضع، والوفاء، والإيثار، والشجاعة، والعمل بما يدعو إليه؛ ليكون قدوة صالحة، والتدرج في تعليمه دعوته لطلابيه، والبدء في دعوته بالأهم فالمهم، وأن يتعد في تدريسه عما يضاد هذه الأخلاق الحسنة من الأخلاق القبيحة.

والتربية الإسلامية تسعى إلى تهذيب أخلاق المسلم باعتبار ذلك ديناً يتقرب به العبد إلى ربه تعالى، إذ أن معظم الأخلاقيات التي تسعى إلى غرسها التربية الإسلامية في نفوس المسلمين مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالشرعية الإسلامية في أوامرها ونواهيها، وهذه الأوامر والنواهي وإن لم تكن صريحة في الدعوة إلى الأخلاق إلا أنها دليل على عناية الإسلام بالأخلاق، فإن كل أمر أو نهي يقتضي خلقاً حميداً يجعله الإسلام ديناً يؤجر العبد عليه، ويعاقب حين يخالفه أو يتمرد عليه.

على أن هذه الأخلاق التي يربي عليها القرآن والسنة المؤمن ليست أخلاقاً وطنية يمارسها المسلم داخل حدود وطنه، أو مع طائفة من الناس، إنما هي أخلاق منبعاها الإيمان بالله الذي يراقب العباد ويعلم سرهم ونجواهم، ولم تكن هذه الشعارات مجرد شعارات براقعة ترفع لا ترى النور، أو تنظر للناس ولا تجد طريقها إلى أرض الواقع^(١).

فما من أوامر أو نهي أو مثل أو قصة أو ترغيب أو ترهيب أو حدث إلا والإسلام يريد من وراء ذلك دعوة الناس إلى مكارم الأخلاق، وتحذيرهم من

(١) خليل بن عبد الله الحيدري، التربية الوقائية في الإسلام، ص ٦٣٤.

رذائلها تهدياً للنفوس، وحملاً لها على الخير والبر، والتعليم الإسلام يدعو إلى ذلك ويتبناه عبر تأهيل المعلم القدوة.

كما أن هذا التأهيل الأخلاقي سينعكس على مجتمع الطلاب إذ أن توجيه الطلاب وإرشادهم ليس مقتصرًا على المرشد الطلابي بل إن للمعلم دور كبير فيه، ذلك أنه أكثر اختلاطاً بالطلاب من غيره، ويعرف عن قرب ما يحتاجون إليه، ويستطيع بأساليبه التأثير عليهم وتغييرهم إلى الأفضل وتنمية الاتجاهات الإيجابية لديهم نحو الاستفادة من قدراتهم ومساعدتهم على الاستفادة منها في تنمية مهاراتهم، وتحسين أداءهم للأفضل^(١).

لقد كان موقف الإسلام واضحاً في التربية الأخلاقية حيث أنه يحث على البدء بتطهير الباطن من الرذائل وحماية الأطفال من تسرب الريبة الأخلاقية إلى نفوسهم، وإعدادهم إعداداً خلقياً سليماً منذ البداية وتنمية هذا الاستعداد للتحلي بالفضائل والرقى في درجات التكامل.

ولهذا لا يمكن تربية الطفل على ذلك النحو وتكوين ذلك الاستعداد وتلك العناصر الأخلاقية الأساسية في نفس المتربي بحيث يتشبع عقله وروحه إلا عن طريق استخدام كل الطرق والوسائل الخاصة بكل جانب من تلك الجوانب التربوية.

فالإسلام قد بين تلك الطرق والأساليب والوسائل الخاصة بمختلف مراحل تلك التربية، وذلك لتكوين عنصر من عناصر هذه التربية الأخلاقية مثل عنصر العاطفة والبصيرة والإرادة وما إلى ذلك، ومن هذا كله يتضح خصائص المفهوم الإسلامي لحقيقة التربية الأخلاقية ومميزاتها في النقاط التالية:

١- أن نظرة الإسلام لحقيقة التربية الأخلاقية تتسم بالعمق والشمول.

(١) انظر: مطر بن عايد العنزي، المرشد المفيد للمعلم الجديد، ص ٩٣ وما بعدها.

٢- أنها وجهة نظر متكاملة في هذه التربية فهي تتناول جميع الجوانب الإيجابية للتربية الأخلاقية المتكاملة.

٣- أن الإسلام دعا إلى استخدام جميع الطرق والوسائل والأساليب التربوية على حسب تأثيرها ومقدارها اللازم في كل مرحلة من مراحل التربية الأخلاقية.

٤- إدخال ذلك المفهوم الواسع للأخلاق الإسلامية في وعي المتربي.

٥- تدريبه في جميع تلك الميادين الأخلاقية وتربيته على أساس ذلك المفهوم الواسع الشامل لميادين الأخلاق الإسلامية^(١).

٣- التأهيل الإداري (لمن يحتاج إليه):

حرصت هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية على التأهيل الشامل لمعلميها من خلال وضع المعايير العلمية المناسبة، وحثهم على نيل أعلى الدرجات فيها، وهذه المعايير إنما وضعت ليحقق معلموها الأهداف المنشودة من إنشائها ولكي يساهم الجميع في بناء الطلاب بناءً دعويًا ملائمًا يقوم على هدي الكتاب وسنة المصطفى ﷺ، ومن هذه المعايير والضوابط لقبول المعلم ضمن مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة شروط ومعايير عدة وهي تقوم على مرحلتين هما:

أ- المرحلة الأولى: وضع ضوابط ومعايير لتقييم المعلم واستحقاقه للانتقال من مرحلة إلى أخرى. وتفصيلها فيما يلي:

| ت | البيان | الضابط | النقاط | ملاحظات |
|---|--------|----------|--------|---------|
| ١ | العمر | من ٢٢-٣٥ | ٣ | |

(١) انظر: مقدار يا لجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ص ٢٨ وما بعدها.

| | | | | |
|-------------------------|---|------------------------|------------|---|
| | ٢ | أقل من ذلك | | |
| | ٣ | المتزوج | الحالة | ٢ |
| | ١ | غير المتزوج | الاجتماعية | |
| | ٣ | البكالوريوس | المؤهل | ٣ |
| | ٢ | الدبلوم أو العالي | | |
| | ٣ | ممتاز | التقدير في | ٤ |
| | ٢ | جيد جدًا | المؤهل | |
| | ١ | جيد | | |
| | ٢ | كل سنة خبرة | الخبرات | ٥ |
| | ٣ | حفظ القرآن | الدورات | ٦ |
| | ٢ | إجازات عملية أو | والإجازات | |
| | ١ | حاسب آلي أو دورة لغة | العلمية | |
| | | إنجليزية | | |
| | | بقية الدورات التدريبية | | |
| مجموع النقاط (٣٠) نقطة. | | | | |

ب- المرحلة الثانية:

بعد اجتياز المعلم للمرحلة الأولى، يتم بعد ذلك دخول المعلم المقابلة الشخصية التي تركز على معايير هي:

| العنصر | الشخصية أو المظهر | الإمام بالمادة العلمية | الإمام بالأسس التربوية | اللغة | الثقافة العامة | المجموع |
|--------|----------------------|------------------------------|------------------------------|-------|-------------------|---------|
| الدرجة | ١٥ | ٤٠ | ٢٠ | ١٠ | ١٥ | ١٠٠ |

هذه هي أبرز المعايير التي يتم بها تقييم أداء معلمي مدارس هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة وتستطيع من خلالها الهيئة المشرفة عليها أداء رسالتها التربوية الهادفة على أكمل وجه^(١).
والمتمثل لها يجد أنها تشمل جوانب عديدة منها:

١- الجانب الدعوي والمتمثل في: حفظ القرآن الكريم والإلمام بالعلوم الشرعية الأخرى، وهذا بلا شك جانب مهم يحتاج إليه كل داعية إلى الله في عصرنا الحاضر إذا بها يستطيع المعلم تكوين النظرة العلمية للطالب من خلال معرفة المسلمات، وتخلص أذهان بعضهم من الأوهام والمعتقدات الخاطئة التي جاؤوا بها من بيئاتهم الخاصة، وتمليكهم بعض الأصول والقواعد الشرعية الهامة.

٢- الجانب التربوي: وهو الجانب القائم على تكوين المسلم الحق، وفق أسس تربوية أساسها الكتاب والسنة، حيث أن الشخصية والمظهر والإلمام بالمادة العلمية تعين المعلم الداعية على إيصال رسالته إلى الطلاب مع أهمية الثقافة العامة والتي يستطيع من خلالها التفاعل من أسئلة طلابه مع حسن توجيههم ومناصحتهم.

٣- الجانب التدريبي: حيث رصدت معايير التقييم^(٢) درجات عديدة لمجال الاهتمام بالتدريب والدورات العلمية التي يتحصل عليها المعلم، ومن المعلوم أن على المعلم أن يهتم أكثر بمهمته الدعوية، ولا سبيل إلى ذلك إلا من

(١) أحمد بن علي العمودي، اللقاء الأول بتاريخ ٢١/٢/١٤٣٠هـ.

(٢) الهدف من عملية التقييم هو تحسين صناعة القرارات خاصة أن وظيفة المقوم هي: التزويد بمعلومات موثوق بها وذات علاقة في الوقت المناسب، من أجل تحسين قرارات الإداريين (صانعي القرار)، بينما يرى آخر: أن الهدف منها هو: تقرير قيمة، أو جدوى عملية، أو ناتج ما، انظر: الخطيب أحمد فرح وآخرون، دليل البحث والتقييم التربوي، ص ١١٨، بتصرف يسير.

خلال اهتمامه بالتطوير والتجديد لذا نجد أن معلمي مدارس الجاليات الخيرية يتميزون عن غيرهم في مستويات معلمهم^(١).

إن مجتمعنا اليوم بحاجة إلى معلم يستطيع مواكبة العصر الذي نعيش فيه، ويجمع بين الأصالة والمعاصرة ولديه قدرة على مواجهة مسؤوليات تربية أعداد كبيرة من الطلاب والتي تطرق باب التعليم في الوقت الحاضر، فيكون معلماً لديه إعداد وتدريب قائم على أساس عريض من المعرفة، والمهارات المتجددة باستمرار في إطار المبادئ المهنية السلمية الصحيحة، قادراً على استخدام الوسائل المتاحة والتي تيسر استيعاب هذه المعرفة بقدر أكبر وفي وقت أقل وبكفاءة عالية في نفس الوقت مع رجوعه إلى الأصول الإسلامية باعتبارها غنية بالقيم والمبادئ والتوجيهات السليمة، فيكون للنشء القدوة الصالحة في الأقوال والأفعال ويربى فيهم القيم والمبادئ الإسلامية الصحيحة^(٢).

(١) رصد ومتابعة من قبلي من خلال زياراتي المتكررة لمدارس الجاليات الخيرية ومعرفتي بعدد من معلمها والقائمين عليها حيث لمست منهم الجهد والمثابرة، وحب الاستزادة من العلوم، ومواظبتهم على التحصيل الشرعي على أيدي علماء الشريعة المتخصصين.
(٢) انظر: طارق عبد الرؤوف عامر، إعداد معلم المستقبل، ص ٢٢٦-٢٢٧ بتصرف.

الفصل الرابع أهم مشكلات الدعوة

المبحث الأول ضعف التمويل

المطلب الأول

مكانة المال في التعليم والدعوة

للمال أهمية عظمى في خدمة الدعوة إلى الله، فهو قوام الدعوة وبه يمكن نشرها والقيام بكافة متطلباتها المختلفة، واهتمام الشارع الحكيم بتبليغ الدعوة والحرص على نشرها، يؤكد ضرورتها للبشر؛ لكونها وسيلة لإنقاذهم من الظلمات إلى النور، وطريقاً وحيداً لتحرير الناس من الخضوع لغير الله تعالى؛ إذ ليس في الكون إله يستحق العبادة بجميع أنواعها سواه جل شأنه، فلا إله إلا الله، ولا معبود بحق إلا هو عز وجل.

أ- التمويل لغة واصطلاحاً:

١- مفهوم التمويل: التمويل مشتق من المال وأصل المال مول ثم انقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. وتمول الرجل صار ذا مال و(مول) غيره تمويلاً قدم له ما يحتاج من المال^(١).
و الخلاصة: أن التمويل في اللغة يعني تقديم المال من جهة لأخرى أو من طرف لآخر.

٢- مفهوم التمويل اصطلاحاً: تعدد مفاهيم التمويل في الاصطلاح بتعدد المنطلقات له فهناك من عرفه بأنه: «تقديم المال من طرف لآخر بقصد التملك أو الاستثمار لقاء عائد مؤجل مشروع»^(٢).

(١) محمد الرازي، مختار الصحاح، ص ٦٣٩، مادة: مول، ومرضى الزبيدي، تاج العروس، ٧٥٢٤/١، مادة: مول.

(٢) سعد الرفاعي، مصادر وأساليب التعليم في العصور الإسلامية، ص ٧.

وعُرف التمويل بأنه: «الوظيفة التي هو تحدد الموارد المالية المتاحة ذات المصادر المشروعة ورصد المبالغ المطلوبة لتمويل نشاطات مباحة وتوضيح طريقة صرفها وذلك من أجل تحقيق أهداف محددة مسبقاً تتمشى مع روح الإسلام ولا تتعارض معه»^(١).

فيكون التمويل: هو كل ما يخصص من صور وأشكال التمويل لتسيير الحياة الاجتماعية أو التعليمية لجهة ما وفق شروط وضوابط معينة.

ب- سياسة التمويل في الإسلام:

لم يترك الإسلام بمنهجه الرباني السامي شأناً من شؤون الحياة إلا وفصل فيه الحكم، ولم يكن التمويل بمنأى عن منهجه الشامل إذ وضعت ضوابط التمويل الإسلامي كما يلي:

١- لا تمويل لمحرم: إذا لا يجوز أن يقدم الشخص مالاً أو خبرة لتمويل سلع أو خدمات محرمة وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

٢- لا تمويل بمحرم: حيث يجب أن يتحقق التمويل بأسلوب حلال فلا يتم بشروط مجحفة أو ضارة، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبُطْلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٣).

٣- مراعاة المصالح الدينية والاجتماعية: وهذا يعني ألا يحصر الفرد حركته التمويلية فيما يحقق له عائداً مادياً فقط، فهناك مصالح أخرى توجب على الفرد أن يمول غيره في بعض الحالات دون انتظار عائد اقتصادي كما قال تعالى مبيناً

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٧.

ابتغاء المنفق بصدقته وجه الله تعالى ورجاء ما عنده من ثواب وأجر جزيل: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾^(١).

لذا اهتم المسلمون بتأمين وتنظيم مصادر التمويل وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية وكانت لها عدة مصادر للتمويل، منها: الزكاة، والخراج، والغنائم، والفيء، والخمس، والجزية، والقروض، والعشور، والصدقات، وبعض الأموال التي لا مالك لها كاللقطة، والتركة، والتركة التي لا وراث لها، والأوقاف التي لا ناظر لها، والأموال المصادرة، أو الممنوحة كهدايا، والنشاطات التي تقوم بها الدول لتعزيز قدرتها المالية^(٢).

ومما سبق يمكن ملاحظة مدى تنوع مصادر التمويل الإسلامي ومدى العدالة التي تتمتع بها ولعل هذا ما يقود إلى التطرق إلى سمات نظام التمويل الإسلامي والتي يمكن تحديد معالمها البارزة بما يلي:

- ١- أنه يحتوي على العديد من صور وأشكال التمويل فنجد التمويل التبرعي ومن أهم أدواته القرض، والهبة، والوقف والعارية، ونجد التمويل بالمشاركة ويعتمد على المضاربة والمزارعة والمساقاة.. إلخ.
- ٢- أنه تمويل حقيقي تقدم فيه الأموال بشكل فعلي لطالبيها.
- ٣- أنه خال من صيغ التمويل المحرمة.
- ٤- أنه تمويل مباح لأعمال مشروعة وأنشطة مشروعة^(٣).

(١) سورة الإنسان، الآية: ٩.

(٢) انظر: القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ص ١٥-٢٥ وفيها عدد صنوف الأموال التي يليها الإمام للرعية.

(٣) سعد الرفاعي، مصادر وأساليب التمويل، ص ١٢.

فربط المال الحلال بالتمويل المباح يطهره من الشح والغي، وينجيه من الحسد والكرامية، ويمنع الطبقة التي تعاني منها المجتمعات الكافرة، ويساعد على حفظ أموال الناس ونمائه بالطرق الصحيحة المشروعة.

ج- أهمية المال في التعليم والدعوة:

١- الأدلة على أهمية بذل المال من القرآن الكريم:

تتجلى أهمية المال ومكانته من خلال الأدوار العظيمة التي يمكن من خلاله نشر الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، وعمارة المساجد، والإنفاق على المساكين والفقراء، فقد جعله الإسلام قواماً للدين والدنيا معاً، فبه تكون نصررة الدعوة والإنفاق على الدعاة حيث يوضح الشارع الحكيم قيمة المال وأهمية المحافظة عليه وصرفه في وجوه استحقاقه دون سفه أو حيف على أحد فيقول - عز من قائل -: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(١).

ويبين - جل وعلا - أهمية الجهاد بالنفس والمال ومن أنواع الجهاد في سبيل الله الجهاد بالكلمة ونشر العلم والدعوة يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٢).

٢- الأدلة على أهمية بذل المال من السنة المطهرة:

بينت السنة النبوية عظم أجر البذل في سبيل الله، وأهمية تمويل الأعمال الخيرية وبذل الصدقات لمن يستحقها في مواضع وأحاديث كثيرة توضح الثواب الجزيل للمتصدقين.

(١) سورة النساء، الآية: ٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٠.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، أي الصدقات أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر»^(٢).

ومما يدل على أن المال هو قوام الدعوة إلى الله ونشر السلام في مشارق الأرض ومغاربها قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

فجعل الله الاستخلاف في الأرض الذي من أفراد الغنى الحسي، طريقاً بالتمكين للدعوة في الأرض، فدل على أن المال هو أهم أداة لتمكين دعوة الله في الأرض.

تبين الأدلة السابقة فضيلة الصدقة والبذل في سبيل الله، وثواب المتصدقين، ومن صور التمويل في الإسلام: الوقف، والهبة، والصدقات، والتبرعات التطوعية، والمساهمة في إغاثة الملهوف، وتعليم الجاهل، وتبصير الغافل،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح، ٢٠٥٤/٥ برقم (٥٠٥٥). ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، ٧١٤/٢ برقم (١٠٣٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له، ٢٣٦٦/٥ برقم (٦٠٧٧).

(٣) سورة النور، الآية: ٥٥.

وسداد الدين، وإعانة المنقطع لطلب العلم، وإعداد الدعوة إلى الله بالوسائل والأساليب المشروعة وهو من أنواع التمويل المباح.

٣- أهمية المال في تمويل الدعوة إلى الله:

للمال أهمية كبيرة في خدمة أهداف الدعوة إلى الله، وإعداد وتأهيل الدعوة، وتعليم الطلاب العلوم النافعة، وإرشاد الناس إلى طريق الهداية والرشاد، وإعانتهم على المصاعب التي قد تواجههم في أمور دنياهم.

فالمال ليس غاية لذاته إذا حصل عليه المرء وقف عنده، ولكنه ليس وسيلة لغايات تتعلق بمصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وهذه الغايات هي الوظائف، وقد عرف الشارع بها وأشار إليها، ولا خير في مال لا ينفع صاحبها في الدنيا والآخرة^(١).

ومن وظائف هذا المال: الزكاة، والإنفاق المشروع كالإنفاق المشروع على الأبوبين، والزوجة، والأولاد، والوقف، وصدقات التطوع، والكفارات، والנדور، وكفالة الدولة للعجزة والمحتاجين، وكفالة الدعوة، وطلبة العلم، والمدارس الشرعية^(٢).

وقد صدر من اللجنة الدائمة بالبحوث العلمية والإفتاء مجموعة من الفتاوى باعتبار الدعوة إلى الله وما تتطلبه من مقتضيات مالية مثل: مكافأة الدعوة، وأجور مكاتب الدعوة، وطباعة كتب الدعوة وتأليفها ونشرها باعتبار ذلك من الجهاد في سبيل الله، وكذلك بعث البعوث للدعوة إلى الإسلام، وبيان أحكامه، ومحاربة دعاة الضلال والإلحاد، والمبادئ الهدامة.

(١) انظر: أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، ص ٧٠.

(٢) للاستزادة انظر: عبد الرحيم المغذوي، الدعوة وصلتها بالحياة، ص ٢٧٢.

وبناء على ذلك وعلى القول بحصر مفهوم (وفي سبيل الله) في الجهاد فإن أي وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله داخله في مفهوم (وفي سبيل الله)^(١).
ومن هذه الوسائل التعليم النافع لأولاد المسلمين في دينهم وشؤون دنياهم، والإنفاق على إنشاء هذه المدارس وعلى تعليم أولاد المسلمين فيها فرض لازم، وهو في الأصل فرض كفاية على الأمة الإسلامية كلها، إذا قام به البعض سقط عن الباقيين كما بين ذلك أهل العلم في هذه البلاد المباركة^(٢).

(١) انظر: أحمد الدويش، فتاوى اللجنة الدائمة، ١٢/٣٩-٤٥، بتصرف واختصار مني.

(٢) المصدر السابق، ١٢/٢١٤-٢١٥.

المطلب الثاني

أهم المشكلات التي تواجه التمويل

١- مشكلة ضعف تمويل التعليم:

أ- مسؤولية تمويل التعليم:

لعل من أهم المشكلات القائمة التي تواجهها النظم التعليمية المعاصرة في مختلف الدول ما يتعلق بتوفير المال اللازم للتعليم والتوسع فيه، ولا سيما بعد تعدد وظائف التعليم وتشابك أهدافها، وتداخلها مع أهداف التنمية الشاملة؛ مما أدى إلى زيادة احتياجات التعليم من الإنفاق والتمويل لتحقيق أهدافه يقابل ذلك انخفاض معدلات النمو الاقتصادي وانخفاض حجم الموارد التي تدعم ميزانيات الدول، وأهم مشكلة تواجه الدول عند تناول النفقات المتزايدة للتعليم، وتوفير المال اللازم لمتطلبات العملية التعليمية التي أصبحت في تزايد مستمر، خصوصاً عند سعي كثير من الدول لتحقيق العدالة الاجتماعية، ومبدأ تكافؤ الفرص الاجتماعية، والارتفاع بمستوى التعليم ونوعيته وتجويده.

وفي المملكة العربية السعودية تقع مسؤولية التمويل على كاهل الدولة، وتعتبر الدولة ذلك من مسؤولياتها انطلاقاً من إدراكها لأهمية العنصر البشري^(١).

حيث ترى سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية «أن الطاقة البشرية هي المنطلق في استثمار سائر طاقتها، وأن العناية بهذه الطاقة عن طريق التربية والتعليم والتثقيف هي أساس التنمية العامة.

وأن تراعي الدولة زيادة نسبة ميزانية التعليم لتواجه حاجة البلاد التعليمية المتزايدة وتنمو هذه النسبة مع نمو الميزانية العامة»^(٢).

(١) انظر: عبد الله بن عبد المجيد البغدادي، الانطلاقة التعليمية في المملكة، ٢/ ٥٨٢.

(٢) سليمان الحقييل، نظام وسياسة التعليم، ص ٣٠٧.

وتتولى مسؤولية تمويل التعليم العام في المملكة العربية السعودية السلطة المركزية التي تعطي صلاحيات واسعة لوزير المعارف في الإشراف على حسن سير التعليم في البلاد والإنفاق عليه حسب متطلبات كل منطقة^(١).

ب- تمويل التعليم وترشيد نفقاته في المملكة العربية السعودية:

١- تمويل التعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية:

تقوم المملكة بتوفير تمويل للتعليم العام للبنين والبنات من خلال وزارة التربية والتعليم إضافة لبعض الجهات الحكومية الأخرى، كما توفر الدولة أيضاً التعليم العالي من خلال الجامعات، والكليات العسكرية، والأمنية وبعض الجهات الحكومية الأخرى والكليات التابعة للمؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، كما تقوم الدولة بمنح مكافآت لبعض الطلبة والطالبات في التعليم العام وذلك كإعانات لذوي الحاجات منهم.

كما تقوم الدولة بتقديم المساعدات المالية للتعليم الأهلي، وذلك لضمان تحقيق أداء تعليمي وتربوي يتلاءم مع ما يقدم في التعليم الحكومي وقد نص قرار مجلس الوزراء الصادر عام ١٤٠٩هـ على أن تكون إعانات الدولة للمدارس الأهلية كما يلي:

١- الكتب والمقررات الدراسية.

٢- الإدارة وذلك بإسنادها إلى من يتبعون الدولة.

٣- تقديم إعانة نقدية من قبل وزارة المعارف لبعض المدارس الأهلية وفق اشتراطات معينة^(٢).

ونظراً للظروف الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، وما ترتب عن ذلك من زيادات كبيرة في الإنفاق الحكومي على القطاع التعليمي، فإن تمويل التعليم

(١) انظر: سعد الرفاعي، مصادر وأساليب تمويل التعليم، ص ٢٦.

(٢) انظر: عبير زاهد قدسي، المدارس الأهلية في مكة المكرمة، ص ٥٥ وما بعدها.

أصبح مشكلة تحتاج إلى حلول، وذلك ليس فقط على المستوى المحلي بل إن المشكلة أو الأزمة هي أزمة عالمية بشكل عام ، مما جعل التمويل المالي للمدارس الأخرى بوجه عام وإلى مدارس الجاليات الخيرية شبه معدوم لكثرة التبعات المالية التي اقتضتها التطورات المتلاحقة.

فنمو السكان المتسارع وما يترتب على ذلك من ازدياد في معدلات الالتحاق بالتعليم بمختلف مراحلها أو بمعنى آخر ازدياد الطلب الاجتماعي والاقتصادي على التعليم ومواكبة التطورات التقنية الحديثة في المجالات المختلفة المتعلقة بالعملية التربوية والتعليمية مثل تطوير المناهج واستخدام الوسائل التعليمية الحديثة مثل الحاسب الآلي والإنترنت وما يترتب على ذلك من إنفاق أموال طائلة.

٣- واقع تمويل التعليم في المملكة والبدائل المتاحة:

برغم توفر الموارد المختلفة للاقتصاد السعودي إلا أنه لم يكن بمنأى عن التغيرات العالمية التي حدثت لاقتصاديات الدول، ولذا فقد بدأت الدولة تفكر في مصادر تمويل جديدة لمواجهة متطلباته خاصة وأن التعليم يواجه تحديات تفرضها طبيعة الواقع الحالي ومؤشرات النمو المستقبلية، ولعل هذا ما دفع بوزارة التربية والتعليم إلى إنشاء إدارة عامة لاقتصاديات التعليم بقرار وزير التربية والتعليم رقم (٤٨/٩٥٤ ، ١٩٤١٩هـ: ١-٤) والتي تهدف إلى:

إيجاد السبل الكفيلة برفع مستوى الكفاية الاقتصادية للوزارة من خلال العمل على خفض التكاليف - بشرط ضمان الجودة- وتدعيم إيرادات الوزارة بكل السبل الممكنة المشروعة، ويشمل ذلك البحث عن مصادر تمويل جديدة

للمشروعات التربوية والتعليمية في القطاع الخاص بإفراجه ومؤسساته وشركاته^(١).

كما نص القرار على أن من مهام الإدارة العامة لاقتصاديات التعليم ما يلي:

١- القيام بدراسات تؤدي في النهاية إلى:

أ- حث القطاع الخاص بأسلوب ملائم على التبرع لتمويل مشاريع محددة تنفذها أو ستنفذها الوزارة.

ب- اقتراح طرق أساليب جديدة لاستثمار مرافق وفعاليات الوزارة في مجال الإعلان بما لا يتناقض مع أهداف العملية التربوية.

ج- اقتراح طرق إعداد المستلزمات التعليمية والمطبوعات وغيرها من القطاع الخاص.

د- الاستفادة من تجارب الدول الناجحة في مجال اقتصاديات التعليم.

د- السعي -بمختلف الطرق والأساليب- لإحياء روح البذل والتطوع بالمال، ولاستئناف العمل بمبدأ الوقف الإسلامي على التعليم لدى مجتمعنا المسلم.

هـ- اقتراح الوسائل والإجراءات الإدارية الكفيلة بتحقيق المرونة النظامية المتعلقة بإيرادات الوزارة بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة^(٢).

ج- المشكلات التي تواجه تمويل التعليم في مدارس الجاليات الخيرية:

يقوم تمويل هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية على التمويل المختلط بين الرسوم المدرسية، ودعم الجهات الخيرية في المملكة، ومع ذلك فهي تعاني من مشكلة ضعف التمويل خاصة فيما يتعلق برواتب المعلمين وتأمين

(١) انظر: فهد العتيبي، إسهام القطاع الخاص في تمويل التعليم العام في المملكة العربية السعودية، ص ١٤.

(٢) انظر: خالد العواد، ص ٤٥.

التجهيزات المدرسية اللازمة، هذا مع دعم وزارة التربية والتعليم لها فيما يتعلق بالكتب المدرسية والإشراف والتوجيه وإيفاد بعض المعلمين الوطنيين للتدريس فيها على نفقة وزارة التربية والتعليم بالمملكة.

حيث أن الهيئة تتطلع إلى ضم أكبر عدد من مدارس الجاليات الخيرية والتي لم تدخل بعد في إشراف هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، ويقف الدعم المالي حائلاً دون ذلك.

وتعتمد الهيئة في تمويلها على عدة مصادر منها:

١- مساهمة المؤسسات المجتمعية: وهو ما يقدمه المجتمع بجميع مؤسساته الاقتصادية والاجتماعية من مساهمات عينية، ومادية، ومن جهود في دعم العملية التعليمية وتنوع مساهمات المجتمع المحلي في دعم التعليم سواء في بناء المدارس أو تقديم الخدمات التعليمية، أو التبرعات النقدية، أو تقديم الدعم لهيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية من أجل تحسين الخدمات التعليمية كما يشمل دعم المؤسسات الخيرية^(١) للهيئة التبرعات النقدية المباشرة، وتزويدها بالأجهزة والمعدات اللازمة للعملية التعليمية.

٢- الرسوم المدرسية: وهي أحد المصادر التي من خلالها تحصل هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية على رسوم دراسية من الطلاب مقابل الخدمات التعليمية، وهي رسوم بسيطة تؤخذ من الطلاب المقتدرين ومقدراها مائة وخمسون ريالاً للعام الدراسي الواحد ويستثنى من دفع الرسوم الطلاب الفقراء والأيتام منهم على وجه الخصوص وهي في الغالب لا تفني بالحد الأدنى من متطلبات الإنفاق على هذه المدارس^(٢).

(١) من هذه المؤسسات: مؤسسة محمد وعبد الله السبيعي الخيرية، ومؤسسة الراجحي الخيرية.

(٢) أحمد العمودي، مدير الإدارة التنفيذية، اللقاء الثاني بتاريخ ١٠/١/١٤٣٢ هـ.

ومن أهم العقبات التي تواجه هذه المدارس لتعزيز مصادرها المالية:

- ١- عدم وجود قطاع خيري مستقل يعنى بدعم التعليم الخيري في المملكة، وخاصة تعليم مدارس الجاليات الخيرية سواء أكانت تحت مظلة هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية أو لم تنضم إلى الهيئة، وذلك على غرار المشاريع الاجتماعية المتعددة، كجمعيات الزواج، والعلاج، وغيرها، مما يجعل أمر دعمها من قبل وزارة الشؤون الاجتماعية صعباً للغاية.
- ٢- عزوف بعض رجال الأعمال عن دعم المدارس الخيرية لعدم قناعتهم بدور التعليم في الحياة العامة، وفي النهوض بالمجتمعات، وفي حفظ المجتمع المكي من مخاطر ترك تعليم بعض أبناء الجاليات الإسلامية أو تسربهم عن الدراسة، وانخراطهم في بعض الأعمال الدونية.
- ٣- عدم الاستفادة من تسجيل الأوقاف رسمياً لهذه المدارس ضمن الأوقاف التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد مما يحرمها من مصدر دخل مستمر حتى ولو انقطع الدعم المالي من قبل بعض الخيرين في هذه البلاد المباركة، نظراً لعدم إمكانية تسجيل هذه الأوقاف تحت مسمى هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية^(١).

(١) أحمد العمودي، مدير الإدارة التنفيذية، اللقاء الثاني بتاريخ ١٠/٢/١٤٣٢ هـ.

المبحث الثاني محدودية الكادر التعليمي والإداري

يتكون المجتمع من مؤسسات ومنظمات مختلفة، تختص كل منها بجانب من أعباء الأمة في المجالات الاقتصادية، والسياسية، والتربوية، والاجتماعية، والدعوية، وتقع الإدارة التربوية من بين تلك الجوانب حيث أنها تُعد الأجيال القادمة وتسعى إلى تحقيق أهدافها عبر تلك الاختصاصات، والعمل الإداري بمختلف أنواعه ومجالاته يكون هو أحد أدوات تسيير المنشآت التربوية، وضعفه أو قلة الإداريين فيها يؤثر تأثيرًا كبيرًا على مسيرة العمل التربوي والدعوي وهو ما سأبين جوانب منه فيما يأتي:

المطلب الأول

أهمية الإدارة التربوية في المسيرة التعليمية

أ- مفهوم الإدارة:

عُرفت الإدارة بعدة تعاريف ومنها:

١- أن «الإدارة علم اصطلاح على إطلاقه على كل جهد جماعي في أية

منظمة خاصة أو عامة بقصد تحقيق هدف معين»^(١).

ومن ثم يسري هذا التعريف على أية منظمة سواء كانت تلك المنظمة تجارية

أو مدرسية، أو هيئة حكومية، وهذا الجهد يحتاج إلى التنظيم والتوجيه والتنسيق فيما بين أفرادها ليصل الجميع إلى أهدافهم بسهولة.

وقيل هي: «عملية اجتماعية مستمرة تسعى إلى استثمار القوى البشرية

والإمكانات المادية من أجل تحقيق أهداف مرسومة بدرجة عالية من الكفاءة»^(٢).

(١) هاشم بكر حريري، الإدارة التربوية، ص ٩.

(٢) خالد بن سعد الجضي، الإدارة: النظريات والوظائف، ص ١٨.

ومن هذا التعريف يمكن استخلاص العناصر التالية:

- ١- أن الإدارة عملية تتضمن وظائف عدة هي: التخطيط والتنظيم والتوجيه.
- ٢- أنها اجتماعية فهي لا تنشأ من فراغ؛ بل تنشأ داخل مجموعة منتظمة من الناس وتأخذ في الحسبان مشاعرهم واحتياجاتهم وتطلعاتهم.
- ٣- أنها وسيلة وليست غاية، فهي وسيلة تنشأ لتحقيق أهداف مرسومة.
- ٤- أنها عملية مستمرة، واكتسبت هذه السمة من حتميتها، فلا يمكن تصور منظمة قائمة دون إدارة.

٥- أنها تعتمد على استثمار القوى البشرية والإمكانات المادية المتاحة.

- ٦- أنها تسعى إلى تحقيق الأهداف بدرجة عالية من الكفاءة، ويقصد بالكفاءة تحقيق الهدف بأقل جهد وأقصر وقت وأقل التكاليف^(١).

فهي إذن مزيج من العلم والفن، وهي علم له أصوله وقواعده، وتقوم على استثمار الطاقات والإمكانات المادية المتاحة، وتنمية المهارات الابتكارية والمواهب الذاتية، مما يعني ارتباطها بالعملية التربوية ارتباطاً وثيقاً.

- ١- ويمكن أن تُعرف الإدارة التربوية بأنها: «هي العملية الخلاقة التي يمكن بمقتضاها توفير الموارد البشرية والمادية، وتوجيه الاستفادة منها، بما يحقق الأهداف التربوية تحقيقاً فعالاً، في إطار مناخ تتوافر في علاقة إنسانية مواتية وتعاون مثمر»^(٢).

والملاحظ على هذا التعريف أنه لم يفصل بين مفهوم الإدارة العامة، وبين الإدارة التربوية والتي هي بمفهومها الخاص تعني علماً وفناً يقوم على تحقيق أهداف المجتمع من خلال منطلقاته الفكرية، ومتغيراته السياسية والاجتماعية.

- ٢- تعريفي للإدارة التربوية بأنها: عملية تسيير مؤسسة تعليمية ما، من أجل

(١) خالد بن سعد الجضي، الإدارة النظريات والوظائف، ص ١٨.

(٢) هاشم حريري، الإدارة التربوية، ص ٣٣.

تحقيق أهداف معينة، من خلال ما يسود المؤسسة التعليمية من علاقات إنسانية سوية، وأساليب متقدمة في الإدارة، مع الانطلاق من الدين الحنيف وتعاليمه السمحة من أجل إنجاز أحسن النتائج، بأقل جهد وبأدنى تكلفة، وفي أقصر وقت ممكن.

فهذا التعريف المختار يقوم على جميع المؤسسات التعليمية الحكومية منها والأهلية مما يجعل تنوع هذه المؤسسات يشمل جميع المدارس والمعاهد العلمية، ويميز الإدارة التربوية عن الإدارة العامة بمفهومها الشامل العام.

ب- أهمية الإدارة التربوية:

للإدارة التربوية أهمية بالغة في أداء التعليم بكافة مستوياته، والوصول إلى أهدافه بكل يسر، ويمكن تلخيص هذه الأهمية في النقاط التالية:

١- أن عملية الإدارة التربوية لا تتم إلا حيث توجد مؤسسة تربوية سواء كانت هذه المؤسسة عامة أو خاصة فيحصل التنسيق والتكامل فيما بينهما.
٢- أن وظيفة الإدارة في المؤسسات التربوية تحقق عن طريق أهداف المؤسسة التعليمية.

٣- أن الإدارة التربوية كنظام أو نسق كلي تتضمن عمليات داخلية، بجانب عملية تحديد الأهداف لها ولا بد أن تعمل في انسجام وتأزر فيما بينهما.
٤- أن الإدارة التربوية تنفذ عن طريق قوى بشرية معدة ومدربة تدريباً يجب أن يتمشى مع أهداف المؤسسة التربوية وطبيعة العمل الذي تقوم به.

٥- أن الإدارة التربوية تتطلب بجانب القوى البشرية، قوى مادية تختلف باختلاف نوعية النشاط التربوي المطلوب من المؤسسة التربوية، ووفقاً للمرحلة التعليمية، ولنوع التعليم الذي يقدم في المؤسسة.

٦- أن الإدارة التربوية عملية تفاعل بين مستويات القيادة البشرية، ثم بين هذه القيادة والقوى المادية، وهي كذلك عملية تفاعل بين العمليات التي تتضمنها

من تخطيط وتنظيم وتمويل وتوجيه ورقابة.

٧- أن الإدارة التربوية تسعى إلى توجيه جهود أفرادها ورفع كفاءتهم المهنية.

٨- أن الإدارة عملية غير قاصرة على المديرين فقط، بل أن لكل فرد في المؤسسة التربوية في تحقيق أهدافها، ومن هنا فله دوره في إدارتها^(١).

ج- أهداف الإدارة التربوية:

ما من عملية تربوية يمكن أن تقوم إلا بناء على أهداف سامية تسعى لتحقيقها، فالأهداف هي التي تحدد نوعية العمل المطلوب تنفيذه، ومكانته وسرعته والكيفية التي يتم بها والأهداف التربوية عادة ما تشمل ثلاث فئات: أولها: أهداف تتعلق بالمجتمع، فمهما كانت المؤسسة التربوية فنية أم عامة أم دينية في مستوى التعليم العالي أو الأساس للبنين والبنات، فإن أهدافها لا بد أن تستلهم بعضاً من آمال الأمة ومشكلاتها وواقعها ومن دعوتها وإعداد طلابها إعداداً علمياً متقناً.

ثانياً: أهداف تتعلق بالمخرجات، والمقصود بالمخرجات هنا الخدمات التربوية والنفسية التي تقدمها المؤسسة التربوية للطلاب، فالمؤسسة ما قامت أصلاً إلا لخدمة هؤلاء الطلاب وهذه الخدمات تشمل الجوانب التربوية، والنفسية، والاجتماعية.

ثالثاً: أهداف تتعلق بالنظام التعليمي نفسه، وتستخدم هذه الفئة من الأهداف لرفع كفاءة النظام وزيادة فعاليته حتى يكون أكثر قدرة على تحقيق الأهداف المتصلة بالمجتمع وتلك المتصلة بالطلاب^(٢).

لقد حددت السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية ضمناً هذه

(١) انظر: هاشم حريري، الإدارة التربوية ص ٣٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١.

الأهداف حيث يوضح ميثاق التعليم والمكون من مائتين وستة وثلاثين بنداً الأسس العاملة للتعليم في المملكة، وكيفية ترجمة هذه الأهداف في المؤسسات التربوية، مع سهولة فهمها وتطبيقها^(١).

إن الأهداف التربوية تساعد على تنسيق وتنظيم وتوجيه العمل لتحقيق الغايات الكبرى ولبناء الإنسان المتكامل عقلياً ومهارياً ووجدانياً في المجالات المختلفة.

حيث تؤدي الأهداف التربوية دوراً بارزاً في تطوير السياسة التعليمية وتوجيه العمل التربوي لأي مجتمع يساعد تحديد الأهداف التربوية في التنفيذ الجيد للمنهج من حيث تنظيم طرف التدريس وأساليبها وتنظيم وتصميم وسائل وأساليب مختلفة للتقويم^(٢).

د- دور القيادة التربوية في نجاح الإدارة التعليمية:

تمثل القيادة التربوية أهمية كبيرة في نجاح الإدارة التعليمية، بيد أن القيادة نفسها عملية نسبية، ذلك أن الفرد قد يكون قائداً في موقف، وتابعاً في موقف آخر، ومن هنا يرتبط مفهوم القيادة بمفهوم الدور الذي يقوم به القائد ومسؤوليته ارتباطاً وثيقاً، وترتبط القيادة أيضاً بنمط الشخصية، فعليها يتوقف مدى قيام الفرد بدوره القيادي، وإلى جانب الشخصية هناك مهارات إدارية لازمة لرجل الإدارة التعليمية للنجاح في عمله، ويرتبط بكل ذلك أيضاً طريقة اختيار القادة التربويين وتدريبهم.

والقيادة ليست عملية جامدة، وإنما هي عملية حية، يمكن من خلالها أن يقوم القائد بأدوار مختلفة، وفقاً لمقتضيات الموقف وما يتوقع من القائد نفسه من رسم السياسة وتنفيذها، وربط الوسائل بالغايات، ودفع العمل إلى الأمام والعمل

(١) سليمان الحقييل، نظام وسياسة التعليم، ص ٣٠٢ وما بعدها.

(٢) سالم مهدي محمود، الأهداف السلوكية، ص ١٤.

على تطوير أساليب العمل والتعامل بما لا يترتب عليه تغيير اتجاه العمل عن مساره الصحيح، كما أنه يتوقع منه أن يكون له نفوذ شخصي على العاملين معه، وأن يستند إلى سلطة غير رسمية، تجعل منه قوة تأثير تساعده على القيادة الواعية لمؤسسته التعليمية.

وعلى القائد التربوي عند وضعه لخطته التعليمية أن يراعي جملة من الأهداف التربوية والاجتماعية، وهي الأمور التي قامت المؤسسة التربوية أصلاً لتحقيقها، ومعلوم أنه وإن تباينت أهداف المؤسسات التربوية إلا أنها في مجموعها تهدف إلى توفير كل الظروف والإمكانات التي تساعد على إبراز فردية الطلاب، وتوجيه نموهم الروحي والعقلي والبدني، وتزويدهم بالعلم النافع والعمل على دراسة المجتمع ومحاولة تطويره، والاستفادة من الإمكانيات والمساعدات الموجودة فيه في تحقيق العملية التربوية ورفع مستواها أيًا كانت المشكلات والصعوبات التي تواجهه^(١).

ومما يميز هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية وجود عدد من القيادات التربوية القادرة على توجيه أهداف التربية الإسلامية، وغرس القيم والأخلاق النبيلة في أخلاق الطلاب من خلال بناء صرح دعوي، يعينهم على الحياة الكريمة، بسعادة ونظام وتعاون وانسجام، حتى يكونوا قدوة صالحة لباقي المسلمين.

(١) انظر: حمد السلوم، تطور التنمية والإدارة التعليمية في المملكة، ص ١٢٢- ١٢٣ بتصرف.

المطلب الثاني

أهم المشكلات التي تواجه الكادر التعليمي والإداري

- أ- مشكلة انخفاض الإقبال على مهنة التعليم في مدارس الجاليات الخيرية:
تعود مشكلة انخفاض الإقبال على مهنة التدريس ضمن كادر هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية إلى أسباب عدة من أبرزها ما يأتي:
- ١- قلة العائد المادي: نظرًا لقلة الرواتب الممنوحة لمدرسي هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، والتي تعتمد على مصادر تمويل غير ثابتة -كما تقدم- وبالتالي قد تتأخر هذه الرواتب عن مواعيدها أحيانًا، إضافة إلى عدم مناسبة المكافآت مع الوضع الاجتماعي للمعلمين في الغالب وكل هذه العوامل تجعل الإقبال على مهنة التعليم من قبل بعض أبناء الجاليات ضعيفًا، وربما اضطر بعض المعلمين إلى ترك التدريس والبحث عن أعمال أخرى ذات رواتب مجزية.
 - ٢- الشعور بعدم الأمان الوظيفي: حيث إن السلم الوظيفي لمدرسي المدارس الخيرية لا يخضع لباقي المستويات الوظيفية المقررة حكوميًا، حيث ينعدم في مدارس الجاليات الخيرية هذا مع خشية بعض المعلمين من تعرضهم للمساءلة القانونية من خلال عملهم لدى غير كفلائهم.
 - ٣- قلة الجانب الاحتسابي: عند كثير من المعلمين، فالمدارس الخيرية هي مدارس مبنية على البذل والعطاء ابتغاء مرضاة الله، وإن تركيز غالب المعلمين على العائد المالي، يقابله ضعف في احتساب الأجر عند الله، أدى إلى عزوف كثير من المعلمين عن هذه المدارس.
- ب- مشكلة اختلاف المستويات التعليمية للمعلمين:

تعاني مدارس الجاليات الخيرية من اختلاف المستويات التعليمية للمعلمين فيها إذ تتفاوت هذه المستويات بين الثانوية، ومرحلة العالي في معهد

الحرم المكي الشريف، أو مرحلة العالي من دار الحديث الخيرية، وهي مستويات عملية تختلف عن شروط وزارة التربية والتعليم والتي تقتضي أن يمارس مهنة التعليم الجامعيون ومن فوقهم، فالغالب من معلمي مدارس الجاليات الخيرية يحملون الشهادة الثانوية فقط وهذه من أبرز المعوقات التي تواجه إدارة التربية والتعليم بمنطقة مكة المكرمة في الاستفادة من أهداف إنشاء هذه المدارس على المدى البعيد^(١).

ففي مدارس الجاليات هناك من يعمل بالتدريس بالممارسة والخبرة وقد لا يحمل مؤهلاً، ومنهم من يحمل الشهادة الثانوية وما في مستواها، ومنهم من يحمل درجة البكالوريوس أو ما يعادلها لكنه لم يدرس أصول التربية وعلم النفس، وكل هذه في الواقع فئات ليست على مستوى كفاية المراحل الدراسية، فالمعلم الذي لا يفيد التلاميذ، ولا يعرف مشكلات التلاميذ وخصائصهم، والذي لا يعرف كيف يثير فيهم الدوافع الايجابية مما يجعلهم مرتبطين به وبالمدرسة يؤثر تأثيراً سلبياً في تحقيق رسالة هذه المدارس^(٢).

ج- مشكلة قلة الكوادر الإدارية المساندة في الإدارة المدرسية:

ومن أبرز مشكلات قلة الكوادر الإدارية والتي تؤثر على المسار التعليمي لمدارس الجاليات الخيرية الآتي:

١- عدم كفاية المدارس من الكوادر الإدارية المساندة، الأمر الذي يزيد أعباء مدير المدرسة.

٢- ضعف الصلاحيات الممنوحة لمشرفي الإدارة المدرسية والتي تساعد على حل المشكلات.

(١) مقنع بن معيوض الشبتي، مساعد مدير مكتب التربية والتعليم بجنوب مكة، لقاء أجرته معه بتاريخ (٢١/٤/١٤٣١هـ).

(٢) رصد وتحليل من قبلي.

- ٣- ضعف تأهيل وتدريب ودافعية بعض مشرفي الإدارة المدرسية.
- ٤- عدم تفرغ مشرف الإدارة المدرسية للأعمال الفنية وإشغاله بالمهام الإدارية مما أضعف الدور التربوي والتعليمي الذي يقوم به.
- ٥- ضعف الصلاحيات الممنوحة لمديري المدارس.
- ٦- محدودية وضعف الدورات التدريبية التي تخدم العمل الإشرافي داخل المدارس وخارجها.
- ٧- محدودية الكفاءات الإدارية المساندة في القسم والمكاتب.
- ٨- ضعف الموارد المالية التي تساهم في تنفيذ البرامج الإشرافية.
- ٩- كثرة أعداد الطلاب في الفصول مما يشكل عبئاً على المعلمين داخل الفصول ومديري المدارس والمشرفين.
- ١٠- عزوف كثير من المديرين والوكلاء عن العمل في إدارات المدارس.
- هذه هي أبرز المشكلات الإدارية للكوادر الإدارية المساندة والتي تقتضي من هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية العمل على معالجتها بكل وسيلة ممكنة للحد من آثارها التربوية على رسالة المدارس الخيرية^(١).
- د- مشكلة الإدارة المدرسية:**

وهي مشاكل تشترك فيها كافة المدارس الحكومية منها والأهلية والخيرية، وهي على نوعين: مشكلات مباشرة، ومشكلات غير مباشرة.

- المشكلات المباشرة:

- ١- عدم إدراك مديري المدارس للأعمال الإدارية التي يجب عليهم عملها لعدم وجود الخبرة الكافية لديهم.

(١) استقراء من قبلي من خلال زيارتي ولقاءاتي المتكررة بمديري المدارس الخيرية، وانظر: سلطان الزويهي، الممارسات الإدارية لمديري مدارس الجاليات الخيرية، ص ٤٣.

- ٢- تقاعس بعض مديري المدارس عن أداء واجبهم.
- ٣- ضعف العلاقات الإنسانية في مجال الإدارة وتأثيرها على العمل داخل المدرسة بين المدير والمعلمين:
- ٤- سوء خلق بعض الإداريين واستخدامهم لألفاظ بذيئة أو مخالفات سلوكية.
- ٥- الجمود والتمسك بحرفية النظام وعدم المرونة في تطبيقها والروتينية في العمل.
- ب- المشكلات غير المباشرة:
- ١- تكرار غياب وتأخر بعض المعلمين عن الحضور في الصباح لأسباب مختلفة.
- ٢- تفرغ بعض المعلمين أثناء الدوام الرسمي:
- حيث تعقد إدارة التعليم لقاءات ودورات تنشيطية أثناء الدوام الرسمي للرفع من مستوى المعلمين الأمر الذي يتطلب تفرغ أكثر من معلم لحضورها وهو ما يسبب إرباكاً للمدرسة.
- ٣- تكديس التلاميذ في الفصول:
- لوجود أعداد كبيرة من الطلاب في المدرسة نتيجة لوقوعها في حي أهل بالسكان أو تحويل طلاب من قبل إدارة التعليم للمدرسة، وأيضاً لكونها خيرية فيتزايد الطلب عليها.
- ٤- قلة المتخصصين في مجال معين وإسناد تدريس بعض المواد لمعلمين غير متخصصين.
- ٥- عدم توفر الغرف لممارسة الأنشطة المدرسية:
- فكثرة أعداد الطلاب أدى إلى تحويل بعض الغرف الخاصة بالأنشطة إلى فصول.

٦- صورة النشاط المدرسي:

ويتمثل ذلك في عدم كفاية الوقت المخصص للنشاط لممارسة الأنشطة المدرسية المختلفة بالصورة المطلوبة.

٧- عدم تجاوب أولياء أمور التلاميذ مع المدرسة:

عدم حضور أولياء أمور الطلاب للمجالس التي تعقدها المدرسة.

٨ - كثرة استئذان المعلمين خلال اليوم الدراسي:

وذلك بكثرة خروج المعلم مع بداية الدوام أو في وقت معين من الدوام

الرسمي.

٩ - كثرة التعاميم الواردة من إدارة التعليم:

انشغال العاملين بالمدرسة بمتابعة سير العملية التعليمية، وهو ما قد يؤدي

إلى تأخر إرسال مندوب المدرسة لاستلام التعاميم التي تخص المدرسة، مما

يجعلها تتكدس بل أن البعض منها يحتاج لردود سريعة.

١٠ - مشكلة المعلم غير الراغب في التدريس:

فوجود عينة من المعلمين الذين لا يرغبون في التدريس لعدم قدرتهم أو

توجيههم لمناطق لا يرغبون العمل فيها.

١١ - قلة استخدام الوسائل التعليمية:

معاونة الإدارة المدرسية من قلة استخدام المعلمين للوسائل التعليمية

لأسباب مختلفة.

١٢ - تدخل بعض أولياء أمور الطلاب في أمور لا تخصهم:

قيام بعض أولياء أمور الطلاب بفرض مطالب على المدرسة هي من

اختصاصات المدرسة.

هـ- مشكلة قلة مراكز التعليم المساندة:

يمكن توظيف الإنترنت في مراكز مصادر التعلم للرفع من العملية التعليمية

والتربوية، فاستخدامها للبحث عن المعلومات أصبح ضمن أهداف المعلم (في مركز مصادر التعلم) عند إعداده للدرس، وتطبيق هذا الهدف يكون بإتاحة الفرصة أمام الطالب لتصفح الإنترنت وفق معايير وضوابط محددة. وأوجز الأستاذ إبراهيم الأسباب الرئيسة التي تجعلنا نستخدم الإنترنت في التعليم فيما يلي:

- ١- الاستفادة من الكم المعلوماتي الهائل الموجودة في شبكة الإنترنت لدعم المقررات الدراسية.
- ٢- الإنترنت مثال واقعي للقدرة على الحصول على المعلومات من مختلف أنحاء العالم.
- ٣- تُساعد الإنترنت على التعلم التعاوني الجماعي؛ نظرًا لكثرة المعلومات المتوفرة عبر الإنترنت فإنه يصعب على الطالب البحث في كل القوائم؛ لذا يكون استخدام طريقة العمل الجماعي بين الطلاب أجدى، حيث يقوم كل طالب بالبحث في قائمة معينة ثم يجتمع الطلاب لمناقشة ما تم التوصل إليه.
- ٣- تصفح مواقع الإنترنت من أساليب التعلم الذاتي المستخدمة عالميًا.
- ٤- تساعد الإنترنت على توفير أكثر من طريقة في التدريس؛ ذلك أن الإنترنت هي بمثابة مكتبة كبيرة تتوفر فيها جميع الكتب سواء كانت سهلة أو صعبة، كما أنه يوجد في الإنترنت بعض البرامج التعليمية باختلاف المستويات. إن استخدام هذه التقنية بالنسبة للعملية التعليمية ضعيف جدًا في مدارس الجاليات الخيرية، ومن النادر استخدام الإنترنت لتحقيق هدف تعليمي، حيث يقتصر استخدامه لتصفح المواقع بدون هدف تعليمي أو تربوي أو تصفح مواقع غير تعليمية في بعض المدارس والتي تملك عددًا محدودًا من أجهزة الحاسب. وترجع أسباب ذلك إلى ما يلي:
- ١- ضعف الدعم التعليمي من قبل إدارات مراكز مصادر التعلم.

٢- عدم توفر الأدلة التعليمية المساندة.

٣- قلة المواقع التعليمية الموجهة داخل مدارس الجاليات الخيرية.

حيث لا يوجد في المدارس الخيرية وسائل تعليمية للاستفادة منها في تطوير العملية التعليمية خاصة مع قلة الإمكانيات، فالمعامل وآلات التصوير والمختبرات والمجاهر وغيرها من الأدوات والوسائل التعليمية المهمة غير متوفرة في هذه المدارس.

كما أن كثيرًا من طلاب المدارس الخيرية وخاصة طلاب المرحلة الثانوية يرغبون في دراسة القسم العلمي لما له من تأثير كبير في تنمية مهارات الرياضيات والكيمياء وعلوم الحاسب الآلي وغيرها ولكن لعدم وجود أقسام علمية في المدارس الخيرية يواجه هؤلاء صعوبات كبيرة في الاستمرار في هذه المدارس. وقد أنشأت إحدى المؤسسات الخيرية بالمملكة العربية السعودية قاعة لتعليم الحاسب الآلي وعلومه بمقر هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية نهاية عام (١٤٣١هـ)^(١).

(١) زيارة ميدانية قمت بها لهيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية بتاريخ ١٩/١/١٤٣٢هـ.

المبحث الثالث مجتمع الطلاب

المطلب الأول

طبيعة مجتمع طلاب مدارس الجاليات الخيرية ومكوناته

١ - طبيعة مجتمع الجاليات:

يتميز المجتمع المكي عامة ومجتمع الجاليات الإسلامية - خاصة - بمكة المكرمة بالتنوع والاختلاف في مستويات أهله من حيث الجنس، والمستوى الاجتماعي، والاقتصادي.

وكثرة الوافدين إليها من دول العالم الإسلامي عربياً وعجماً.

وهذه الجاليات في الغالب مجتمعات فقيرة حيث يغلب على سكان بعض الأحياء الشعبية الفقر والعوز والبطالة وقلة ذات اليد، وبعضها يعيش في أحياء شبه معزولة يغلب عليها الجهل والامية.

كما تكثر بين بعض أفرادهم مظاهر الانحراف الأخلاقي والجريمة، وتزداد مشكلاتهم الاجتماعية تبعاً لأوضاعهم المعيشية السيئة خاصة لدى العاطلين منهم عن العمل^(١).

لذا سعت هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية إلى استيعاب هؤلاء الطلاب وحفظهم من الانحراف عبر إلحاقهم ببرامجها التعليمية، ومتابعة تحصيلهم الدراسي، وسعت هذه المدارس إلى بناء جيل قوي الانتماء يشعر بالاعتزاز لوجوده على هذه الأرض المباركة، وتعميق المنهج الوسطي الصحيح المستنبط من الكتاب والسنة عبر تدريس كتب العقيدة والتوحيد التي قامت عليها الدعوة الإصلاحية.

(١) انظر: صحيفة الحياة، عدد ١٦٣٠٦ وتاريخ (٣/٤/٢٠٠٨م).

ولا يعني ذلك التعميم في الحكم عليهم، فقد أخرجت هذه المجتمعات، المعلمين، والحفظة، والمهندسين، وأرباب المهن والصنائع المختلفة، والدعاة إلى الله تعالى بين أقوامهم وفي بلدانهم التي جاؤوا منها، مما جعل مهمة تعليمهم، والوقوف على احتياجاتهم العلمية رسالة سامية كريمة تباها ولاية الأمر في هذه البلاد المباركة، وأهل العلم واليسار منهم كما مر بنا سابقاً.

٢- دور البيئة الاجتماعية السيئة في انحراف الطلاب:

البيئة هي مجموعة الظروف والعوامل التي تحيط بالطالب في منطقة معينة وتؤثر في سلوكه وتصرفاته كعلاقته بأسرته وأصدقائه وجيرانه، وهي لا تقتصر على الظروف المادية والملموسة فقط بل تشمل أيضاً الجانب المعنوي كالثقافة والتعليم والأفكار السائدة وتعد العوامل البيئية من المؤثرات العامة التي يتأثر بها الإنسان في حياته المادية والاجتماعية، كالظواهر الطبيعية التي تحيط بالإنسان، والتي تتعلق بالمناخ والتربة والمكان^(١).

والبيئة المؤثرة في مجتمع الطلاب تتنوع وتعدد؛ فهناك البيئة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، فكل هذه البيئات تعد من العوامل المؤثرة في انضباط الطلاب أو انحرافهم عن الطريق القويم.

كما أن البيئة الاجتماعية تشتمل على عدة عناصر منها: الأسرة، والمدرسة، والرفاق، وكل هذه الأمور تعد من أقوى المؤثرات المباشرة في انحراف الطلاب، ومما يبين أهمية البيئة الاجتماعية وتأثيرها في سلوك الأفراد ما رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أهل الأرض فدل على راهب، فأناه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل

(١) انظر: مأمون سلامة، مذكرات في المدخل إلى علم الإجرام، ص ٦٠.

عن أعلم أهل الأرض فذل على عالم فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ أنطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم، ولا تردع إلى أرض فإنها أرض سوء» الحديث^(١).

والشاهد قوله ﷺ: «لا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء».

قال النووي - رحمه الله -: «قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب والأخذان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح، والعلماء والمتعبدين الورعين، ومن يقتدي بهم، وينتفع بصحبتهم»^(٢).

ومن الحديث يتبين أن البيئة الاجتماعية السيئة تؤثر بالأفراد تأثيراً سيئاً، فسبب إقدام هذا التائب على القتل هو بقاءه في بيئة اجتماعية سيئة فتأثر بهم، وتعود على سلوكهم، فالبيئة الاجتماعية قد يكتسب منها الفرد قيماً إيجابية، وقد يقع في الجرائم إذا لم يجد فيها من يقوم سلوكه، ويحفظه من الانحراف والزيغ والضلال.

وأماكن التعليم اليوم تعد من أنجح الأماكن وأفضل الميادين لدعوة أبناء الجاليات الخيرية، وتربيتهم على منهج الدعوة إلى الله، ليقوموا بخدمة أمتهم، ومجتمعاتهم، وبلدانهم، ولكي يغيروا بيئتهم إلى بيئة صالحة نقية، وينموا مواهبهم وقدراتهم على الفطرة السليمة، والمنهج القويم.

لذا جاء اهتمام هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية بدعوة وتوعية أبناء هذه الجاليات، وتوفير المدارس بمراحلها المختلفة لهم، بالإضافة إلى العناصر الأخرى المكملة لهم كأعداد المعلمين، وتأهيلهم، والتجهيزات

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، ١٧/٢٣٧، برقم (٧٠٠٨).

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، ١٧/٢٣٧.

المدرسية المناسبة لهم، وتوفير الكتب المدرسية عبر وزارة التربية والتعليم مجاناً، وتخصيص صالات خاصة بالتدريب وتأهيل الكوادر المتخصصة منهم في جميع التخصصات الشرعية ليكونوا دعاة إلى الله على علم وهدى وبصيرة^(١).

ب- مكونات مجتمع طلاب مدارس الجاليات الخيرية:

أ- الأسرة: الأسرة في الإسلام أوسع مدى منها في الشرائع الأخرى، فهي تشمل الزوجين والأولاد الذين هم ثمرة الزواج وفروعهم، كما تشمل الأصول من الآباء والأمهات، ويدخل في هذا الأجداد والجداات، وتشمل فروع الأجداد والجداات.

وقد اهتم القرآن الكريم بالرباط الأسري، وأشاد به في مواضع كثيرة حيث تقوم الأسرة أولاً على علاقة المودة والرحمة بادئة بالأبوين؛ لأن الحياة الأسرية بدونها ناقصة، وهي من الناحية التاريخية والطبيعية أول محضن يعيش فيه الناشئ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

فللأسرة دور كبير في حفظ الأبناء، وصلاحتهم، والعناية بتعليمهم ومنعهم من الوقوع في المعاصي والرذائل، بحيث تظهر آثار هذا الحفظ في المجتمع المسلم المحافظ، فيكون التراحم والتعاطف بين أفرادها، ولذلك كان الإسلام حريصاً على ترابط أفراد الأسرة المسلمة، ولم شملها، وتقوية أواصر المحبة، وقد حذر القرآن الكريم من التقاطع والتدابير بين الأقارب والأرحام، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٣).

(١) أحمد العمودي، مدير الإدارة التنفيذية، اللقاء الثاني بتاريخ ١٠/١/١٤٣٢ هـ.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٢.

ففي قطع الأرحام تقويض لكيان الأسرة، وإفساد في هذه الحياة، بعكس الصلة والتواد والتراحم التي تجلب صلاح الأرض وإعمارها^(١). والأسرة المستقرة الواعية لدورها، تمد المجتمع بأفضل العناصر الطلابية التي تسهم في التفوق الحضاري للأمة الإسلامية.

وتتحمل الأسرة، وقوامها الأبوان مسؤولية رحمة الأولاد ومحبتهم والعطف عليهم، لأن هذا من أهم أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسي والاجتماعي، نموًا قويًا سويًا فإذا لم تتحقق المحبة للأولاد بالشكل الكافي المتزن نشأ الطفل منحرفًا في مجتمعه، لا يحسن التآلف مع الآخرين، ولا يستطيع التعاون أو تقديم الخدمات والتضحيات^(٢).

وقد أوضح علماء النفس والتربية أن شخصية الطفل تتحدد معالمها، وتكتسب أهم صفاتها وأبرز ملامحها في السنوات الست الأولى، حيث يتم تكوينه على المفاهيم العقدية، وموروثات التقاليد والعادات واللغة والآداب في فترة حضائته، وداخل بيته، وعبر والديه عبر التوجيه والتنشئة والقيام بحق هذه الأمانة المعلقة في أعناقهم^(٣).

ولا شك أن المركز الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وكذلك الاتجاه الديني للأسرة يؤثر على استجابة أفرادها لها، خاصة في ظل وجود عوامل بيئية مؤثرة، وهي بالتالي تؤثر على الإنجازات الأكاديمية والوظيفية التي يحققها الأبناء الذين كانوا يعانون في طفولتهم من مشكلات أسرية كالطلاق، والتفكك الأسري، أو فقدان أحد الوالدين، أو قلة ذات اليد، إضافة إلى ضعف الموارد المالية لدى الوالدين، مع ارتفاع معدلات البطالة بين بعض أفراد هذه الجاليات،

(١) هاشم الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام، ص ٤٦٥.

(٢) انظر: عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص ١١٣.

(٣) انظر: أكرم العمري، الإسلام والوعي الحضاري، ص ٣١.

وعدم القدرة على توفير الفرص المناسبة لهم لإكمال تعليمهم فيما بعد خاصة وأن الدراسات تلفت الانتباه إلى ذلك التأثير للوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة وانعكاساته على إنجازات أبنائها خاصة أولئك الذين يعانون من صعوبات التعلم^(١).

إن منهج الإسلام في تربية المجتمع تبدأ بتربية الأفراد تربية إيمانية صحيحة لأن هؤلاء الأفراد هم الذين يشكلون في نهاية المطاف المجتمع المسلم، وفي الدعوة إلى الله بينهم وقاية للمجتمعات من الانحراف والتفكك والانهيار، والمجتمع الصالح هو القائم على معاني الإسلام وأفكاره ومناهجه والتي تطبق فيه أحكامه، والمجتمع الفاسد بخلافه^(٢).

ب- المدرسة:

تعد المدرسة المؤسسة الاجتماعية الثانية بعد الأسرة، لما لها من دور مهم في عملية التنشئة الاجتماعية وحماية الطفل من عوامل الانحراف؛ ولما لها من الأثر الفعال في مختلف جوانب الطالب النفسية، والاجتماعية، والأخلاقية، والسلوكية، خاصة في السنين الأولى من عمره حيث يكون مطبوعاً على التقليد والتطبع بالقيم التي تسود مجتمعه الذي يعيش فيه فهو يتأثر في الغالب بالجو الاجتماعي الذين يعيشه في المدرسة.

فهي تعد عاملاً عظيم الأثر في تكوين شخصية الفرد التكويني التربوي والعلمي السليم وفي تقرير اتجاهاته في حياته المقبلة وعلاقته في المجتمع. والمدرسة اليوم تعتبر المؤهل الأول والمحضن العصري للطلاب، لما تحتوي عليه من إمكانيات وامتيازات والتي تشمل في المعلمين والموجهين، وقدرتهم -بعد عون الله تعالى لهم- على غرس قيم المجتمع في نفس الناشئ،

(١) انظر سماح الحربي، الأسرة وصعوبات التعلم، ص ٢٧.

(٢) انظر: رفيق حميد السامرائي، النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ١٩٧.

والأخذ بأفكاره وتطلعاته إلى الصواب والعطاء والإنتاج، وتطوير شخصية الطالب ورعايتها حق الرعاية.

وتأتي هذه الأهمية من كون المدرسة مؤثراً قوياً على أفرادها من خلال احتكاك المتعلمين ببعضهم، واختلاطهم بمعلميهم الذين هم في أعينهم قدوة لهم، ولذلك فإن المدرسة الناجحة تهتم بغرس الإيمان الصحيح في طلابها، حتى تبني بعد ذلك أهدافها على قواعد وأسس صلبة قوية بالعقيدة الصحيحة، وأما المدرسة التي لا تغرس الإيمان في النفس لا تُخرج إلا أجيالاً جاهلة بحقيقة وجودها، تخوض عباب الحياة في حيرة وشتات، ودون أن تحقق العبودية التي خلقت من أجلها.

ولا يمكن للمدرسة أن تحقق أهدافها إلا عبر إدارة تربوية صحيحة تقوم على اختيار المعلم الجيد، والعناية بتدريبه وتنمية مهاراته، وكذلك العناية بالمنهج الدراسي الذي يسير المدرس في ضوئه، وما يشتمل عليه من أنشطة صفية أو غير صفية، والتي يعبر عنها بوظائف المدرسة، والتي من أسس ووظائفها تحقيق العبودية لله تعالى من خلال مناهجها الدراسية، وأنشطتها التربوية، ويتفرع من هذه الوظيفة العظيمة عدد من الوظائف الجزئية التي تحقق الوظيفة الرئيسة، إذا إن من أهم ما ينبغي معرفته للقائمين على شؤون المدرسة هو تحديد وظائفها التي من خلالها يتم التعرف على أهدافها، وما ينبغي أن تنهض به وتقوم بتحقيقه، وما يقع على كاهل المدرس من أعباء تعليمية وتربوية، إذ أن وظيفة المدرسة ليست مقتصرة على الجانب المعرفي فقط، وإنما لها عدد من الوظائف العملية ومنها:

١- التخلية: وهي تخلية الدارس من الجهل والانحراف، في جانبه العقدي والتعبدي والأخلاقي، والفكري، والمهني.

٢- التحلية: وهي تربيته على جوانب الخير، في عقيدته وعبادته، وأخلاقه، ومهنته، تطبيقاً عملياً لا نظرياً^(١).

ومن الملاحظ أن الوضع الطبيعي والصحي للطالب لا يتوافر إلا بتواجده في المدرسة، لأنها المكان المناسب لتطوره ونموه النفسي والاجتماعي، وخاصة في عصرنا الحاضر الذي يتطلب من الفرد أن يكون حاصلاً على قدر مناسب من العلم الشرعي، كي يتمكن من شق طريقه في الحياة بأسلوب علمي متفهم لأعباء الحياة ومسؤولياتها، وكي تعمل المدرسة على وضع خط دفاعي لمواجهة أخطار الجريمة والانحرافات الفكرية والعقدية لدى طلابها^(٢).

والمتمثل في بعض المشكلات التي يعاني منها الطلاب عامة وفي مدارس الجاليات الخيرية على وجه الخصوص، يجد أنه نابع من قصور لدى بعض المعلمين في فهم وظائف المدرسة، وقصور في فهم المنهاج الدراسي، وإعداد غير جيد للمعلم نظراً لضعف مستويات بعضهم العلمية كما سألين لاحقاً بإذن الله.

ج- رفاق السوء:

لرفاق السوء في حياة الطلاب أثر واضح على سلوكياتهم وأخلاقهم؛ فالطالب يقابل نظيره ويكتسب منه بعض العادات وهي إما أن تكون عادات حسنة أو سيئة، وتأثير الأقران على بعضهم بينته الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة المطهرة.

١- فمن القرآن الكريم يقول تعالى في بيان ضلال بعض الأقران بعضهم ببعض وندامتهم يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ

(١) انظر: خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص ٣٤٤-٣٤٥ بتصرف واختصار.

(٢) انظر: خالد الخميس، الدعوة إلى الله في دور الملاحظة الاجتماعية، ص ٨٣.

الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَلِّقْ لِيَتَنِي لَمْ أَخْذُ فَلَنَا خَلِيلًا ﴿١﴾.

٢- ومن السنة النبوية: ما رواه أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المجلس الصالح والسوء: كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»^(٢).

قال النووي -رحمه الله- في شرح الحديث: «فيه فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب والنهي عن مجالسة أهل الشر والبدع، ومن يغتاب الناس ونحو ذلك من الأنواع المذمومة»^(٣).

فالرفيق على عادة رفيقه وعلى طريقته وتفكيره، واتصال الطلاب ببعض الزملاء المنحرفين أو ببعض الرفاق من غير الصالحين يؤثر على سلوكهم تأثيراً بالغاً بقدر اتصاله بهم، وارتباطه بالجلوس معهم، ومحبة مخالطتهم، وبعض مجتمعات الجاليات الإسلامية تعاني من هذه المشكلات الخاصة برفاق السوء، حيث أن تأثيرهم يعد من أقوى العوامل المؤثرة في حياة الطلاب، ذلك أنهم يمدونهم بزيادة نفسي لا يقدمه لهم من في أعمارهم من سائر المجتمع.

د- الحي السكني:

يسهم الحي السكني في تزويد الطلاب ببعض القيم الأخلاقية، والتعاليم السمحة، والمواقف ذات العبرة، والاتجاهات، والعادات الحسنة، وبعض

(١) سورة الفرقان، الآيتين: ٢٧-٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ص ٩٨٤، برقم (٥٥٣٣)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، ص ١١٤٦، برقم (٢٦٢٨).

(٣) النووي، شرح صحيح مسلم، ١٦/١٣٦.

المعايير السلوكية التي تميز بعض الأحياء عن الأخرى، فالأحياء الشعبية، والعشوائية منها على وجه الخصوص كما هو الحال عليه في بعض أحياء مكة المكرمة قد تسهم في انحراف بعض الأفراد أكثر من تلك الأحياء التي يقطنها المتعلمون وغيرهم من أهل الدين والعلم.

فالمسكن الذين يسكنه الطالب إذا كان ضيقاً وغير متصل بفناء واسع أو مكتظاً أو كان السكن يقع في أماكن مهجورة أو منعزلة، وغير مهيأة للسكن فإن ذلك بدوره يسلب عن الحي ميزة البيئة الصالحة لنمو الطالب وابتعاده عن المشكلات الاجتماعية، وهذه المناطق يقطنها في الغالب الأسر الفقيرة من الجاليات الإسلامية وغيرهم، وكلما ابتعد الطلاب عن هذه الأماكن إلى غيرها مما يتجه فيها المستوى الاجتماعي نحو الارتفاع فإن الانحراف يتناقص بنسبة أقل من الأحياء المتواضعة^(١).

وقد بينت إحدى الدراسات المهمة بأسباب انحراف الأحداث في تحديد وتصنيف الأحياء التي غالباً ما تكون مصدراً للانحراف في عناصر عدة منها:

- ١- الحي المزدهم بسكانه الفقراء؛ وتنتشر فيه الرذيلة.
- ٢- الحي الفقير جداً؛ بحيث تصبح السرقات البسيطة جزءاً من الحياة.
- ٣- الحي الذي يعيش فيه غير المتزوجين، ومن سماته البارزة الخليط السكاني غير المتجانس.
- ٤- الحي النائي، وهذا عادة ما يكون أقرب إلى الريف، ويكون ملجأ لاختفاء المجرمين^(٢).

(١) منيرة العصرة، انحراف الأحداث ومشكلة العوامل، ص ١٧٤.

(٢) إبراهيم الطخيس، دراسات في علم الاجتماع، ص ١٣٧.

المطلب الثاني

أهم مشكلات مجتمع الطلاب

أ- مشكلة التفكك الأسري:

ظاهرة التفكك الأسري من الظواهر التي تؤثر على الطلاب بشكل كبير جدا سواء على سلوكه (سلوكياته في المدرسة) أو خارج المدرسة، كما أن ظاهرة التفكك الأسري من الظواهر التي تنتشر في كثير من المجتمعات لا تقتصر على مجتمع دون الآخر.

ومن صور المشكلات الأسرية:

- ١- اضطراب العلاقات الأسرية وما يشوبها من عوامل التوتر والفتن من خلال كثرة الخلافات والمشاجرات بين أعضائها مما يشعر الطالب بالحرمان وفقدان الأمن النفسي.
- ٢- ضعف عوامل الضبط والرقابة الأسرية بسبب ثقة الوالدين المفرطة في الأبناء أو إهمالهم وانشغالهم عن متابعتهم الذين وجدوا في عدم المتابعة فرصة لاتخاذ قراراتهم الفردية بعيدا عن عيون الآباء.
- ٣- سوء المعاملة الأسرية والتي تتأرجح بين التدليل والحماية الزائدة التي تجعل الطالب اتكالياً سريع الانجذاب وسهل الانقياد لكل المغريات وبين القسوة الزائدة والضوابط الشديدة التي تجعله محاطاً بسياج من الأنظمة والقوانين المنزلية الصارمة مما يجعل التوتر والقلق هو سمة الطالب الذي يجعله يبحث عن متنفس آخر بعيد عن المنزل والمدرسة.
- ٤- عدم قدرة الأسرة على الإيفاء بمتطلبات واحتياجات المدرسة، وحاجات الطالب بشكل عام، مما يدفع الطالب لتعمد الغياب منعاً للإحراج ومحاولة للبحث عما يفي بمتطلباته.

ومن أبرز آثارها على مجتمع الطلاب:

١- آثار التفكك الأسري على الأفراد:

أول ضحايا التفكك الأسري هم أفراد تلك الأسرة المتفككة، والآثار الأكثر خطورة هي تلك المترتبة على أولاد الأسرة المتفككة، خصوصاً إن كانوا صغار السن.. فأول المشكلات التي تواجههم فقدان المأوى الذي كان يجمع شمل الأسرة، وهنا سوف يحدث التشتت حيث يعيش الأولاد أو بعضهم مع أحد الوالدين والبعض الآخر مع الوالد الآخر، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى تهيئة الظروف لانحراف أفراد الأسرة، خصوصاً الأولاد من البنين والبنات، فعندما تتفكك الأسرة ويتشتت شملها، ينتج عن ذلك شعور لدى أفرادها بعدم الأمان الاجتماعي، وضعف القدرة لدى الفرد على مواجهة المشكلات، وتحوله للبحث عن أيسر الطرق وأسرعها لتحقيق المراد، دون النظر لشرعية الوسيلة المستخدمة في الوصول للهدف، فتصبح الغاية هي الموجه لسلوك الفرد^(١).

٢- أثر التفكك الأسري على التحصيل الدراسي:

تؤثر مشكلة وضع الأسرة على التحصيل الدراسي للطلاب، وما ينتج عنها من مشكلات كالفقر والطلاق أو موت أحد الأبوين أو تعدد الزوجات، وما في هذه المشكلات من غياب لدور الأب الرئيسي في تربية الأبناء، وحفظ البيت المسلم من الانحراف والتشتت وضعف التحصيل العلمي لأفراده^(٢).

ب- مشكلة رفاق السوء:

تؤثر مشكلة رفاق السوء في مراحل الدراسة والمراهقة -خاصة- على شخصية الصغير وهي تعرف بجماعة الأنداد أو الرفاق ولها دورها الهام في عملية

(١) انظر: جميلة الكمالي، التفكك الأسري وعلاقته بجنوح الأحداث، ص ٣٩.

(٢) انظر: مجموعة من الباحثين، الطلاق آثار وعواقب، ص ٨٦.

النمو وفي الإعداد التربوي الناجح للأجيال الناشئة.

ففي مرحلة الطفولة تسيطر جماعة الرفاق سيطرة كبيرة على نشاط الصغير، وهي إن استقامت في سلوكها أصبحت مؤثراً رئيسياً على النمو الاجتماعي السليم للطلاب، وإن أعوجت أصبحت خطراً يهدد نمو الطفل بل قد يمتد إلى محيط الأسرة والجوار والأقارب وغيرهم.

فالمرهق قد يندفع إلى الإدمان بتأثير الأصدقاء ويؤكد كثير من الآباء أن تأثير الأصدقاء يفسد كل ما يفعلونه من تربية لأبنائهم وأن كل مجهوداتهم وتضحياتهم تضيع هباء أمام تأثير الأصدقاء ورفاق السوء الكبير على الطالب المرهق لأسباب منها:

١- أن عدد الأتراب الذين يخالطهم المرهق أكبر بالطبع من عدد أفراد الأسرة خاصة إذا كانت مكونة من الأب والأم فقط. وهو ما يتسبب في ترك تأثيرات متعددة على الابن في مقابل تأثير واحد من جانب الوالدين.

٢- أن الأبناء يقضون وقتاً أطول مع أصدقائهم مقارنة بالوقت الذي يقضونه مع آبائهم.

٣- أن الإنسان بصفة عامة سواء كان بالغاً أو مرهقاً يرغب دائماً في أن يكون مقبولاً بين جماعة أصدقائه المقاربين له في العمر.

ولهذا فإن اختلاط الابن مع جلساء السوء يعتبر من أهم أسباب انحرافه، وتأخر تحصيله الدراسي، ومن المشكلات التي قد يقع فيها الطلاب مشكلة تعاطي المخدرات والمسكرات، فهؤلاء الرفاق يبذلون ما في وسعهم لإغراء الشخص وتشجيعه على تعاطي المخدرات حتى يكون شخصاً منهم^(١).

(١) انظر: محمد المنيف، الإدارة المدرسية ودورها التربوي في مواجهة المخدرات، ص ١٩ وما بعدها.

ج- مشكلة الحي السكني:

كما أن الحي الذي يفقد الوسائل الترويجية الصحية المناسبة في الأحياء التي تساعد على الطالب على استثمار وقت فراغه بشكل صحيح ومنظم، يجعله هذا الأمر يبحث عن البدائل الأخرى ومنها التعرف على أشخاص منحرفين، فيحاول تقليدهم أو التآسي بهم.

ومن هنا يظهر الدور الذي يقوم به الحي السكني في تأثيره على سلوك أفراد، خاصة في ظل وجود عدد من عناصر الانحراف في الأحياء التي يقطنها أبناء الجاليات بمكة المكرمة وهي غالباً ما تكون أحياء فقيرة، ومنعزلة عن باقي المجتمع، ويقل فيها الوازع الديني، وتكثر فيما بينها السرقات والمشكلات الاجتماعية، وتقل فيها اللقاءات بين أفرادها لحل مشكلاتهم؛ مما يشكل مشكلة خطيرة تؤثر على سير الطلاب في دارستهم، وتعيق مسارهم نحو العلم والدعوة إلى الله^(١).

وهذا ما أوضحتته دراسة أجراها مركز أبحاث مكافحة الجريمة في المملكة العربية السعودية، ظهر أن الأحياء التي تقطنها أسر الطلاب الأسوياء أرقى بكثير من الأحياء التي يسكنها أسر الطلاب الجانحين^(٢).

(١) عبد العزيز بن محمد فارسي، عضو الإدارة التنفيذية، لقاء أجرته معه بتاريخ (١٤/٢/١٤٣١هـ).
 (٢) وزارة الداخلية، جنوح الأحداث ومحدداته في المملكة العربية السعودية، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، ص ٢٧١.

المبحث الرابع السبل المقترحة لمعالجة المشكلات التي تواجه مدارس الجاليات

المطلب الأول

السبل المادية لمعالجة مشكلات الدعوة

هناك عدد من السبل المادية والتي يمكن من خلالها المساهمة في معالجة آثار مشكلات الدعوة التي تواجه مدارس الجاليات الخيرية، وتستطيع من خلال تجاوزها ومن أبرز هذه السبل المتاحة الأوقاف الإسلامية لها دور كبير في تنمية الموارد الاقتصادية للدولة الإسلامية:

أ- الوقف وأثره في معالجة مشكلات الدعوة:

١ - مفهوم الوقف لغة واصطلاحًا:

الوقف لغة: قال ابن فارس: الواو والقاف والفاء: أصل واحد يدل على تمكث في شيء ثم يقاس عليه^(١).

وقيل للموقوف وقف تسمية بالمصدر، ولذا جمع على أوقف كوقت وأوقات^(٢)، فيكون معنى الوقف لغة الحبس عن التصرف، وقد يعبر عنه بالتسييل.

٢ - المفهوم الاصطلاحي للوقف:

تعددت تعريفات الفقهاء للوقف تبعًا لاختلاف نظرتهم وتكييفهم له هل هو تبرع بالعين أو بالمنفعة أو إسقاط حق؟ وهل هو لازم أم غير لازم. ومن تعاريفهم للوقف: أنه «تحييس للأصل وتسييل للمنفعة»^(٣).

(١) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص ٧٢٤ مادة: وقف.

(٢) انظر: محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، ص ٣٣٣/٩ مادة: وقف.

(٣) عبد الله بن قدامة، المغني، ١/٨، ١٨٤.

وهو من أحسن التعاريف التي تناولت توضيح ماهيته، ولا تسامه بالدقة والوضوح، واقتصاره على ماهية الوقف وحقيقته دون التعرض للتفصيلات فهو يعتبر تعريفاً جامعاً مانعاً.

ويمكن تعريف الوقف بأنه: «تحسيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه بقطع تصرف الواقف وغيره في رقبته، يصرف ريعه إلى جهة بر تقرباً إلى الله تعالى»^(١).

٣- مشروعية الوقف:

الوقف مشروع بالقرآن والسنة وعمل الصحابة وإجماعهم وبالمعقول. أما مشروعيته بالقرآن فثابتة من حيث دخوله في عموم القربات والصدقات وأعمال البر والإحسان التي ندب إليها القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢). وغير ذلك من الآيات.

وأما مشروعيته بالسنة، فقد ثبت بالسنة القولية والعملية، أما السنة القولية ففي قوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٣).

فالصدقة الجارية - التي تمد الإنسان بالحسنات بعد وفاته - تتحقق في الوقف لأن أصل المال فيه محبوس وغلته جارية.

ومن المعقول: فللوقف محاسن عديدة ويحقق مصالح حيوية للأمة ومن

أهمها:

(١) إبراهيم بن عبد العزيز الغصن، الوقف مفهومه وفضله وأنواعه، ص ٧.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ٥/ ٤٣٢ برقم (١٦٣١).

- ١- الإسهام في تغطية حاجات شرائح واسعة من الأمة متساندا في ذلك مع أنواع البر الأخرى كالزكاة، والصدقات، والندور وغيرها.
- ٢- الإسهام كذلك في مختلف عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وغيرها، مما يسد الكثير من الفراغ الذي تتركه بعض الدول، لسبب أو لآخر.
- ٣- يدعم الوقف روح العمل المؤسسي والاجتماعي من خلال الجمعيات التي تشرف عليه بما يجسد وشائج الأخوة والتواصل بين أفراد الأمة وأجيالها.
- ٤- في الوقف تنوع لعمل الخير، وتوسيع لمجالاته، مما يتيح الفرصة لكل الميول والرغبات الخيرة في المجتمع لدعم ما يلائمها من هذه الميادين.
- ٥- تفتح المشاريع الوقفية المختلفة وبخاصة الاستثمارية والاقتصادية فرصاً كثيرة للعمل مما يساهم في تخفيف البطالة في المجتمع^(١).
- ٤- العلاقة بين الوقف والدعوة إلى الله:

العلاقة بين الوقف والدعوة علاقة وثيقة، فالوقف من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وخاصة من وقف شيئاً على الجهاد في سبيل الله، أو التعليم، أو على المهاجرين، أو لدعوة الجاليات، أو على المسلمين الجدد ترغيباً في إسلامهم، وتشبيهاً لهم عليه وهكذا.

فقد أسهم الوقف في الإسلام مساهمة فعالة، ظهر أثرها في المجتمعات الإسلامية بوضوح كبير، وفي مناحي متعددة منها، حتى أصبحت الأمة الإسلامية بسبب أوقافها؛ مضرراً للمثل -لغيرها من الأمم- في رقيها وحضارتها، ومن هذه الأوقاف على سبيل المثال، ما يأتي:

أ- أن الوقف سبب رئيس في قيام المساجد، والمحافظة عليها، فالناظر في التاريخ الإسلامي يجد أن أكثر المساجد، إن لم تكن أغلبها، قامت على تلك

(١) انظر: محمد سلطان العلماء وزميله، الوقف، مفهومه، ومشروعيته، ص ١٨٢ وما بعدها.

الأوقاف، بل إن كل ما يحتاج إليه المسجد من فرش، وتنظيف، ورزق القائمين عليه، يكون من غلة هذه الأوقاف، وثمارها.

ب- كما أن للوقف أثر كبير في قيام المساجد، فكذلك كان له النصيب الأوفر في قيام وتفعيل وظيفه المدارس، ودور العلم والتعليم، وحلقات التعليم في المساجد، والمكتبات، والمستشفيات، والملاجئ ودور الأيتام، وغيرها من الصور التي تسابق المسلمون في وقف الأوقاف فيها، أو عليها، ابتغاء للأجر من الله جل وعلا^(١).

وبالجملة فإن للوقف وجود كبير في حياة المسلمين، وخاصة ما يتعلق بالدعوة والتعليم، وإنشاء المدارس، ودعمها، والإنفاق عليها، وهي موارد ثابتة دعمت -ولا تزال- مسيرة التعليم والدعوة إلى الله لما لهذا العمل من آثار مباركة.

٥- أهمية الوقف في دعم هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية:

١- دور الوقف في دعم المؤسسات التعليمية والدعوية:

لوقف أهمية كبيرة في دعم الأعمال التنموية والحضارية من خلال نظامه المرن بحيث يضمن استمرار التمويل والدعم لأي نشاط إنساني يُوقف عليه، فمعظم الأعمال الخيرية كان الوقف يدعمها بالمال والجهد، وهو صيغة تناسب الأنشطة الثقافية والعملية، والتي تتطلب بذلك الكثير من المال والجهد والوقت ولا سبيل إلى ازدهارها إلا به.

ولقد كان للوقف قصب السبق في دعم الأنشطة العلمية سواء في العالم الإسلامي أو غير الإسلامي، حيث كان هناك أوقاف عديدة في طول العالم الإسلامي وعرضه، حُصصت غلاتها لتنفق على الطلاب والعلماء والمبدعين في شتى العلوم، فنبغ من أبناء المسلمين بسبب الدعم المستمر والمتواصل من أموال

(١) انظر: خالد القريشي، صور من علاقة الوقف بالدعوة إلى الله مقارنة بين الماضي والحاضر،

الأوقاف -علماء في علوم شتى - هذا عدا تمويل تلك الأوقاف للمكتبات بكل ما تحتاجه من متطلبات للعلماء والمبدعين، وكان انتشار تلك الأوقاف في عدد من دول العالم الإسلامي ومنها بلاد الحرمين سببا في نقل نظام الوقف إلى عدد من الدول الغربية حسب المصادر الغربية نفسها^(١).

ومن مقاصد الوقف ومرايمه الإنسانية والاجتماعية:

١ - إعداد القوة والوسائل الضرورية لجعل الأمة قادرة على حماية نفسها والدفاع عن دينها وعقيدتها.

٢ - نشر الدعوة إلى الله وإقامة شعائر الدين وتعليم أبناء المسلمين، كوقف المساجد وتوفير السكن لطلاب العلم، مع نشر روح التعاون والتكافل والتأخي.

٣ إيجاد مصادر مستقرة ثابتة لتمويل حاجات المجتمع، وإمداد المصالح العامة والمؤسسات الاجتماعية بما يلزمها من وسائل للاستمرار في أداء رسالتها وذلك لأن الموارد التي قد تأتي من الزكاة أو الهبات ليست مستقرة، أما الوقف فإن أصوله وأعيانه تبقى أبداً إلا في حالات خاصة، لذلك فمنافعه لا تنقطع^(٢).

إن المسجد من أهم الأوقاف التي اعتنى بها المسلمون، ثم يأتي في المرتبة الثانية من حيث الكثرة العددية والأهمية النوعية المدارس والمكتبات، فلقد بلغت الآلاف على امتداد العالم الإسلامي زماناً ومكاناً، وكان لها أثر واضح في نشر العلم ورفع مستوى المعرفة بين المسلمين.

وقد أدى توافد طلاب العلم من جميع أنحاء العالم إلى مراكز العلوم الإسلامية والعواصم الإسلامية إلى إنشاء الخانات الوقفية التي تؤويهم، إلى جانب تهيئة الطرق، وإقامة السقايات والأسبلة في هذه الطرق للمسافرين، إضافة إلى إنشاء الأربطة ودور الطلاب الغرباء لإيوائهم وتهيئة الجو المناسب لطلب

(١) انظر: صالح عبد الله كامل، دور الوقف في النمو الاقتصادي، ص ٣٩.

(٢) انظر: سمير الشاعر، إحياء فكر الواقف، ص ٦٨.

العلم، واستتبع ذلك ظهور أوقاف للصرف على هؤلاء الطلاب باعتبارهم من طلاب العلم المستحقين للمساعدة في دار الغربية. ولا تخلو كل هذه المراحل والأنواع من جوانب اجتماعية للوقف لها دلالتها وأهميتها وأثرها في المجتمع بشكل عام^(١). وكان هناك أشكال عديدة من الأوقاف ذات المماسسة المباشرة لحاجة المجتمع وفق ظروفه والمرحلة الحضارية التي يعيشها ومن مصارف الوقف قديماً: الوقف على الضعفاء، والعلماء، والفقراء، والمساكين، والمدارس الشرعية، والمساجد، وأهل الحديث، وتأليف الكتب، وتعليم القرآن الكريم وعلومه، ودور الضيافة للمهاجرين، ومدارس الطب، والمرصد الفلكية، ووقف الكتب وغيرها على الجوامع^(٢).

٢- دور الوقف في دعم مدارس الجاليات الخيرية:

١- الوقف يعالج مشكلة ضعف التمويل:

يعد نظام الوقف على التعليم من أهم مصادر تمويل التعليم في النموذج الإسلامي، وإليه يعود الفضل -بعد الله- في كل ما تحقق من نهضة علمية واسعة شهدتها العالم الإسلامي في مؤسسات التعليم المختلفة، فأصبح من ضرورات إنشاء معهد أو مدرسة أو مؤسسة علمية أن يعين لها وقف ثابت يفي بنفقاتها. وقد أدى إسهام الأوقاف في حركة نمو وتطور التعليم الإسلامي إلى اتسام هذه الأوقاف بمرور الوقت بالعديد من المزايا التي يمكن تحديدها بما يلي:

١- أنها مصدر تمويل ثابت ومستقر:

(١) انظر: عبد الله السدحان، توجيه مصارف الوقف نحو تلبية احتياجات المجتمع، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) انظر: حمد إبراهيم الحيدري، مجالات الوقف ومصارفه في القديم والحديث، في ندوة الوقف في الشريعة الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد، الرياض، ١٤٢٣هـ، ٢/٨٧٦.

يتميز الوقف بأنه مصدر ثابت تتلقى منه المؤسسة التعليمية كل ما تحتاجه من مصروفات ونفقات، وهذا الثبات هو الذي ساهم في تثبيت أركان المدرسة ومكناها من القيام برسالتها، وهو ما يؤمن دخلاً ثابتاً لمدارس الجاليات الخيرية يكفيها للوفاء برواتب معلميها ونفقاتها.

٢- تحقيق الاكتفاء الذاتي للمؤسسة التعليمية:

يسهم الوقف بما يدره من عائدات في توفير احتياجات المؤسسة التعليمية الموقوف من أجلها، حيث ينفق ريع الوقف في الأوجه المقرر صرفها، والتي تضمن الوفاء بمتطلبات المؤسسة، سواء من حيث رواتب المعلمين، أو مكافآت الطلاب، أو متطلبات الصيانة وغيرها من لوازم المؤسسات التعليمية. ويشترك الوقف الجهات الخيرية في معالجة ضعف التمويل في هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، من خلال تأمين عدد من الوظائف التعليمية، والإنفاق عليها، فهو مصدر من مصادر تمويل التعليم وذلك من خلال طبيعته كمورد دائم^(١).

٢- الوقف يعالج المشاكل الاجتماعية لمجتمع الطلاب:

١- المشاركة في القضاء على الجهل والامية:

يشارك الوقف في القضاء على الجهل والامية عبر دعم المؤسسات التعليمية وحرص الواقفين على انتشار العلم والثقافة، خاصة وأن للوقف مجالات عديدة من خلال المساجد، والمكتبات، والكتاتيب ومنها مدارس الجاليات الخيرية، حيث نجحت هذه المدارس في استقطاب أبناء الفقراء ومساعدتهم على أن يصبحوا علماء وفقهاء ودعاة في مجتمعاتهم وفي بلدانهم إذا رجعوا^(٢).

(١) انظر: مقتدي حسن ياسين، مجالات الوقف المؤثرة في الدعوة إلى الله، ص ١٣٣.

(٢) انظر: سعد الدين هلال، أهمية ودور الجهات المانحة غير الحكومية في مجال العمل

٢- المشاركة في القضاء على الفقر والبطالة:

يشارك الوقف في معالجة العديد من الأزمات الاجتماعية ويوفر لها الحلول المناسبة ومنها التقليل من مشكلة البطالة في بعض المجتمعات ومنها مجتمع طلاب مدارس الجاليات الخيرية حيث تعاني بعض العائلات من الفقر والبطالة، ويسهم الوقف في معالجة هذه المشكلة عبر:

أ- المعالجة المباشرة: وذلك عبر الدعم المباشر لتعليمهم وتأهيلهم.

ب- المعالجة غير المباشرة: حيث يسهم الوقف في تحسين نوعية قوة العمل في المجتمع لما يوفره من فرص للتعليم، مما يرفع من الكفاءة المهنية والقدرات الإنتاجية لسوق الأيدي العاملة.

٣- المشاركة في توفير الأمن الاجتماعي:

يشارك الوقف من خلال ما تقدمه مؤسساته المختلفة موردًا مستديمًا لنشاطات شبكة الأمن الاجتماعي، ويوطدها، ويدعم اهتماماتها بمحاربة الفقر والقضاء عليه ويحمي الطبقات المحتاجة، وهو ما يوفر على المدى الطويل أمانًا وسلامًا اجتماعيًا ويوفر عدالة مالية واجتماعية، وخاصة فيما يتعلق بمجتمعات الجاليات الإسلامية بمكة المكرمة حيث يوفر الأمن الاجتماعي البيئة المناسبة لشعر الدعوة إلى الله^(١).

ب- التبرعات التطوعية:

فرضت الشريعة الإسلامية على المسلمين -وفق شروط خاصة- الزكاة في الأموال، وحدد مصارف الزكاة في نصوص الكتاب والسنة، كما ندب إلى وجوه أخرى للتبرعات المسنونة تمثلت في: الصدقة، والوقف، والذرة، والأضحية،

الاجتماعي ومكان الوقف منها، ص ١٦٦.

(١) انظر: سليم هاني منصور، الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية، ٢٤٦/١.

والعقيدة، وغير ذلك، وقد فتح الإسلام مجالات الخير أمام الناس، وعين مقررات عديدة لنفع الآخرين، فمنها ما هو واجب على الفرد المسلم متى توافرت شروطها وموجباتها مثل الزكاة والكفارات والندور، ومنها ما هو ذو طابع تطوعي بحت لا ملزم للفرد المسلم ولا مكروه له فيه، فالوقف والصدقات والزكاة ذخائر اجتماعية تمد المجتمع بالمنافع والهبات.

وقد دعا القرآن الكريم إلى الصدقة في مواضع عديدة وآيات كثيرة ومن أدلتها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يُضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(١).

كما ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على فضلها، وعظم أجر المتصدقين ومنها: ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»^(٢).

إن التبرعات التطوعية وفق الضوابط والشروط المشروعة تساهم إلى حد كبير في دعم الأنشطة التعليمية ومؤسسات إعداد الدعاة وتدريبهم، وهي بدورها تساهم في تثقيف الطالب وإعداده للمرحلة القادمة، لأن الهدف من التعليم أساساً هو الدعوة إلى الله، وهذا كله لا يتحقق إلا من خلال دعم المؤسسات التعليمية بالتمويل الإسلامي بصوره المختلفة.

(١) سورة الحديد، الآية: ١٨ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، ١/ ٢٣٤ برقم (٦٢٩) ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، ٢/ ٧١٥ برقم (١٠٣١).

المطلب الثاني

السبل التربوية الدعوية لمعالجة مشكلات مسار الدعوة

أقترح جملة من السبل التربوية الدعوية لمعالجة بعض المشكلات التي تعيق مسار الدعوة إلى الله في هذه المدارس ومن أهمها ما يأتي:

١- تنمية الأخوة الإيمانية بين الطلاب، من خلال النصوص الشرعية المرغبة في الأخوة وفضلها، وعن طريق تشجيع العلاقات الطلابية داخل المؤسسة التعليمية وخارجها، وتحفيز الطلاب على زيارة المرضى منهم، ومد يد العون للمحتاجين منهم، وهكذا كافة مظاهر الأخوة الإيمانية التي تنمي هذا الشعور الإيماني بين الإخوة المتحابين.

٢- دمج الطلاب في النشاطات الدعوية داخل المدرسة وخارجها، وتقديم المحفزات المادية والمعنوية لهم مع دعم برامج تأهيلهم تأهيلاً مناسباً.

٣- تشجيع الطلاب لحضور الدورات العلمية التطوعية والاحتكاك بالنخبة من المشايخ والعلماء، وذلك بتقديم المكافآت المالية والعينية وزيادة الدرجات، وتعليق صور المواظبين منهم، وغير ذلك من المحفزات التي تبعث فيهم الآمال بمستقبل كريم.

٤- دعم المتفوقين من طلاب المدارس الخيرية للجاليات وتأهيلهم لاستلام مناصب التعليم في هذه المدارس.

٥- تنظيم اللقاءات بين الإدارة المدرسية وأولياء الطلاب وذويهم، من أجل إشعار هؤلاء الأولياء بعظم الأمانة، والمسؤولية المشتركة بين الأسرة والبيت في إعدادهم.

٦- تنظيم مدارس الجاليات الخيرية حسب التخصصات العلمية، كأن تجعل مدارس شرعية صرفة تعنى بتكوين الدعاة ومعلمي القرآن وغير ذلك، ومدارس علمية تعنى بتخريج المؤهلين علمياً ومهنياً من طلاب هذه المدارس.

٧- ابتكار بعض المشاريع التجارية المصغرة وإيجاد بعض الموارد المالية الداعمة، من أجل دعم طلاب هذه المدارس مالياً، مما يكون له أكبر الأثر في استمرارهم.

٨- النهوض بمستوى المعلمين عن طريق الدورات التدريبية وغيرها، له أثر بالغ في رفع مستوى الطلاب التعليمي، ومن ثمّ تأهيلهم علمياً لخدمة هذا الدين في كافة المناحي.

الفصل الخامس الآثار الدعوية لمدارس الجاليات

المبحث الأول آثارها على أفراد الجاليات الإسلامية بمكة المكرمة

المطلب الأول تعليمهم أحكام الدين وشرائعه وآدابه

١ - تعليمهم العقيدة الإسلامية الصافية.

للعقيدة الإسلامية الصافية النقية المتلقاة من الكتاب والسنة مكانة عالية ورفيعة في الدين، بل إن منزلتها فيه منزلة الأساس من البنيان، والقلب من الجسد، والأصل من هذه الشجرة، يقول تعالى: ﴿الْمَ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١).

فهذا شأن العقيدة، منها الدعاة ينطلقون، وعليها يُعولون، سما قدرها في نفوسهم، واستقرت في نفوسهم، فترتب على تعليمها صلاح في سلوكهم، واستقامة في منهج دعوتهم بين الناس.

ومن هذا المنطلق اعتنت هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية بها، وقامت مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية على العقيدة الصحيحة، فكان من أعظم آثار مدارس الجاليات الخيرية إرشاد أبناء الجاليات الإسلامية إلى العقيدة الصحيحة، ودلالتهم إلى العلم بأحكامها، وإيضاح أنواع التوحيد الثلاثة، مع بيان ما يضادها، فقد اهتم الإسلام بالعلم والتعليم، وأشرف العلوم علمًا وتعليمًا هو علم العقيدة ومعرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، يقول تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وِمُتَوَلِّكُمْ﴾^(٢).

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.

فللعلم بها أثر كبير في نشر الإسلام وتعاليمه بين الناس لأن العبادة الصحيحة لا بد أن تكون موافقة لشرع الله تعالى، وأن يكون فيها مخلصاً لله تعالى، ولا تكون كذلك إلا إذا قامت على عقيدة صحيحة ولو تبخر الداعية في فقه المعاملات، وفي فقه العبادات، ولكنه لم يعرف علوم العقيدة فلا يفيد ذلك شيئاً، لأنه لا تصح صلاة ولا تصح زكاة ولا صيام ولا حج ولا عمرة ولا أي عبادة إلا بعد أن يتحقق الفقه الأكبر وهو التوحيد.

إذ أن الفقه الثاني مكمل للأول وتابع له خاصة وأن كثيراً من المدارس العلمية في العالم الإسلامي تهتم بالفقه الثاني وتتساهل في الفقه الأول، وهذا من الجهل العظيم والتفريط العظيم، وهذا بمنزلة من يعالج بدنًا قد قُطع رأسه، والبدن الذي قطع رأسه لا فائدة منه؛ لأنه يصبح جيفة هامدة ولو عالجه بأنواع العلاج^(١).

إن تأصيل العقيدة في نفوس الطلاب أمر ضروري لكل مربّي، ولكنه أكثر ضرورة بالنسبة للداعية المسلم؛ إذ حينما تتأصل العقيدة في نفس الداعية وتتفاعل مع مشاعره ووجدانه يصبح ذا صدر رحب واسع يعينه على تقبل الفهم المغاير لفهمه بغية مناقشته موضوعية وأمانة وتجرد من الهوى وحظوظ النفس.

فتعليمهم أحكام العقيدة وشرائع الدين له أثر عظيم على الطلاب وعلى المجتمعات المحيطة بهم؛ لأن الإصلاح المثمر في المجتمع لا يكون إلا على العقيدة الصحيحة، والدعوة إلى الله قائمة على الهدى والبصيرة وأساسها أفراد الله بالعبادة وعبادته تعالى وفق ما شرع وأمر، فهي حياة قلوبهم، وأساس نماء أعمالهم، واستقامة سلوكهم، وحسن نهجهم وطريقهم.

(١) للاستزادة انظر: صالح الفوزان، محاضرات في العقيدة والدعوة، ص ٢٦٧ وما بعدها.

وإنّ من أبرز الآثار التي حققتها مدارس الجاليات بمنطقة مكة المكرمة في المجال العقدي عبر جميع مراحلها وأطوارها، وفق الأهداف المسطرة في المناهج التعليمية لهذه المدارس ما يلي:

١- تحقّق الولاء لله وحده، وهذا مما يجعل أعمال الطلاب خالصة لوجهه، ومستقيمة- في كافة جوانبها- على شرعه.

٢- دعم العقيدة الإسلامية التي تستقيم بها نظرة الطالب إلى الكون والإنسان والحياة في الدنيا والآخرة، حيث تكوّنت عند أغلب الطلاب حصيلة ثرية بالمفاهيم الأساسية والثقافية الإسلامية التي تجعله معتزاً بالإسلام، قادراً على الدعوة إليه، والدفاع عنه.

٣- ومن آثارها أيضاً تمكين انتماء الطالب لأمة الإسلام الحاملة لراية التوحيد.

٤- تمكين العقيدة الإسلامية في نفس الطالب وجعلها ضابطة لسلوكه وتصرفاته، وتنمية محبة الله وتقواه وخشيته في قلبه.

٥- ومن آثارها: تقوية عقيدة الولاء والبراء في نفوس الطلاب، وهذا يظهر جلياً من خلال تفاعلهم مع القضايا الإسلامية، ومن خلال المظاهر السلوكية والأخوية بينهم، وبالمقابل تقوية عقيدة البراء من الكفار والمشركين، من خلال مخالفتهم في السمات والهدي، وغيرها مما اختص به أهل ملل الكفر.

٢- تعليمهم أحكام السنة النبوية المطهرة.

السنة النبوية هي المصدر الثاني بعد كتاب الله في التشريع، فقد شملت مع القرآن الكريم لكل ما يحتاجه البشر في شتى المناحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية.. إلخ، ولا يخلو مجال من مجالات إلا وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة استشهادات وقواعد ومبادئ عامة توضح وتوجه وتحكم وتحدد مسار هذه المجالات، ولذا وجهت الشريعة الإسلامية باتباع هذين المصدرين

للحصول على سعادة الدنيا والآخرة حيث قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ
وَلَا يَشْقَى﴾^(١).

ففي القرآن الكريم والسنة المطهرة توجيهات دعوية وتربوية عظيمة لتربية
الإنسان المسلم، تمثل في جانب منها مبادئ وقواعد تكوّن محتوى الأصول
التربوية القائمة على الخير والدعوة، وإذا ما أريد للمتخصص في الدعوة والتربية
توجيه العلوم الحديثة توجيهًا إسلاميًا، فعليه بالرجوع إلى القرآن والسنة
ليستخلص هذه المبادئ والقواعد السامية التي تضاهي غيرها من المبادئ
والقواعد الوضعية، وإلا كان عمله وجهده إلى غير الطريق القويم، وربما أساء
إلى من ولاه الله أمانة دعوتهم من حيث أراد الإحسان^(٢).

وبناء على هذا فإن من أعظم آثار مدارس الجاليات الخيرية على الطلاب:
تعليمهم أحكام السنة النبوية وما فيها من علوم وشرائع وعبادات، فلم تغفل
مناهج التعليم العامة في المملكة العربية السعودية أثر السنة النبوية في الاستقامة
على دين الله والدعوة إلى شرائعه، فللمنهج الصحيح في التعليم والقائم على
تعليم الكتاب والسنة آثار عملية صالحة تهدي واقع الأمة العملي بحقائق الدين،
وتمكن لعزائم الإيمان وأخلاقه في حياة المسلمين.
والدعاة إلى الله محتاجون إلى تعلم أحكام السنة النبوية وما فيها من أحكام
تهم المسلم في شؤون دنياه وآخرته.

ومن كان من الدعاة معتصمًا بالكتاب والسنة، معولاً عليهما، معتمدًا
عليهما، فإنه بإذن الله سيكون حليفه الثبات والسلامة والاستقامة والبعد عن
الانحراف.

(١) سورة طه، جزء من الآية رقم: ١٢٣.

(٢) انظر: عبد الرحمن الحازمي، التوجيه الإسلامي لأصول التربية، ص ١٨٢.

وهذا الأثر يظهر جلياً من خلال تمسك الطلاب بالسنت النبوي في جميع شؤونهم التعبدي والسلوكية وفي المظهر والملبس، وغيرها من الأمور الظاهرة.

٣- تعليمهم أحكام العبادات والمعاملات.

شملت الشريعة الإسلامية أحكاماً تخص المسلمين في جميع مجالات الحياة ومنها: تنظيم علاقة العبد بربه، وبنفسه، وبأهله، وبمجتمعه، بل وبالعالم الذي يحيط به، والكون من حوله، كما حددت علاقته بالعوالم الأخرى، كالملائكة والجن والشياطين وما ينتظره في الآخرة من نعيم مقيم أو عذاب أليم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُؤْمَرُ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(١).

والدعوة الإسلامية هي دعوة تامة شاملة؛ لأن الإسلام شامل لكل ما تحتاجه البشرية حتى ترتقي في حياتها وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. والعبادة بمعناها الواسع الذي يشتمل الحياة هي الوسيلة الفعالة لتربية الروح باستمرار اتصالها بالله لتستمد منه الطاقة الروحية وتجعل لها منصرفاً ينعكس من خلال سلوك الفرد المتوازن، ولكن هذا الاتصال بالله له ضوابط شرعية في المنهج الإسلامي وتمنع من الانحراف والشذوذ، فهناك ميزان وضعه الله في القرآن الكريم والسنة المطهرة - وهو ميزان الوسطية - وهو من رحمة الله بعباده أن ألزمهم بمنهج عبادي من وضعه هو - جل وعلا - كي لا يزيد عليه الإنسان ولا ينقص منه، خلل أو اضطراب.

وهذا مما امتن الله به على هذه الأمة حيث وضع عنها الإصر والأغلال التي كانت على من قبلها ووصف دعوة نبيه محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

والعبادات المفروضة في الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج كلها وسائل لتربية الروح، فهي تغذيها الغذاء المطلوب بلا وكس ولا شطط ولا مشقة ولا هوان^(٢).

وقد حرصت هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية على تعليم أبناء الجاليات الإسلامية أحكام العبادات والمعاملات لما في التمسك بهدي الشريعة الإسلامية من آثار عظيمة في تنظيم المجتمع المسلم وحفظه، وتحقيقه لأمنه، ورخائه، وقوته، وقيام المجتمع المسلم على أسس متينة وخصائص عالية كريمة تكفل للمجتمع حرته وكرامته وسعادته.

كما أن لأداء العبادات على الوجه الشرعي المطلوب آثار مباركة على الفرد والمجتمع من أهمها: حصول البركة في الأرزاق والأعمار، وانتشار العدل بين الناس، وسلامة الصدور من الحقد والغل والحسد بين الناس، وانتفاء صور البيوع المحرمة أو الحد منها، وكذلك منع بعض الأعمال والأفعال المحرمة كالقمار، والميسر، والسرقعة، والغصب، والرشوة، وغيرها، يقول تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَغْنَوْا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(٣).

ومن آثار تعليم أحكام المعاملات: الاهتمام من قبل الدعاة إلى الله بالاقتصاد الإسلامي وتحقيق الكفاية المالية، وحصول البركة والنماء جراء تطبيق شريعة الله في المبيعات، والبيع والشراء، والعقود المالية، مع قيام مجتمع صالح

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) انظر: عبد الله الزهراني، الوسطية في التربية الإسلامية، ص ١٢١.

(٣) سورة الجن، الآية: ١٦.

ومؤمن خال من الأمراض الاجتماعية، يحب بعضهم بعضاً، ويعطف بعضهم على بعض.

ومن الآثار أيضاً:

استقامة الطلاب في عباداتهم ومعاملاتهم ونأيهم عن جانب الغلو أو التقصير، وبعدهم عن البدع والمحدثات في الأمور التعبديّة، سواء المتعلقة بالصلاة والصيام والحج وغيرها، أو المتعلقة بفهم الدين. حيث تميّز طلاب مدارس الجاليات الإسلامية بالوسطية في فكرهم، ومعتقدهم، وسلوكهم وعباداتهم، وهذا الأثر من أعظم المكاسب الدعوية في ظلّ ما تشهده الأمة الإسلامية من مظاهر الغلو والتقصير في كثير من مناحي العبادة والمعاملات.

٤ - زرع الإيمان بشعبه، والتقوى في نفوسهم.

تسعى هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية عبر مدارسها إلى زرع الإيمان بشعبه في نفوس طلابها، وحثهم على تقوى الله في السر والعلانية. وللإيمان آثار طيبة على العباد فبه يحيون حياة سعيدة في الدارين، وينجون من المكاره والشدائد والشورور، ويدركون جميع الغايات والمطالب، وينالون بها ثواب الآخرة.

وبالإيمان يدخل العبد في جنة عرضها كعرض السماوات والأرض، فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وينجو من نار عذابها شديد، وقعرها بعيد، وأعظم من ذلك كله أن يفوز برضى الله سبحانه فلا يسخط عليه أبداً، ويتلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم، وما ثمة -مطلقاً- نعيم أعظم ولا أكمل من هذا النعيم.

فالخير كل الخير فرع عن الإيمان ومترتب عليه، والهلاك والدمار والشر كله إنما يكون بفقد الإيمان أو نقصانه، أو ارتكابه ما ينافيه.

فالعلم الشرعي يجعل المسلم يبدأ بتطهير قلبه وإصلاحه والعناية به، قبل أن يعتني بإصلاح ظاهره، ومتى ما أصلح المسلم قلبه بالأعمال الزاكية والإخلاص والصدق والمحبة لله تعالى ولرسوله ﷺ استقامت جوارحه وصلح ظاهره وهذا من أعظم الآثار التي يزرعها الإيمان بالله في نفوس المؤمنين الصادقين^(١).

كما أن الحث على التقوى وبيان فضل المتقين هو منهج من مناهج التعليم في مدارس الجاليات الخيرية؛ لأن الحث عليها والاستقامة على طريقها يورث في نفوس المتقين منافع عظيمة، وثمار كريمة، وفوائد جمّة في الدنيا والآخرة، فمن آثارها حصول العلم النافع، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُوا اللَّهَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

ومن آثارها الخروج من المحن، وتحصيل الرزق الطيب، وتيسر الأمور، ونيل الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، وحصول العاقبة الحميدة، وثمار التقوى لا تحصى، وفضائلها لا تستقصى.

ومن آثارها الإيمانية أيضا الرضا بقضاء الله وقدره، وعدم الجزع أو التسخط على أقدار الله وسننه، وهذا ما أنتج شريحة من الطلبة من ذوي النفوس الراضية المطمئنة التي لا تتمرد على الأوضاع ولا على ما تلاقي من بلاء الدنيا لترسخ الإيمان في قلوبها، ورضاها بقسمة الله وقدره.

٥- تأهيلهم سلوكياً وأخلاقياً.

كان من أبرز وسائل مدارس الجاليات الخيرية التأهيل السلوكي والأخلاقي لطلابها، عبر إرساء التعاليم الإسلامية في نفوسهم، وتعليمهم للأخلاق الحميدة، وتطبيقها عبر أسلوب القدوة الحسنة داخل صفوف مدارسها.

(١) للاستزادة انظر: عبد الرزاق البدر، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، ص ٢٢٨.

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٨٢.

ومن أبرز آثار هذا التأهيل الأخلاقي على الطلاب الآتي:

أ- الابتعاد عن الأخلاق السيئة، والالتزام بالأخلاق الإسلامية النبيلة داخل وخارج مدارس الجاليات الخيرية.

ب- التزام السلوك الحسن فيما بين الطلاب بعضهم بعضاً، حيث تكاد تنعدم فيما بينهم المشكلات الاجتماعية كالسرقة، والاعتداء الجسدي، والتدخين وغيرها.

ج- انخفاض معدل الجرائم في مجتمعات الجاليات الإسلامية، بسبب هذا التأهيل حيث أثبتت الدراسات الأمنية دور مدارس الجاليات الخيرية في تهذيب سلوك الطلاب وخاصة المراهقين منهم^(١).

د- كثرة الإقبال على الدروس العلمية، والمحاضرات والندوات مما يؤدي إلى اشتغال الطلاب بما ينفعهم، وحرصهم على نفع أنفسهم ومجتمعاتهم.

لقد خرج سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين إلى مشارق الأرض ومغاربها لنشر الدعوة الإسلامية، ولم يحملوا الإسلام على ألسنتهم فحسب، بل حملوه كذلك على جوارحهم، وبرز الإسلام في معتقداتهم وعباداتهم وسيرهم وأخلاقهم وسلوكهم، وهذا هو ما تسعى إليه هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية حيث أنها تؤهل طلابها ليكونوا صورة حية للإسلام الذي دعوا الناس إليه، وأن يكون سلوكهم موافقاً لما جاء به الإسلام قولاً وفعلاً.

ولقد كان لسلوك الدعاة القائم على ما جاء به الإسلام أثر عظيم في نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة، كما أن الدعوة إلى الله ضمان للمجتمع الذي توجد فيه من الهلاك العاجل والآجل لما لها من آثار مباركة^(٢).

(١) للاستزادة حول أثر السلوك القويم في الحد من الجرائم لدى أبناء الجاليات الإسلامية وخاصة طلاب مدارس الجاليات ينظر موقع المنشاوي للدراسات والبحوث www.minshawi.com.

(٢) للاستزادة ينظر: فضل إلهي، السلوك وأثره في الدعوة إلى الله، ص ١٠٩ وما بعدها.

٦ - العناية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

من أعظم آثار هذه المدارس: تقوية صلة هؤلاء الطلاب بكتاب ربهم وسنة نبينهم، حفظاً وفهماً، وعملاً، وتحاكماً، وتأسياً، حيث تميّز طلاب مدارس الجاليات بحفظ كتاب الله وسنة رسوله، وهي ميزة تفرّد بها هؤلاء عن غيرهم من طلاب المدارس الحكومية حيث لا يهتم بعض أولياء الأمور بتعليمهم كتاب الله تعالى في حلقات المساجد كما يهتم بذلك القائمون على هذه المدارس، ويمثّل القرآن والسنة في حياة هؤلاء الطلبة المعين الصافي والمصدر لتلقي الأحكام لا يستعيضون عنه بالآراء أو الأهواء.

وكان لحفظ هؤلاء لكتاب الله وأحاديث من سنة رسوله ﷺ آثاراً عظيمة في كلّ مناحي حياتهم، لعل من أبرز ذلك:

١ - الاستقامة والوسطية في الفهم والفكر، وفي نبذ مظاهر العنف والإرهاب بكل أنواعه.

٢ - الأمن النفسي لدى الطلاب حيث إن للقرآن أثراً عظيماً على نفسية الإنسان عامة وعلى الطلاب خاصة.

٣ - التفوق الدراسي لدى الطلاب حيث أثبتت الدراسات العلمية الميدانية أنّ الدماغ يتأثر بتأثر عظيم في نموه وتطوره بحفظ القرآن، وأن تلاوة القرآن الكريم وحفظه ودراسته أسهمت في تنمية مهارات القراءة والكتابة لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي مما مكن التلاميذ في مدارس تحفيظ القرآن الكريم من الحصول على درجات أعلى من متوسط أقرانهم في مدارس التعليم العام^(١).

٤ - الاستقامة السلوكية لدى هؤلاء الطلاب وما ذاك إلا لتأثرهم بالقرآن الكريم الذي حفظوه غيباً وتمثلوه واقعاً، وطبقه بعضهم في كل شؤونهم، وأصبحوا من خلال التمسك بهديه دعاء إلى الله بالقول والعمل.

(١) سعيد المغامسي، أثر حفظ القرآن الكريم في التحصيل الدراسي، ص ٨٧-١١٦.

المطلب الثاني

تحصينهم من الغزو الفكري والتطرف

١ - تعريفهم بماهية الغزو الفكري، ومهامه ووسائله:

من آثار تعليم أبناء الجاليات الإسلامية في مكة المكرمة عبر مدارس الجاليات الخيرية تحصينهم من الغزو الفكري وآثاره خاصة في بعض البلدان الإسلامية والتي وقعت تحت نير الاستعمار، ومظاهر الغزو الفكري في المدارس والمعاهد والجامعات فيها، وقبل بيان الآثار المباركة لهذا التعليم سأبين ماهية الغزو الفكري وبعض أنواعه وصوره فيما يأتي:

أ- المقصود بالغزو الفكري:

الغزو الفكري يعني: محاولة زرع وبث أفكار ومعتقدات في مجتمع ما، هذه الأفكار والمعتقدات غريبة عن ذلك المجتمع^(١). والغزو الفكري يمثل أخطر وأخبر أنواع غزو المجتمعات البشرية والتسلط عليها، لأن الإنسان إنما يسلك في حياته على مقتضى ما يقر في عقله من أفكار، وما في قلبه من معتقدات، فإذا ما استطاع العدو أن يزرع في قلوب الناس في مجتمع ما الأفكار والمعتقدات التي يريدها، فإنه يكون قد ضمن أن ينقاد له ذلك المجتمع، ويحقق ما يريده العدو من أهداف، دون أن يتجشم العدو أدنى عناء، فإن أفراد المجتمع إذا ما نجح العدو في غزوهم فكرياً وعقدياً، فقد أضحوا تابعين مخلصين، ينقادون له صمًا وعميًا كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها. والغزو الفكري أخطر من الغزو العسكري لأمر:

١ - أنه أشد تأثيراً في الشعوب، لأنه يقودها من قلوبها وعقولها، فهي تنفذ أهداف الغزاة طواعية واختياراً، والمستعمر لا يتكلف مشقة في نشر أفكاره.

(١) محمود مزروعة، مذاهب فكرية معاصرة، عرض ونقد، ص ١٠٥.

- ٢- أنه أقل تكلفة من الغزو العسكري الذي يكلف الكثير من الأموال والدماء والطاقات البشرية.
- ٣- أنه أطول أمداً فتأثيره قد يمتد لعقود طويلة، ومن ثم لا يجد مقاومة من الناس ولا مدافعة مباشرة له^(١).

ب- المهمات الرئيسية لدعاة الغزو الفكري:

- لأعداء الإسلام مهمات رئيسية يهدفون من خلالها زعزعة استقرار دول العالم الإسلامي وتغريب وسائل التعليم فيها ومن أبرز هذه المهمات:
- ١- هدم الإسلام في عقائده، وعباداته، ونظمه، وأخلاقه، وهذه المهمة التي يحملونها يضيفون عليها في أول الأمر ألقنة براقة، حتى إذا ظفروا بصيدهم شدوا عليهم وثاق الأسر المعنوي الشامل للأسر الفكري والقلبي والنفسي.
 - ٢- تجزئة المسلمين أينما كانوا من الأرض، حتى يمسوا أشتاتاً متباعدة متنافرة متقاطعة مبددة، لا تجمعهم جامعة، ولا تؤلف بين قلوبهم مودة، ولا تعقد اجتماعاتهم أواصر دينية قائمة على العروة الوثقى، والشريعة الغراء.
 - ٣- تشويه صورة الأمة الإسلامية الحالية والتاريخية الغابرة، بكل وسيلة من وسائل الكذب والافتراء، والتزوير للحقائق، وذلك بغية حقن هذا الجيل من أحفاد المسلمين بالشعور بالنقص والتخلف، كيما يكون أطوع للسوق في أيدي الغزاة إلى ركب أعداء الإسلام.
 - ٤- خداع الشعوب الإسلامية بربط كل صورة من صور التقدم الحضاري والمدني بخطة هدم الإسلام وتجزئة المسلمين، التي يزينونها لهم، ويربط كل صورة من صور التخلف الحضاري والمدني بالاستمسك بالإسلام، وبالمفاهيم والمعارف التي يحملها علماء المسلمين، وخداع الشعوب الأخرى التي كان بينها

(١) المصدر السابق.

وبين المسلمين مشاركات وطنية داخل البلاد الإسلامية في تعاطف متبادل، وتعاون كريم، وذلك بإلقاء مسؤولية تخلفها على المسلمين وبث الكراهية والبغضاء في قلوبها عليهم، بغية إيجاد الطوابير التي تجند لحرب المسلمين داخل بلادهم^(١).

إن مهمة الغزو الفكري الرئيسية هي إضعاف الإيمان، ومنع قيام الرابطة الإيمانية بين أفراد المجتمع المسلم، لأن الفرقة والنزاع الناتجة عن ضعف أو انعكاس الرابطة الإيمانية بين أفراد المجتمع يمثل ثغرة خطيرة تسهم في تفككه وضعفه وذهاب ريح المسلمين وقوتهم.

ج- وسائل الغزو الفكري في العالم الإسلامي:

لم يترك أعداء الإسلام وسيلة من الوسائل إلا واستخدموها بغرض صد المسلمين عن دينهم الصحيح، وتشكيكهم في مصادرهم، وعلومهم، وتاريخهم ومن أبرز وسائلهم ما يأتي:

١- التشويه المتعمد لعقائد المسلمين ومفاهيمهم الفكرية، وتشويه النظم الإسلامية، وسائر أحكام الإسلام وشرائعه وأخلاقه، وكل ما يتعلق بالتراث الإسلامي وتاريخ المسلمين.

٢- محاربة اللغة العربية الفصحى، واللغات الإسلامية الأخرى، ومحاولة طمس علومها وآدابها بمختلف الوسائل.

٣- إحياء القوميات القديمة، وتراثها وتاريخها الجاهلي، وآثارها وآدابها الجاهلية.

٤- استخدام الأجراء والمندسين، واستغلال المغفلين، والجهلة، وأصحاب الأهواء، والمنحرفين في سلوكهم من الفساق وعصاة المسلمين،

(١) عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص ٣٨-٣٩.

لتحريف عقائد المسلمين ومفاهيمهم الفكرية، مقدمة للإقناع بفساد العقائد والمفاهيم والشرائع الإسلامية.

٥- الاستدراج البطيء إلى ممارسة السلوك الذي يراد الغزو به، وترك السلوك الذي يراد التحويل عنه بالوسائل والأساليب المختلفة.

٦- استخدام النفاق والمنافقين والأقنعة المزورة، ويكون ذلك بإدخال الكفرة في صفوف المسلمين متظاهرين بالإسلام، لإفساد حالهم فكرياً وسلوكياً، والإضرار بهم وهم داخل صفوفهم، وإخراج بعض أبناء المسلمين من دينهم إخراجاً فكرياً وقلبياً، وتوصيتهم بأن يظلوا متظاهرين بالإسلام نفاقاً، ليقوموا بما يريد الغزاة من غزو فكري داخل أمتهم.

٧- استغلال ردود الأفعال بعد أحداث طارئة، أو أحداث مفتعلة، أبو بعد هجوم فكري منظم.

٨- استخدام الخطوات المتدرجة للنقل من موقع إلى موقع آخر فكري أو سلوكي^(١).

٢- بيان مخاطر الغزو الفكري وآثاره.

بعد أن جرب أعداء الإسلام الحروب الصليبية على العالم الإسلامي وفشلوا في تحقيق أهدافهم منها، قاموا بعدوان آخر جديد وهو غزو فكري يمتلك وسائل وأساليب مكررة والهدف منها تضليل المسلمين، وإضعاف قوتهم، ولا تستطيع الجيوش الجرارة أن تجعل إنساناً واحداً يعدل عن فكرته بالقوة.

وهكذا أعد النصارى جيوشاً من نوع آخر، لم تعد تحمل المدافع، فسلحتها هو القلم والكتاب ولم تعد تلبس الزي العسكري فلباسها هو مسوح الرهبان، ولم

(١) انظر: عبد الرحمن الميداني، ص ٤٤ وما بعدها.

تعد تيسر في خطوات منتظمة بادية للعيان، فطريقها هو الدس في الخفاء والدخول من الأبواب الخلفية.

ولقد كان الجيش الجديد هو كتاب و فرق ولواءات من المبشرين والمستشرقين ودعاة التغريب من المفكرين والصحفيين والإذاعيين، وكل من يملك أداة التوجيه الفكري في العالم الإسلامي جند في معركة الغزو الفكري مع العالم الإسلامي، هذه المعركة التي تستهدف تصفية الإسلام بتؤدة وأناة وبلا جلبة ولا ضوضاء^(١).

ومن أبرز آثار مدارس الجاليات الخيرية على أبنائها الطلاب تبين مخاطر الغزو الفكري على دول العالم الإسلامي ومنها الدول التي ينتمي إليها بعض الطلاب وفي بيان هذه الآثار تنبيه للدعاة إلى الله ليقوموا بتحسين أوقامهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

ومن مخاطر الغزو الفكري على العالم الإسلامي ما يأتي:

- ١- التشكيك في مصادر الثقافة الإسلامية وهي الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح.
 - ٢- محاربة الأساس الذي يقوم عليه القرآن والسنة وهو محاولة ضرب اللغة العربية.
 - ٣- مهاجمة المرأة المسلمة، فلها وحدها أعدوا البرامج والندوات وورش العمل والمؤتمرات وأصدروا التقارير السنوية والفصلية في ملامسة وضعها ومساعدتها على الخروج من بيتها، بدعوى المساواة والحرية المزعومة.
- إن في بيان مخاطر الغزو الفكري للطلاب وخاصة أبناء الجاليات والذين قدموا من بلاد شتى فوائد عظيمة حيث تدعو المسلم إلى التمسك بشرعه ومعرفة المؤامرات التي تحاك ضد دينه.

(١) انظر: سعد الدين صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص ٣٣.

٣- تحصينهم من مخاطر الغزو الفكري.

يعد تحصين طلاب مدارس الجاليات الخيرية من أهم أهداف تأسيس هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية - كما سبق -، لما لهذا التحصين من آثار عظيمة على مستوى الأفراد والمجتمعات الإسلامية، يتم ذلك من خلال ما يأتي:

- أ- المحافظة على الرابطة الإيمانية والعمل على تنميتها ويتم ذلك بما يلي:
 - ١- الالتزام بالأخلاق الفاضلة مع الدعوة إليها بين المجتمع.
 - ٢- أداء الحقوق المفروضة مع الحث عليها لبعضهم على بعض.
 - ٣- الالتزام بالنظام الاجتماعي الإسلامي عبر مقررات التعليم العام.
 - ٤- المحافظة على الوحدة الفكرية.

٥- تدريس الطلاب السيرة النبوية، وتاريخ الإسلام لتوضيح الحقائق لهم، وتزويدهم بالقدر الكافي من العلم والمعرفة والإمام بسير أعلامه. حيث يعتبر المجتمع متماسكاً قوياً إذا كانت الرابطة بين أفراده قوية والتزامهم بها شعوراً وولاء قوياً^(١).

ب- العمل على سلامة مقومات المجتمع المسلم:
ويتحقق ذلك بالتواصي بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر مع المثابرة على تحقيقه بين الدعاة إلى الله والمتعلمين.
ومن خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام تحميل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع بمعنى أن كل فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلب^(٢).

(١) انظر: عبد الله الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ص ٤٥٦ وما بعدها.

(٢) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٧٨.

وقد سعت هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية إلى إرساء هذه المقومات عبر مناشطها الدعوية المختلفة، وعبر محاضراتها وندواتها والتي تهدف إلى التعاون على البر والتقوى، والإصلاح القائم على الدعوة الصحيحة من الكتاب والسنة.

٤- بيان مفهوم الإرهاب، وعظيم خطره.

من بين آثار مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة بيان مفهوم الإرهاب والتطرف للطلاب، وتوضيح أخطاره، وآثاره على الأمة الإسلامية وقبل أن أبين هذه الآثار سأبدأ ببيان مفهومه وخطورته على المسلمين شعوبًا وأفرادًا من خلال ما يأتي:

أ- المقصود بالإرهاب:

عرفه المجمع الفقهي الإسلامي بأنه: «العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان: دينه ودمه وعقله وماله وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد، والقتل بغير وجه حق، وما يتصل بصور الحراية، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف والتهديد، يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر»^(١).

ب- خطر الإرهاب على الأفراد والمجتمعات:

يعاني العالم الإسلامي من موجات الإرهاب، والذي يسبب للمسلمين الكثير من المشكلات والمصائب، ويساهم في تأخير وصول المساعدات إلى البلاد الإسلامية المحتاجة، ويؤخر قيام بعض الدعاة إلى الله بمهمات الدعوة في بلادهم.

(١) رابطة العالم الإسلامي، قرارات مجمع الفقه الإسلامي، ص ١٢.

وقد أغلق الإسلام جميع الأبواب والسبل المؤدية إلى الغلو والتنطع في الدين، وسلك طرقاً متعددة واستعمل أساليب متنوعة لمكافحة الإرهاب، ومطاردته، وتطهير حياة المسلمين من آثاره وويلاته وأخطاره، ومن هذه الأساليب دعوته للأخذ بمنهج الوسطية والاعتدال في شؤون الحياة كلها؛ لأن الوسطية خاصة مميزة من أبرز خصائص ومميزات الإسلام، وهي وسام شرف الأمة الإسلامية، وبها استحققت أمة الإسلام أن تكون شهيدة على الناس من حيث لا تشهد عليها أمة أخرى^(١).

٥- تحصينهم من الإرهاب الفكري والعملي.

الإسلام دين السماحة والوسطية والاعتدال، فهو يدين الإرهاب كيفما كان، بغض النظر عن دين حامله أو جنسه أو لونه، ويضع الإنسان مسلماً كان أو كافراً في مكانة التكريم، بأن جعله في ذاته عزيزاً غير ذليل ومتميزاً عن سائر المخلوقات كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(٢). ومن تكريمه حفظ دمه وماله وعرضه.

ولهيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية جهود كبيرة في تحصين طلابها من الإرهاب الفكري والعملي، ودحض شبه المخالفين والمحرضين على أمن هذه البلاد المباركة وقيادتها، وذلك من خلال ما يأتي:

أ- تدريس المقررات الشرعية والتي توضح مفهوم الاعتدال والوسطية في الإسلام، مع بيان حقيقة الدعوات المغرضة، والتي تهدف إلى زعزعة الأمن والاستقرار داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

(١) انظر: سليمان الحقييل، حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، ص ٤٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

٢- تأييد مواقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب، وتعاونها مع الجهات المختصة في توضيح المفاهيم الشرعية، وبيان حقوق ولاية الأمر وفق منهج أهل السنة والجماعة.

٣- قيام المعلمين التابعين لهيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية بتوعية الناس بالموقف الشرعي من الإرهاب، وقتل الأنفس المعصومة، والغلو والتطرف في المواقف، وعدم الوسطية والاعتدال في المنهج، وما يسببه ذلك للمسلمين من مشكلات، وما يجره عليهم من مصائب، فضلا عن مخالفته لأحكام الشريعة الإسلامية^(١).

وإن الناظر في مناهج المواد الدراسية لمدارس الجاليات، يدرك عظم أثرها في تحقيق الأمن وتحصين هؤلاء الطلاب من الفكر المتطرف، ويتجلى ذلك من خلال ما يأتي:

١- من أهم المواد الدراسية التي تساهم بدور فاعل في خدمة الأمن لدى الطلاب: مواد التربية الإسلامية التي تدرس في جميع المراحل الدراسية منذ المرحلة الابتدائية إلى أعلى المراحل الدراسية، وتقوم مواد التربية الإسلامية على ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس الطلاب في المراحل الأولى للتعليم، ومما لا شك فيه أن انعكاس هذه العقيدة على سلوك التلميذ سوف يجعل منه مواطناً صالحاً مساعداً في أمن وطنه وأمانه، وباستعراض دروس التربية الإسلامية في المرحلة الابتدائية نجد أنها تركز على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تربي النفس على القيم الفاضلة، وتحذر من انتهاك المحرمات والفساد في الأرض، وعند استعراض مقرر الحديث للصف الأول المتوسط على سبيل المثال نجد أنه يستكمل الأسس التي يبنى عليها المقرر من المرحلة الابتدائية،

(١) انظر متدييات المنشاوي للبحوث والدراسات www.minshawi.com.

حيث يناقش موضوعات مهمة في مجال الأمن مثل آثار الخلاف والعداوة بين المسلمين، ومفاسدات علاقة المسلم بأخيه وتحريم الظلم.

٢- ويسير مقرر الحديث للصف الثاني المتوسط في تكريس الثقافة الأمنية لدى التلاميذ، وإبعادهم عن مواطن الشبهات، حيث يناقش مواضيع مهمة لمراحلهم العمرية المتقدمة، مثل التحذير من تعاطي المسكرات والمخدرات، بالإضافة إلى توضيح حرمة أذى الناس وخطورة الإشارة بالسلاح على المسلم أو ترويعه.

٣- ويستمر مقرر الحديث للصف الثالث المتوسط على السياق نفسه في طرح الموضوعات الأمنية من خلال استعراض مجموعة من الموضوعات المتعلقة بالأمن في المجتمع الإسلامي، مثل تحريم حمل السلاح على المسلمين، وتحريم سب المسلم وقتاله، بالإضافة إلى إيضاح حد السرقة وتحريمها ومضارها، بالإضافة إلى ذلك نجد عند استعراض مقرر الفقه للمرحلة الثانوية أنه يستعرض موضوعات أمنية تتعلق بأمن المجتمع وحمايته من الجريمة والانحراف، من خلال استعراضه لموضوعات مهمة منها الحدود والقصاص والديات والجناية، ومنها الجناية على النفس، والانتحار وحوادث السيارات، كما يستعرض موضوعات أخرى مثل أحكام المرتدين ومنهم السحرة ومن في حكمهم.

٤- ويأتي مقرر الفقه للصف الأول الثانوي ليستعرض موضوعات الجريمة بشكل مباشر، مثل التعريف بالجريمة وأقسامها وأضرارها على المجتمع، كما يستعرض العقوبة وأقسامها وآثارها في المجتمع لتوضيح الحد الفاصل بين المقبول في المجتمع وغير المقبول، ولردع من تسول له نفسه اقتراف الجرم لمعرفة نوع العقوبة التي سوف تطبق عليه، وهذا يعد منهجاً علمياً تدعو له بعض نظريات الجريمة، حيث ترى النظرية الكلاسيكية أن معرفة الشخص بنوع

العقوبة التي سوف تطبق عليه عند ارتكاب السلوك الإجرامي وسيلة لردع الأفراد عن ارتكاب السلوك الإجرامي.

٥- وتجدر الإشارة إلى أنه على رغم أن المواد الدينية في مدارس الجاليات تشكل حجر الزاوية في التوعية الأمنية لحفظ المجتمع من الجريمة والانحراف، إلا أن المواد الأخرى تؤدي دورًا مهمًا في مساعدة المواد الدينية على تأصيل هذا الجانب.

حيث نجد في مواد اللغة العربية الكثير من الإرشادات الأمنية، حيث يحتوي مقرر القراءة للصف الأول الابتدائي على موضوعات متعددة عن الإرشادات التي يجب اتباعها عند استخدام الطريق. كما يستعرض مقرر القراءة للصف الثاني الابتدائي بعض الإرشادات عن تعليمات المرور.

ويستعرض مقرر القراءة للصف الثالث الابتدائي موضوعات عن رجال الأمن ورجال المطافئ والدفاع المدني وواجبنا نحوهم. ويحتوي مقرر القراءة للصف الخامس الابتدائي على بعض القصص عن فدائية المسلم في حماية دينه ووطنه.

كما يتحدث مقرر القراءة للصف الأول المتوسط عن جهود الدولة في تحقيق الأمن، بالإضافة إلى موضوعات أخرى عن حق الطريق وبعض الأناشيد التي تصف حوادث المرور وعواقبها.

ويستعرض مقرر المطالعة للصف الثالث الثانوي موضوعات أمنية مهمة حول الأمن مفهومه وأنواعه.

٦- ومن المواد الأخرى التي سخرتها مدارس الجاليات في مناهجها لدعم وتنميته مفهوم الأمن لدى التلاميذ: مواد العلوم الاجتماعية مثل التاريخ والجغرافيا، حيث يركز مقرر التاريخ للصف الثالث الثانوي على موضوعات مثل

النهضة في عهد المغفور له بإذن الله تعالى الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله-، كما يستعرض موضوعات الأمن والجيش والدفاع، بالإضافة إلى استعراض تطور النهضة في المملكة.

كما يستعرض في مراحل سابقة لهذه المرحلة حالة البلاد قبل الحكم السعودي، وأهم الإصلاحات في عهد مؤسسها لكي يعرف الطالب قدر الإنجاز الذي تحقّق في المملكة العربية السعودية على يده، ولكي يحافظ على مقدرات الوطن ويدعم أمنه واستقراره الذي بذل من أجله الكثير، والتي كانت ثماره أن أصبحت المملكة العربية السعودية والله الحمد من أكثر بلدان العالم أمناً واستقراراً، وذلك بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل تحكيمها للشرع المطهر.

٧- وتسهم الجغرافيا في مراحل التعليم المختلفة في مساعدة التلاميذ على معرفة حدود وطنهم، ومقدراته وثرواته، مما يكرس لديهم الرغبة والدافعية لحماية وحفظ أمنه وسلامته، وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من مواد فإن مادة التربية الوطنية والتي يبدأ الطلاب تلقيها منذ السنة الرابعة الابتدائية تكرر الكثير من المفاهيم الأمنية والوطنية التي يحتاجها الطالب حسب مستوى عمره العقلي والذهني، متدرجة به من استعراض موضوعات عن الوقاية من الأخطار بجميع أنواعها، ومستعرضة في مراحل متقدمة أهمية احترام النظام، مع استعراض الأجهزة المدنية المعنية بالأمن الداخلي في الوطن، كما تستعرض الأمن بأنواعه المختلفة الأمن النفسي والأمن الغذائي والأمن العسكري والأمن البدني، ولا يقتصر دور مادة التربية الوطنية في مراحل التعليم المختلفة على استعراض هذه المحاور فقط، بل يشمل موضوعات مهمة أخرى مثل مفهوم البيئة والمخاطر التي تهددها، بالإضافة إلى دور الطالب في المحافظة على البيئة.

وباختصار يمكن القول بأن مدارس الجاليات تؤدي دوراً حيويّاً في نشر الوعي الأمني بين التلاميذ، وتشكل لبنة مهمة من لبنات الأمن في المجتمع السعودي^(١).

(١) استعراض ورصد لأهم محتويات المناهج والمقررات المدرسية من قبلي، وهي تبين أن الوسطية والاعتدال هي السمة البارزة في المواد التعليمية للمناهج المدرسية بوزارة التربية والتعليم.

المطلب الثالث

تأهيلهم لخدمة مجتمعهم عملياً ودعويّاً

١- تأهيلهم من الناحية الشرعية ببيان فضل المؤمن القوي، وحث الشرع على الصناعة وما فيه نفع للأمة.

من بين آثار مدارس الجاليات الخيرية على المستوى العملي والدعوي تأهيل طلابها من النواحي الشرعية، والعملية انطلاقاً من هدي الكتاب والسنة المطهرة.

حيث أن التنمية الشاملة مرتبطة بالتعليم ارتباطاً وثيقاً، وتساهم مخرجاته في مد سوق العمل بالكوادر الصناعية المدربة، وتعليم أبناء الجاليات الإسلامية يساهم في إيجاد فرص عمل مناسبة لهم وتحريك السوق الاقتصادية في بلدانهم إذا رجعوا إليها أو في البلاد التي يقيمون فيها، حتى يكونوا في المستقبل من الدعاة العاملين - إن شاء الله -.

وقد ورد في السنة النبوية فضل المؤمن القوي فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ وفي كلِّ خيرٍ احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ واستَعِنِ باللهِ ولا تَعْجِزْ، وإنَّ أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرَهُ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

ومن الأسس التي قامت عليها السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية: مبدأ التربية من أجل بناء الإنسان، وبناء الأوطان، فالحياة الدنيا هي

(١) مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ٨/٤٤ برقم (٦٨٩٢).

مرحلة إنتاج وعمل، يستثمر فيها المسلم طاقته عن إيمان وهدى للحياة الأبدية الخالدة في الدار الآخرة؛ فالיום عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل^(١). فتخريج مدارس الجاليات الخيرية لطلاب أقوى وأمناء يؤثر تأثيراً كبيراً على واقع هذه الجاليات من حيث توليهم للمناصب الدينية، وقيامهم بالواجبات المنوطة بهم خير قيام دون إفراط أو تفريط، انطلاقاً من السياسة التعليمية الحكيمة للتعليم في المملكة، حيث تركز على العلوم الشرعية، وتعد الثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع السنوات.

٢- تعزيز الهوية الإسلامية العربية بين أبناء الجاليات الإسلامية.

من آثار مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة تعزيز الهوية الإسلامية في نفوس الطلاب مع تعليمهم أصول اللغة العربية وآدابها، وتوضيح مكانة المملكة العربية السعودية بين دول العالم الإسلامي ودراسة آثارها الحميدة على مستوى الأفراد والشعوب منطلقة من دستورها العظيم القرآن الكريم، والسنة النبوية، وسيرة السلف الصالح، مع استشعار مسؤوليتها العظيمة في قيادة البشرية بالإسلام وهدايتها إلى الخير، ورعايتها الكريمة للجاليات الإسلامية في الداخل والخارج عبر دعوتها للتضامن الإسلامي وجمع كلمة المسلمين على الحق. فالاعتزاز بالدين، يجعل الطالب يتزود بالقدر الكافي من المعلومات اللازمة لحمل رسالة الإسلام بين الناس، وتمثيله للدين تمثيلاً يليق بالمسلم المستقيم.

وتنمية روح الولاء للإسلام عبر التحاكم إلى شريعته، والاهتمام بهديه، وترك كل ما سواه من الأحكام والقوانين الوضعية، مع البراءة من الكفر وأهله، مع الثقة الكاملة بمقومات الأمة الإسلامية وأنها خير أمة أخرجت للناس بقيامها

(١) انظر: معجب الحامد وآخرون، سياسة التعليم في المملكة، ص ٧٠.

بالدعوة إلى الله بينهم كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

ومما يدخل تحت تعزيز الانتماء الديني للطلاب: تعليمهم لعلوم اللغة العربية وآدابها، فتنمية مهارات القراءة والكتابة يزيد مستوى المعرفة والعلم لدى الطلاب، ويكسبهم القدرة على التعبير الصحيح خاصة في بعض المجتمعات المعزولة والتي يعاني بعض طلابها من ضعف مستوى اللغة العربية لقلة استخدامها، فتسهم مدارس الجاليات في تخاطبهم بلغة سليمة وتفكير منظم. كما تسهم في تنمية القدرة اللغوية بثتى الوسائل إلى زيادة اطلاعهم على علومها، وتساعد على تذوقها وإدراك نواحي الجمال فيها أسلوباً وفكراً.

٣- عقد الدورات العلمية لإتقان بعض الصناعات والحرف.

دعا الإسلام إلى العمل وحث المسلمين عليه لما يترتب عليه من آثار طيبة على الفرد والمجتمع وهذا العمل يقوم على تعليم أصوله، وتأهيل القائمين به على أكمل وجه ليكون عملهم متقناً، وتعليمهم صحيحاً فينال عليه العبد الثواب والأجر في الدنيا والآخرة يقول تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ومن أبرز آثار مدارس الجاليات الخيرية في الحث على الصناعة والعمل عقد الدورات العلمية الخاصة بإتقان بعض الصناعات والحرف اليدوية، واستكشاف مواهب طلابها عبر الأشغال اليدوية البسيطة داخل صفوفها، ويتم ذلك وفق مبادئ تعليمية من أهمها:

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

أ- تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم بين أبناء الجاليات وخاصة الفقراء.

ب- تنمية جوانب الشخصية لدى الطلاب بطريقة تربوية شاملة ومتوازنة.

ج- الاستفادة من مهارات وقدرات طلاب مدارس الجاليات الخيرية.

د- الحث على البحث والتفكير العلمي للخروج بنتائج عملية هامة على مستوى الأمة الإسلامية^(١).

إن تنوع التعليم لطلاب مدارس الجاليات الخيرية خاصة فيما يتعلق بالتعليم المهني أو بعض مبادئه، يربط التربية بالعمل والإبداع.

كما يغرس في نفوس الطلاب حب العمل والإنتاج، مما يؤكد أثره في بناء كيان الأمة من خلال تكوين المهارات العملية والعناية بالنواحي التطبيقية في نفوس الطلاب، ويكسبهم التفكير العلمي الذي ينمي فيهم المهارات الحسابة، والإفادة منها في المجالين العلمي والعملية، كما يساهم إتقان الطلاب للحرف والصناعات المختلفة إلى تحديد مساهمهم في اختيار تخصصاتهم في المرحلة الجامعية وما بعدها.

٤- التأهيل الشرعي الدعوي النظري من خلال المقررات الدراسية.

تقوم السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية على مرتكزات دعوية تربوية عظيمة، من أهم معالمها البارزة: الدعوة إلى التوحيد، وتصحيح العبادات والمعاملات بين المجتمع، ومن بين سياسات التعليم العام والخاصة بالدعوة إلى الله لأهميتها في نظام التعليم العام ما يأتي:

أ- الدعوة إلى الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالحكمة والموعظة الحسنة من واجبات الدولة والأفراد وذلك هداية للعالمين وإخراجاً لهم من

(١) رصد وتحليل من قبلي لبعض الدورات العلمية التي تقيمها بعض هذه المدارس ضمن نشاطات العام الدراسي، انظر: هيئة الإشراف، تقرير النشاط المدرسي للعام ١٤٣١هـ.

الظلمات إلى النور.

ب- الجهاد في سبيل الله فريضة محكمة وسنة متبعة وضرورة قائمة وهو ماض إلى يوم القيامة حتى يرث الله الأرض ومن عليها^(١).

والجهاد في سبيل الله يشمل إعداد الدعاة إلى الله إعداداً شاملاً، وتوضيح أحكام الدعوة إلى الله ، لتكون دعوتهم على بصيرة وهدى ونور كما بين القرآن الكريم أهمية تأهيل الدعاة إلى الله ليرجعوا إلى أقوامهم ليحذروهم من الوقوع في المعاصي ويرغبوهم في الطاعة والإنابة والاستقامة على دين الله كما أمر بذلك - عز وجل - بقوله: ﴿وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢).

وطلب العلم الشرعي الصحيح يحفظ الدعوة من الانحراف، ويحفظ صاحبه من الانحراف، فإذا انحرف الداعية عن الطريق الصحيح، فإن جميع من يسمعونها سينحرفون معه عن المسار الصحيح، وإن التعليم الخالي من العلوم الشرعية قد يكون سبباً لانحراف المجتمع وضياعه وعدم استفادة المسلمين منه، ووحده التعليم الإسلامي هو القادر على تأهيل طلابه، عبر مجموعة من القيم والأخلاق الإسلامية التي تؤثر في نفوس المتعلمين ويجعلهم قادرين على تغيير واقع مجتمعاتهم بإذن الله.

٥- التأهيل الدعوي العملي من خلال دورات الخطابة، وإشراكهم في المجال الدعوي والتوعوي.

ما من هيئة إدارية أو شركة تجارية إلا وتعقد لموظفيها دورات تدريبية في كل المناحي التي يحتاجها قطاع أعمالهم، بحيث يترقى الموظفون في درجات

(١) انظر: معجب الحامد، ص ٧٢ وما بعدها.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٠.

المهارة ولا يقون أسرى المعلومات العتيقة والأساليب البالية.

لذا سعت هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية عبر مدارسها إلى تأهيل طلابها تأهيلاً شرعياً عبر مقرراتها الدراسية والدورات التي تعقدتها في الأنشطة المختلفة في مجالات دعوية مختلفة كالتدريب على الخطابة، وفنون الإلقاء، وإعداد الكلمات، والمشاركة في برامج التوعية الإسلامية داخل هذه المدارس، لما لهذا التأهيل من آثار طيبة على الدعاة والمدعوين داخل المجتمع المسلم^(١).

وهذا التأهيل يؤثر على شخصية الطلاب وينمي فيهم الأساليب البيانية للقيام بالدعوة إلى الله على أكمل وجه، وأيسر طريقة، مما يترك أثراً كبيراً في دعوة طلاب هذه المدارس لمن حولهم وبالتالي ستخطو الدعوة - بإذن الله - بخطوات واثقة نحو الدعوة العالمية للإسلام والتي تتناسب مع رسالتها وضخامة تبعاتها على المهارات الدعوية، وتثقيفهم بالثقافات التي يحتاجونها في مسيرتهم عبر سياسة تعليمية واضحة الخطى والمعالم.

إن عقد دورات تدريبية لتنمية مهارات الدعاة في الخطابة والموعظة الحسنة له من التأثير على الناس الأثر الكبير في كل شؤون حياتهم فمن خلالها يستطيع الداعية التواصل الفعال مع المدعوين عبر الأساليب والوسائل الكفيلة بإقناعهم بما فيه نفعهم وصلاتهم.

وإن مثل هذه التأهيل للطلاب كفيل بتكثير سواد الدعاة عبر رفع كفاءة أحادهم ممن لم يشارك في الدعوة بفعالية من قبل، ومن شأن هذا الإعداد أن يرفع مستوى أداء الداعية فيتحسن نشاطه الدعوي وتعم آثاره كل أرض نزلها أو بلد حل بها.

(١) انظر: هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، تقرير النشاط للعام ١٤٣١ هـ.

المبحث الثاني آثارها على مجتمع مكة المكرمة

لمدارس الجاليات الخيرية آثار دعوية حميدة على المجتمع المكي، شهد بها كل من عرف واقع الجاليات الإسلامية قبل إنشاء المدارس وبعدها، ولعلي من خلال السطور التالية أبين سمات بارزة من آثارها.

المطلب الأول

آثارها على قاطني منطقة مكة المكرمة

١- أثر هذه المدارس على قاطني الأحياء المجاورة من خلال النشاطات الدعوية المتعددة.

يساهم طلاب مدارس الجاليات الخيرية والمعلمون فيها في الأنشطة الدعوية والتوعوية المتعددة في مدينة مكة المكرمة من خلال مراكز الأحياء فيها ومن هذه الأنشطة ما يأتي:

١- توعية الناس بمكانة البلد الحرام عبر برامج تعظيم البلد الحرام، وبيان فضل الجوار وأدابه وحث الناس على الاستفادة من جوار البلد العتيق.

٢- المساهمة في تأصيل معنى تعظيم هذا البلد الحرام في قلوب جميع المسلمين لتكون مكة المكرمة كما أراد الله عزَّ وجلَّ لها بلدًا آمنًا وذات مجتمع مثالي يحتذى به في حسن وفادة قاصدي بيت الله الحرام عبر تقديم المحاضرات من قبل بعض معلمائها بالتعاون مع مشروع تعظيم البلد الحرام^(١).

٣- قيام معلمي مدارس الجاليات الخيرية بمهام التدريس في حلقات التحفيظ في مساجد هذه الأحياء لما لهذه الحلقات من آثار عظيمة في حفظ

(١) للاستزادة ينظر موقع مشروع تعظيم البلد الحرام على الشبكة العنكبوتية (www.makkah.org.sa).

الناشئة، وتعويدهم على مكارم الأخلاق، ودعوتهم إلى الاهتداء بهدي الكتاب الكريم بالقول والعمل.

٤- مشاركة طلاب مدارس الجاليات الخيرية في الدروس العلمية، والمحاضرات والندوات العلمية المقامة في مساجد تلك الأحياء وهو ما يجعل تأثيره في الأحياء تأثيراً ملموساً في استقامة بعض سكان تلك الأحياء وتحسن سلوكهم.

٢- إسهام هذه المدارس في إصلاح الأحياء المجاورة لها بإعطاء الصورة المثالية والقدوة الصالحة للإسلام والمسلمين.

تعد القدوة الحسنة من أهم وسائل الدعوة إلى الله لأن السيرة الذاتية، والأفعال الحميدة والصفات الرفيعة تجعل الداعية قدوة طيبة وأسوة حسنة لكل الناس إذ تجعله كتاباً مفتوحاً يقرأ الناس فيه معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون نحوها لأن لسان الحال أبلغ من لسان المقال، وحين يكون الداعية إلى الله قائماً بأمور دينه وعلى خلق كريم يؤثر تأثيراً كبيراً في المدعوين ويمكن إجمال آثار القدوة الحسنة في الأمور التالية:

١- إن المثال الحي والقدوة الصالحة يثير في نفس البصير العاقل قدراً كبيراً من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة، فيميل إلى الخير، ويتطلع إلى مراتب الكمال ويأخذ يحاول يعمل مثله حتى يحتل درجة الكمال والاستقامة.

٢- إن القدوة الحسنة المتحلية بالفضائل تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل والأعمال الصالحة من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

٣- إن الأتباع والمدعويين الذين يربيههم ويدعوهم الداعية ينظرون إليه نظرة دقيقة دون أن يعلم هو أنه تحت رقابة مجهرية، فرب عمل يقوم به من المخالفات لا يلقي له بالا يكون في نظرهم من الكبائر، لأنهم يعدونه قدوة لهم.

٤- أن الفعل أبلغ من القول، خاصة وأن مستويات الفهم للكلام عند الناس متفاوت، وذلك أيسر في إيصال المفاهيم التي يريد الداعية إيصالها للناس المقتدين به.

فمدارس الجاليات الخيرية تسهم عبر منسوبها في إعطاء الصورة المثالية للدعاة إلى الله، ومن خلالها يدعون الناس بالقدوة الحسنة في الأحياء التي يقنطها أبناء الجاليات الإسلامية للاستقامة والهداية وهي من أبلغ وسائل الدعوة المؤثرة في الآخرين^(١).

٣- أثر هذه المدارس في الحد من الجريمة في الأحياء المجاورة عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التطوعي.

من آثار التعليم في مدارس الجاليات الخيرية قيام بعض طلابها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم، مما يسهم في الحد من الجرائم الظاهرة، أو مساعدة الجهات المختصة في منع مظاهرها.

فالأثر الكبير الذي ينتج عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تقام شعائر الله تعالى من صيام، وصدقة، وحج.. وكلها مرتبطة بالقيام بهذا الواجب العظيم، ودور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إقامة الشعائر دور أساسي فحيث وجد الأمر والنهي، وكان للقائمين به صلاحية وتشجيع في محاسبة المقصر فإن شعائر الله ستحظى بالتطبيق، وحيث ما أهمل هذا الجانب ولم يحصل للقائمين فيه دعم ولا تشجيع فإن ذلك ينتج عنه التفريط والتقصير في

(١) للاستزادة ينظر: محمد بشير حداد، الدعوة والإصلاح مناهج وأساليب، ص ٢٢٦ وما بعدها.

شعائر الله، وقد بين المولى -جل وعلا- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودوره العظيم في الحد من الجرائم، وحصول الأمن والطمأنينة للمجتمع المسلم في كل مكان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

كما أن من أبرز آثار القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطوعاً من قبل منسوبي مدارس الجاليات الخيرية معلمين وأفراداً خلو هذه المجتمعات من المنكرات الظاهرة، وتعاونهم مع بعضهم في تقوية جانب الأمر والنهي، فالفضيلة أكثر من الرذيلة، والمعروف أكثر من المنكر، وبيوت هذه الأحياء ومساجدها وأسواقها -بإذن الله- خالية من المنكرات إلا منكرات قليلة لا تكاد تظهر في المجتمع بفضل الله أولاً ثم بجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة العربية السعودية والجهات الأمنية، مع تعاون بعض منسوبي مدارس الجاليات الخيرية خاصة في بعض الأحياء المعزولة سكانياً والتي يصعب على بعض هذه الجهات متابعتها بصفة دورية نظراً لوعورة التضاريس الجبلية لها، والكثافة السكانية التي تميز سكان مثل هذه الأحياء.

٤ - مشاركة بعض منسوبي هذه المدارس في مجال الحسبة النظامية وأثر ذلك على أهالي مكة قاطبة.

الغاية من الاحتساب على الناس هو وقاية المجتمع وتحقيق منافع العباد، والحرص على سلامتهم، وتطبيق العدل بين أفرادهم، وحفظ الأمن في مجتمع مكة المكرمة.

ويشارك بعض منسوبي هذه المدارس في مجال الحسبة عبر نشر الفضائل الإسلامية، وتوعية الناس بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن به

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الحفاظ على مصالح العباد، وإقامة شرائع الدين، والعناية بالشباب، وتربيتهم تربية دينية قويمة مع بث نوازع الخير في نفوسهم، وإزالة كل أسباب الشرور منها، عبر التعاون البناء بين المدرسة والمجتمع والجهات الرسمية.

وقد تم تنظيم مشروع تحت عنوان "مكة بلا جريمة" بالتعاون مع شرطة العاصمة المقدسة والقطاعات الأمنية بمكة المكرمة والإدارات الحكومية ذات العلاقة، ويهدف هذا المشروع إلى تفعيل البعد الأمني للمشروع الأم "مشروع تعظيم البلد الحرام"، وتعريف الناس بعظم الجريمة في مكة المكرمة للبعد عن الظلم وعدم الوقوع فيه، ومن أبرز مظاهر الاحتساب على الأهالي الآتي:

١- زيادة العناية بذوي الحاجات من مساكين الحرم والأيتام والأرامل رغبة في الأجر المضاعف في مكة المكرمة، ومشاركة منسوبي مدارس الجاليات الخيرية في الدلالة على الخير، وإيصال مساعداتهم إلى الأحياء التي يسكنون بها.

٢- زيادة العناية بحقوق القريب والجار في مكة المكرمة باعتباره جار بيت الله الحرام، وترك أذاه أو مقاطعته لعظم الذنب في مكة المكرمة مع تنبيه الناس على الحفاظ على حقوق المسلمين في البلد الحرام.

٣- زيادة العناية بالوافدين وحسن التعامل معهم وإكرامهم، لأنهم وفد الله وخاصة من يقدمون من بلادهم الأصلية.

٤- حث الناس على زيادة العناية بالبلدة المباركة التي أمر الله بتطهيرها وعمارته، قياماً بحق البيت الحرام مع التواصي بالحق والصبر فيما بينهم^(١).

٥- تولي بعض منسوبي هذه المدارس وخريجياتها بعض المناصب الدعوية من خطابة وإمامة وغيرها، وأثر ذلك في إصلاح مجتمع مكة المكرمة.

(١) انظر: عمر عطار، مدارس الجاليات الإسلامية، ص ٧٤.

يقوم منسوبو مدارس الجاليات الخيرية بواجب الدعوة إلى الله تعالى عن طريق إنشاء المدارس الإسلامية في مكة المكرمة، وتعليم الكبار ما يجهلون من أمور دينهم، وعن طريق التدريس النظامي في المدارس وغيرها، والحلقات العلمية في المساجد بين المغرب والعشاء، وإدارة المدارس، وعن طريق الإمامة والخطابة، والمشاركة في الندوات والمحاضرات العامة، والمشاركة في نشاطات الجمعيات الإسلامية الثقافية والتربوية المختلفة، وأهمية الإمامة والخطابة في الدعوة إلى الله تأتي من عدة وجوه من أهمها:

أولاً: للمسجد في الإسلام أهمية كبيرة ومكانة عظيمة، وإمامة المسجد لها فضل عظيم؛ لما فيها من التوجيه والنصح والإرشاد، وقيام منسوبي مدارس الجاليات الخيرية بمهمة الدعوة والتعليم، وذلك بإحياء رسالة المسجد في إقامة الدروس العلمية الشرعية، وكذلك في جانب الوعظ والتوجيه والتعليم المتعلق بحسن السياسة وأساليب الدعوة والحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤثر تأثيراً كبيراً على القاطنين في بعض المساجد الأهلية التي يتولون الإمامة بها.

ثانياً: إن إمام المسجد - وخاصة الجامع - له دوره الكبير في الدعوة إلى الله وهداية الحيارى وإصلاح الفاسدين عبر المساجد، فهي بيوت الله عز وجل في الأرض، أظهر الأماكن وأنقى البقاع، فيها تنزل الرحمات وتهبط الملائكة وتحل السكينة، تربت في أحضانها أجيال، تعلّمت توحيد الله، ونشأت على إخلاص العبادة لله، محبة وإنابة ورغبة ورهبة، وخوفاً ورجاءً وإخلاصاً وتوكلاً وذلاً وتعبدًا.

رابعاً: إن خطبة الجمعة مجال عظيم الفائدة في دعوة الناس وتوجيههم نحو تعاليم الإسلام الصحيحة إذا كلف بها الداعية المخلص لدينه وأمته، فإن الإمام ينبغي أن يكون معاشياً للواقع ويلمس المشكلات ويعرف ما يجد في حياة

الناس؛ فإنه حينئذ يمكن أن يجعل الخطبة إصلاحاً للأخطاء ومعالجة للأدواء، وهذا لا شك أنه يجعل رسالة المنبر رسالة ذات تأثير، وذات اتصال مباشر بواقع الناس، وما يسعى هؤلاء الأئمة إلى تحقيقه عبر التزامهم برسالة المسجد الدعوية.

المطلب الثاني

آثارها على الزوّار والحاج والمعتمرين

١- مشاركة منسوبي هذه المدارس في برامج توعية الحاج والمعتمرين.

الدعوة إلى الله -تعالى- في موسم الحج سنة نبوية منذ فجر الإسلام؛ إذ كان النبي ﷺ يعرض دعوته على الناس في موسم الحج، كما أرسل العديد من أصحابه -رضي الله عنهم- لذلك، وفي حجة الوداع نصح الأمة غاية النصح وبلغ البلاغ المبين حتى أتاه اليقين، وقد بين القرآن الكريم أهمية الدعوة في الحج وعدها من المنافع العظيمة التي تحصل لقاصدي البيت الحرام، يقول تعالى:

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَيْهِيمَةٍ
الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(١)، وقد استمر علماء الإسلام ودعاته الصادقون على مر العصور في استغلال هذا الموسم العظيم دعويًا مستفيدين منه في إيقاظ القلوب وإنارة البصائر وعرض الإسلام النقي والتحذير من مخاطر الشرك وشوائب البدع والمنكرات.

ومن آثار دعوة مدارس الجاليات الخيرية مشاركة بعض منسوبيها من المعلمين والطلاب في برامج توعية الحجاج والمعتمرين في مكة المكرمة وتشتمل هذه المشاركة على ما يلي:

١- قيام بعض منسوبي مدارس الجاليات الخيرية بتوزيع الكتيبات

العلمية^(٢).

(١) سورة الحج، الآية: ٢٨.

(٢) انظر: موقع هدية الحاج والمعتمر وفيها بيان مساهمة أبناء الجاليات في التفاعل مع الحجاج.

- ٢- توعية الحجاج الوافدين إلى المشاعر من الدول الإسلامية عن طريق المحاضرات والمواعظ والأشرطة والمغلفات والهدايا الدعوية.
- ٣- القيام بواجب الدعوة إلى الله تجاه الوافدين بالتعاون مع التوعية الإسلامية في الحج.
- ٤- سد حاجة الناس الماسة للاستفسار عن كيفية أداء مناسكهم أو عن بعض أحكام الدين التي قد تخفى على كثير منهم عبر إرشادهم إلى مكاتب الفتوى داخل المسجد الحرام وفي حدود مدينة مكة المكرمة.
- ٢- قرب بعض هذه المدارس من مساكن الحجاج يسهم في مجال التوعية.

الحج مناسبة كبرى لدعوة عوام المسلمين، فإنهم ما جاءوا إلى تجارة، ولا سياحة.. وإنما تكبدوا المشاق، وأنفقوا الأموال، وغيرها، حتى يصلوا إلى هذه الأماكن والبقاع، طلباً لما عند الله -عز وجل-، فمثل هؤلاء هم -في الغالب- من صفوة المسلمين وخيارهم، ويُعتبرون نموذجاً لمن تركوا وراءهم من المؤمنين، وقد مر بنا أن من الآثار الدعوية لمنسوبي مدارس الجاليات الخيرية تعاونهم مع الجهات الرسمية في مجال دعوة الحجاج والمعتمرين والوافدين إلى البلد الحرام، ومما يسهم في وصول دعوتهم بيسر وسهولة قرب بعض هذه المدارس من مساكن الحجاج وأماكن تجمعهم خاصة في الأحياء القريبة من المسجد الحرام، وهو ما يجعل التواصل الدعوي والتزاور معهم سهلاً على الدعاة إلى الله خاصة إذا كانوا من نفس الدول التي ينتمي إليها أبناء الجاليات الإسلامية^(١).

لأن من وسائل الدعوة في الحج أيضاً: زيارة المسلمين في مساكنهم للتوعية بالحج وغيره، فلو أن المسلمين في بعض الدول الإسلامية كانوا أكثر

(١) أحمد العمودي، مدير الإدارة التنفيذية، اللقاء الثاني معه.

نضجًا ووعياً وقدرةً مما هم عليه الآن، لكانوا يسرون حملات علمية يقودها الدعاة الصادقون من أنحاء المعمورة إلى سائر بلاد الإسلام قبل الحج بزمن، تقوم بتوعية الناس بالحج وآدابه وأحكامه، خاصة وأن تعليم الناس أحكام المناسك من أولويات دعوة الحجاج لكي يكون حجهم وفق ما افترضه الله عليهم ويكون أدمى - بإذن الله - للقبول والموافقة للسنة المطهرة.

ومن وسائل الدعوة أيضًا الخاصة بزيارة الدعاة بعضهم بعضًا تلاقي الدعاة إلى الله تعالى في موسم الحج، وتدارس أمورهم، وسبل حل المشكلات التي يواجهونها، وكذلك التقاء العلماء الذين لا يتسنى لهم اللقاء بهم - أحيانًا - إلا في مثل تلك المواسم لبحث المسائل العلمية، والعملية، والدعوية، والواقعية، وغيرها، مما يحتاجون إليه.

مع أهمية تفهيم الحجيج بواجبهم تجاه دينهم، وضرورة قيامهم بحمل همّ هذا الدين والدعوة إلى الله ومناصرة علماء أهل السنة والجماعة ودعاتهم الصادقين في مجتمعاتهم، وإفهامهم بأن الدعوة إلى الإسلام مسؤولية مشتركة بين كافة أبنائه كل حسب وسعه وطاقته.

٣- أثر دعوة منسوبي هذه المدارس على الحجاج والمعتمرين القادمين من بلدان هؤلاء الطلاب.

يتوافد على بيت الله العتيق في موسم حج كل عام من آفاق الأرض مئات الآلاف من البشر من كل حدب وصوب، وعامتهم من ذوي العاطفة الدينية الجياشة التي أقبلت على الله - تعالى - وجهدت في نيل رضاه - سبحانه - فمنهم من باع أرضه، ومنهم من رهن بيته، ومنهم من مكث السنين الطوال يجمع الدينار فوق الدينار حتى تمكن بعد لأي وطول انتظار من توفير متطلبات حجه والمال الذي سينفقه في سبيل ذلك.

هذه النفسية المشرّبة للخير، المتطلعة للظفر برحمة الله -تعالى- وغفرانه، هي بيئة خصبة للقيام بالدعوة إلى الله بينهم خاصة من بني جلدتهم لأن دعوتهم لإخوانهم أَدعى لتقبلهم منهم، مع معرفة منسوبي مدارس الجاليات الخيرية للغاتهم، واطلاعهم على أحوالهم من كل النواحي، وقد بين القرآن الكريم أهمية مخاطبة كل قوم بما يعقلون، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١).

لأن المتأمل في واقع الحجيج اليوم يشاهد مظاهر جهل صارخة في الدين بعامّة، وفيما يتعلق بأمر الأنسك بصفة خاصة، وليس هذا فحسب؛ بل إن السنة المحكّمة في أحيان كثيرة قد تتحول في عقلية بعضهم إلى بدعة، والجهل إلى معرفة، مما يستدعي معالجة دعوية متخصصة، تشمل توضيح أحكام العقائد، وبيان أحكام المعاملات والتصرفات؛ إذ لا بد للداعية إلى الله من مراعاة أحوال الحجيج ونظرة بيئاتهم الثقافية والاجتماعية التي نشأوا فيها، وهذا من مميزات دعاة الجاليات الإسلامية بمكة حيث أنهم يعرفون أساليب دعوة أقوامهم والتي هي أحسن، ولهذه الدعوة آثار حسنة ونتائج طيبة على نفوس المدعوين، فيها تستقيم أحوالهم، وتصح عقائدهم، وتزكو نفوسهم، ويفرقون بنورها بين الحق والباطل، والنور والظلمة، والسنة من البدعة، والهدى من الضلال، والبصيرة من العمى.

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

المبحث الثالث

آثارها على دول هذه الجاليات ومجتمعاتها

المطلب الأول

آثارها على الوافدين من دول هذه الجاليات

١ - مساهمة منسوبي هذه المدارس في الدعوة التطوعية لأبناء أوطانهم من الوافدين.

يقوم منسوبو مدارس الجاليات الخيرية بجهود دعوية كبيرة بين صفوف الوافدين من أبناء جلدتهم، وهذه الجهود تؤثر تأثيراً قوياً في قيام هؤلاء الوافدين بأداء العبادات المفروضة عليهم على أكمل وجه، وتحيي فيهم محبة العمل الصالح والإقبال على الطاعات والعبادات في البلد الحرام.

وينطلق منسوبو مدارس الجاليات الخيرية في دعوتهم التطوعية من قوله

تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١).

وهذا الإنذار يقوم على الترهيب والترغيب، ودعوة الناس إلى ما فيه نفعهم وصلاحتهم، وطيب عيشتهم وذلك من خلال الدعوة الفردية والتي تتضمن ما يأتي:

- ١ - تكوين العلاقة مع المدعوين والتعاون معه على البر والتقوى.
- ٢ - زيارته زيارات أخوية والتحدث معه من خلالها في أمر معين وتربطه بالدين وانتهاز الفرص الدعوية معه كمشاركته في أفراحه أو مواساته في أحزانه.
- ٣ - محاولة تقوية إيمانه بطريق مباشر بكتيب أو بشرط فيه قصص أو الذهاب به إلى المحاضرات والدروس العلمية لما لها من آثار سلوكية حسنة، على الفرد والمجتمع.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

- ٤- ربطه بتعاليم الدين الإسلامي عبر توضيح الأخلاق الإسلامية له.
 ٥- تشجعه للقيام بالعمل للإسلام والدعوة إليه.
 ٢- تواصل منسوبي هذه المدارس اجتماعيا مع الوافدين من دولهم وأثر ذلك في دعوتهم وإصلاحهم.

للتواصل الدعوي مع الوافدين آثار حسنة على دعوتهم، والسعي في إصلاحهم، ومساهماتهم في رفعة المجتمعات الإسلامية.

وقد أكد القرآن الكريم على أهمية التواصل الدعوي عبر الأمر بوجوه الخير بين الناس وعظيم الأجر المترتب عليه يقول تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

فبيئة المدعو الاجتماعية لها أثر واضح في الدعوة إلى الله عز وجل، فهي بلا شك تؤثر بشكل مباشر على الدعاة إلى الله من حيث قبول دعوتهم أو ردها أو عدم القناعة بها، أو الاستهزاء بها، كما حدث مع الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه من قبل، وتؤثر بشكل أكبر على المدعويين في جميع أحوالهم بحسب تواصل الدعاة معهم، وسعيهم الحثيث لإصلاحهم وتوضيح الحقائق لهم.

إن من حقوق المدعويين أن يقصدهم الدعاة في أماكن تواجدهم، وهذا يجعل أمر تواصل منسوبي مدارس الجاليات الخيرية مع بيئاتهم المحيطة بهم أمراً لازماً، بحيث تكون مساهماتهم الاجتماعية تؤتي ثمارها اليانعة من حيث زرع العقيدة في نفوسهم، فتثمر الخير بكل صورته وأشكاله، ويكون هذا الخير شاملاً لكل مناحي العباد، في تعاملهم مع أنفسهم، وأسرهم، وجيرانهم، ومجتمعاتهم، وأمتهم، بل وحتى في تعامله مع خصومهم، حيث يكون للدعوة إلى الله طريق إلى

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

قلوب هؤلاء المدعوين، ويكون الإيمان هو القوة المحركة في نفوسهم لفعل الخير، ولا يمكن أن يكون لهذا التواصل أثر في ظل غياب الدعوة إلى الله.

إن من آثار مدارس الجاليات الخيرية الجهود الدعوية التي يقوم بها بعض من انتسب إليها على المستوى الاجتماعي، بحيث تأتي دعوتهم للوافدين إلى البلد الحرام تنمة لجهودهم التعليمية والقائمة على منهج الدعوة إلى الله والحرص على صلاح الأفراد والمجتمعات في كل مكان.

٣- استقطاب منسوبي هذه المدارس لأبناء الوافدين من بني جلدتهم للتسجيل في مدارس الجاليات.

للتعليم بأنواعه سواء في الدراسة النظامية أو حلقات القرآن، أو الدروس العلمية الأخرى في المساجد، آثار عظيمة على الطلاب تربية واجتهاداً حتى ولو كانوا طلاب صفوف أولية، خاصة وأن العلم يسهم في صلاح الأفراد والمجتمعات، والجهل رأس كل بلاء ومصيبة تصيب الشعوب والمجتمعات.

وحرمان بعض أبناء الجاليات الإسلامية من التعليم من قبل أهليهم في بعض الأحيان، أو عدم حثهم على التسجيل والحرص على استقطابهم في مدارس الجاليات الخيرية يفوت عليهم وعلى أسرهم خيراً كثيراً، لما في التحاقهم بالمدارس من رفع الجهل عنهم وعن مجتمعاتهم، فإذا انتشرت الدعوة إلى الله تعالى وخاطبت الإيمان المركوز في الفطر، نمت آثاره الطيبة في حياة الأفراد، فتحقق لهم رغد العيش وسعة الرزق من جانب، وتحقق لهم من الجانب الآخر نعمة الأمن والاستقرار، وتحقق لهم الثبات على الإيمان، وتحقق لهم فوق ذلك كله الثواب العظيم من الله تعالى والهداية إلى صراطه المستقيم، في كل عمل من أعمال دينهم ودنياهم.

ففي التعليم وقاية للمجتمعات من الانحراف ومن التفكك والانحراف والانهيار، لأنه يزرع العقيدة في نفوس الطلاب، وهي التي تجعل من العبد رقيقاً

على نفسه، وإن غابت عنه عيوب الناس، فإذا ما رُسم للعبد حق مجتمعه عليه، حملته عقيدته على تنفيذ هذا الحق بحافز ذاتي، ودافع إيماني، لأنه يرجو بذلك ما عند الله تعالى حين يفعل، ويخشى من عذاب الله تعالى وسخطه حين يتقاعس أو يفرط، فإذا ما قام كل فرد في المجتمع بهذا الدور، وجد المجتمع المثالي الذي يسير على هدي سماوي، ومنهج رباني^(١).

إن منهج الدعوة في تربية المجتمع يبدأ بتربية الأفراد تربية إيمانية صحيحة، لأن هؤلاء الأفراد هم الذين يشكلون في نهاية المطاف المجتمع المسلم الصالح.

(١) للاستزادة حول دور المدارس ينظر: خليل حدري، التربية الوقائية في الإسلام، ص ٤٧٣.

المطلب الثاني

آثارها على أمة الإجابة^(١) في دول الجاليات

١- دور طلاب مدارس الجاليات في دعوة المسلمين في دولهم الأصلية من خلال العمل التطوعي، كالخطابة، والوعظ، وغيرها.

لقد ندب الله تعالى المؤمنين إلى تعلم أحكام الدين والسعي في طلب العلم، حتى يرجعوا إلى أقوامهم هداة معلّمين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢).

قال الطاهر بن عاشور -رحمه الله-^(٣): «كان غالب ما تقدم من هذه السورة تحريضا على الجهاد وتنديدا على المقصرين في شأنه، وانتهى الكلام قبل هذا بتبرئة أهل المدينة والذين حولهم من التخلف عن رسول الله ﷺ، فلا جرم كانت قوة الكلام مؤذنة بوجوب تمحض المسلمين بعلم الدين وتثقيف أذهان المسلمين كي تصلح سياسة الأمة على ما قصده الدين منها، من أجل ذلك عقب التحريض على الجهاد بما يبين أن ليس من المصلحة تمحض المسلمين كلهم لأن يكونوا غزاة أو جندا، وأن ليس حظ القائم بواجب التعليم دون حظ الغازي في سبيل الله من حيث إن كليهما يقوم بعمل لتأييد الدين، فهذا يؤيده بتوسع سلطانه وتكثير أتباعه، والآخر يؤيده بتثبيت ذلك السلطان وإعداده لأن يصدر عنه

(١) المراد بأمة الإجابة: المؤمنون من أتباع النبي محمد ﷺ، انظر: محمد بن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية، ص ٨٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) هو: محمد الطاهر بن عاشور، ولد بتونس عام (١٢٩٦هـ) فقيه وعالم له العديد من المؤلفات ومنها: أصول الإنشاء والخطابة، والتحرير والتنوير، توفي عام (١٣٩٣هـ) بتونس، انظر ترجمته: خير الدين الزركلي، الأعلام، ٦/ ١٧٤.

ما يضمن انتظام أمره وطول دوامه، فإن اتساع الفتوح وبسالة الأمة لا يكفیان لاستبقاء سلطانها إذا هي خلت من جماعة صالحة من العلماء والساسة وأولي الرأي المهتمين بتدبير ذلك السلطان»^(١).

ولهذا فقد تمثّل هؤلاء الطلاب للأمر الإلهي، فخصصوا من أوقاتهم نصيباً لدعوة المسلمين في دولهم الأصلية، خاصة في الدول التي يستطيعون السفر إليها خلال الإجازة الصيفية. ويتركز نشاط هؤلاء في هذا المجال في الأمور الآتية:

١- عقد الدورات العلمية في هذه الدول، وذلك بالتنسيق مع الجمعيات الخيرية والدعوية بالمملكة العربية السعودية التي تدعم وتراعى النشاط الدعوي في هذه البلدان.

ومن أبرز الجمعيات الدعوية التي تُعنى بدعوة الأقليات الإسلامية في هذه

الدول:

أ- منظمة المؤتمر الإسلامي.

ب- رابطة العالم الإسلامي.

ج- المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

د- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، وغيرها من المنظمات الدعوية.

٢- العمل التطوعي الفردي من خلال الزيارات العائلية، فيعقد هؤلاء الطلبة بعض الدروس العلمية والتوعوية والوعظية.

٣- من خلال الخطابة في مساجد بلدانهم إما تطوعياً، أو بالانتداب من قبل

وزارة الأوقاف بالمملكة العربية السعودية.

٤- من خلال التدريس الموسمي في بعض المراكز الدعوية في هذه الدول،

وكذا الملحقيات الثقافية وغيرها^(٢).

(١) محمد بن عاشور، التحرير والتنوير ١٠/٢٢٧.

(٢) استفدت هذه المعلومات من خلال معرفتي لبعض الطلاب المتخرجين من هذه المدارس،

٣- وجود نخبة من خريجي هذه المدارس من حملة الشهادات في بعض المناصب الدينية، وأثر ذلك على دعوة المسلمين^(١).

إنَّ وجود نخبة من خريجي مدارس الجاليات في مراكز مرموقة إما في المملكة العربية السعودية أو في دولهم الأصلية، ساهم مساهمة فعالة في الدعوة إلى الله تعالى وذلك من خلال الآتي:

١- تعريفهم للجهات ذات العلاقة بالمملكة العربية السعودية بواقع بلدانهم، وسعيهم السعي الحثيث لتقديم الدعم لدولهم في المجال الدعوي، عن طريق إعداد الدعاة المؤهلين، وأيضاً عن طريق تقديم الدعم المالي.

٢- تقديم التسهيلات القانونية في دولهم من خلال علاقاتهم بالمسؤولين في تلك الدول، مما يسهل نشاط المراكز الدعوية وتأسيس المدارس العلمية.

٣- التأثير الفعال على وزارة الأوقاف في بلدانهم حيث وجد بعض خريجي مدارس الجاليات من عين مفتياً أو وزيراً للأوقاف وغير ذلك من المناصب المرموقة، ولا شكَّ أنَّ هذا قدم دعماً منقطع النظير للدعوة الإسلامية، وللمنهج السلفي.

٤- مساهمة هؤلاء الخرجين من ذوي المناصب في بناء المدارس والمساجد وغيرها كان له أبلغ الأثر في الدعوة إلى الله تعالى.

٥- كان لهؤلاء الخرجين أبلغ الأثر في الأقليات من خلال تمثيلهم التمثيل الحسن في داخل هذه الدول وخارجها.

ومشاهدتي لجهودهم الدعوية المباركة.

(١) من خلال زيارتي لدولة بنغلاديش في العام ١٤٢٦هـ شاهدت إحدى ثمرات هذه المدارس خاصة في بعض مناطق اللاجئين البرماويين مثل كوكس بازار وشيتاغونغ، حيث يقوم بعض المتخرجين من مدارس الجاليات الخيرية بالتدريس في بعض المدارس والإشراف عليها، مع الاستعانة ببعض المناهج المطبقة في نظام وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية.

المطلب الثالث

آثارها على أمة الدعوة^(١) في دول الجاليات

١- دور طلاب مدارس الجاليات في دعوة غير المسلمين في دولهم الأصلية من خلال العمل التطوعي والنظامي.

إنّ الدعوة الإسلامية ليست قاصرة على المسلمين، وإنما هي دعوة عالمية للعرب والعجم والمسلمين والكفار إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

وعالمية الدعوة تواجه عقبة البيئة واللغة، ولكن أبناء هذه الدول من طلاب مدارس الجالية لهم أبلغ الأثر في إزالة هذه العقبات، حيث كانت لهم جهود خيرة في دعوة غير المسلمين، وذلك من خلال الآتي:

١- دعوة غير المسلمين من خلال الجمعيات الدعوية التي تعنى بالتعريف بالإسلام، وذلك من خلال التنقل إلى هؤلاء في بلدانهم الأصلية.

٢- العمل الدعوي التطوعي لهؤلاء الطلاب والخرجين، عن طريق المقابلة الفردية أو الكلمة الجماعية.

٣- دعوة هؤلاء الطلاب لأقاربهم وذويهم من غير المسلمين في بلدانهم الأصلية، كان له أبلغ الأثر في إسلام كثير منهم.

٤- مشاركة هؤلاء الطلاب في مجال الترجمة يمكن للعلماء الراسخين من ذوي الحنكة والتجربة من دعوة غير المسلمين في هذه البلدان.

(١) أمة الدعوة هم اليهود والنصارى وغيرهم من ملل الكفر والشرك.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

٥- دعوة هؤلاء الطلاب لغير المسلمين في بلدانهم الأصلية عبر وسائل الاتصال الحديثة، كالمتديات الالكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي، وغيرها من وسائل الاتصال الحديثة.

٢- دعوتهم لغير المسلمين عن طريق تقديم النموذج الإسلامي المعتدل.

من آثار مدارس الجاليات الخيرية تأهيل طلابها تأهيلاً دعوياً شاملاً ليقوموا بواجب الدعوة إلى الله للناس مسلمين وغير مسلمين، وهم -أي غير المسلمين- يتفاوتون لاختلاف أحوالهم وثقافتهم، وخبراتهم وميولهم؛ ودعوتهم تكون بالحكمة والأسلوب المناسب الذي يقدم الإسلام بصورته الحقيقية بلا إفراط أو تفريط، بل على منهج الوسطية والاعتدال الذي قامت عليه الدعوة الإسلامية، فغير المسلمين على أصناف متعددة ولهم أحوال مختلفة وخلصتها فيما يأتي:

أ- صنف جاهل لا يعرف عن الإسلام شيئاً أو هو منفتح لا يرفض عرض الدعوة عليه ولديه استعداد لتقبلها، وربما انشرح صدره لقبول الإسلام إذا أراد الله له الهداية والرشاد كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

وهذا الصنف من الناس هو الحقل الأنسب للدعوة لأنه يمثل أرضاً خصبة للدعوة، ويكثر وجود هذا الصنف في الدول التي توجد بها أقليات إسلامية.

ب- صنف جاهل لا يعرف الإسلام، إلا إنه يرفض التعرف عليه ابتداءً تعصباً لما هو عليه من دين أو مذهب ولو كان باطلاً حرصاً على تحقيق أهوائه ومصالحه، أو استجابة لنوازع كبره ورغبته في الفجور، وهذا يحتاج إلى الحكمة في دعوته.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

ج- صنف جاهل خالي الذهن من المعرفة الدينية، فهم كالأنعام بل هم أضل ودعوتهم كذلك تكون بشرح تعاليم الإسلام لهم وأنه لا حياة هائلة ولا سعادة بغيره.

د- صنف عالم بأسس الإسلام وعقائده، عالم أنه حق إلا أنه جاحد له ظلمًا وعدوانًا، ويتعامل الدعاة معه بكف شره، ومنع ضرره عن المسلمين، والعمل على الحد من إضلاله.

٣- مساهمة طلاب المدارس في نشر الإسلام في وسط غير المسلمين من دولهم الأصلية.

من بين آثار طلاب مدارس الجاليات الخيرية قيام بعضهم بنشر الإسلام في أوساط غير المسلمين في دولهم الأصلية انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١). والأمة هي طائفة عالمة حيث أمر الله المسلمين أن يكون من بينهم جماعة تتخصص في الدعوة إلى الخير إذ تعلم المعروف وتأمُر به، وتدرِك المنكر وتنهى عنه، وتصدير الآية بلام الأمر يفيد وجوب إيجاد هذه الفئة العالمة لتبليغ الدعوة، وقد ربي الرسول أصحابه على الحق واختار منهم من يصلح للدعوة وبعثهم إلى عدد من الشعوب يدعونهم إلى الله تعالى.

ومن المعلوم أن واجب تبليغ الدعوة لا يتم إلا بواسطة الدعاة، وهذا دليل على وجوب إعدادهم، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما أن سؤال الله للناس في الآخرة يقتضي تبليغ دين الله إليهم والدعوة لا تبلغ وحدها فلزم وجود دعاة يحملونها ويبلغونها للعالمين، ومن هؤلاء الدعاة بعض طلاب مدارس الجاليات الخيرية.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

ولئن كانت الحاجة إلى الدعوة الأكفاء ملحة دائما فإن هذه الحاجة الآن أشد ليتعلم المسلمون ما جهلوا من دينهم، وحتى يمكن مواجهة خطر التيارات المادية التي اتسع نشاطها بواسطة دعاة المذاهب البشرية، والنحل المحرفة الذين دربوا على الترويج لباطلهم في ذكاء واضح، وخطة مدروسة وهدف محدد، وليس بجائر أبدا أن يضعف صوت الحق أمام الهوى، وتذاع الشبهات الملحدة في الناس ولا تجد من يتصدى لها ويهدمها بالحجة والبيان، إن إعداد الدعوة واجب يلتزم به المسلمون، وعلى الأمة أن تقوم به أداء لواجب الدعوة، ووفاء للأمانة التي لزمتمهم.

المبحث الرابع آثارها على الأمة الإسلامية

المطلب الأوّل

آثارها في النهوض بالأمة الإسلامية علمياً وعملياً

- ١- المدارس هي أساس ولبنات بناء المجتمع المسلم ورفعته شأن الأمة. المدارس هي لبنة وأساس وبذرة يانعة في صرح الأمة الإسلامية، وهي بلا شك تسهم في رفعة شأن الأمة وتترك آثاراً طيبة في المجتمعات الإسلامية، سواء داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها، وذلك لأسباب من أهمها ما يأتي:
 - ١- أن المدعوين حاضرون وبأعداد هائلة، وهذا يختصر الوقت والجهد فلا تعب في البحث عنهم وتجميعهم لدعوتهم، بخلاف ما لو كانوا في أماكن عديدة.
 - ٢- كونهم بأعداد هائلة في هذه المدارس يسهل إمكانية الاستقطاب والاصطفاء، خاصة وأن هذه الفئة هي أهم فئات المجتمع في كل الدول، فالشباب أكثر طاقة وحيوية، وهم قادة المجتمع في المستقبل، بخلاف كبار السن ونحوهم.
 - ٣- سرعة استجابتهم وتغيرهم وذلك بحكم السن؛ سن تقبل النصح والرغبة في التغيير للأفضل.
 - ٤- كذلك ما يحظى به المعلم من احترام وتقدير من طلابه يفتح المجال رحباً للتأثير عليه، وخير من يمارس هذه المهمة هم المعلمون الدعاة.
 - ٥- توفر الإمكانيات والتسهيلات في المدارس الحكومية أو المدارس الأهلية أو الشرعية والتي لا تتوفر في غيرها إلا بكل مشقة وعناء.

٦- قوة استجابة أولياء الأمور وارتياحهم ودعمهم لمن يساعدهم في تربية أبنائهم، ويحمل عنهم هذا الحمل الكبير.

إن وجود الاستجابة السريعة والتغير الملاحظ في الطلاب يعتبر من عوامل الاستمرار والتفاعل من قبل المعلم الداعي، وبهذا يستطيع المعلم أن يكون شخصية علمية من الطلاب تقاوم الفساد وتنشر الصلاح بين المجتمعات، خاصة وأن تأثير بعض الأنشطة الطلابية يمتد إلى خارج نطاق المدرسة ويتعداه إلى المجتمع أيضاً.

٢- إسهام هذه المدارس في تحقيق خيرية الأمة من خلال الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أشرف الأعمال، والقائمون هم صفوة الأمة، وهم أصحاب الخيرية والدعوة، ومن سمات المجتمع الخير الفاضل أن يسود فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما بين ذلك المولى - جل وعلا- في محكم التنزيل بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

وتسهم مدارس الجاليات الخيرية عبر طلابها في تحقيق هذه السمة في المجتمعات التي ينتمون إليها، خاصة فيما يتعلق بإقامة الدين والدعوة إليه، وهذا هو جهاد الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ودعوتهم، وهو إقامة الضرورة الأولى من الضرورات الخمس، وهذا بعينه هو الأمر بالمعروف؛ فالدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده وما ينبغي له، والدعوة إلى طاعته، وامثال أوامره، وإقامة عبوديته

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

من عبده على أرضه، وتحمل الأذى في سبيل ذلك، والجهاد بالمال والنفس في سبيل تحقيق ذلك، هذا هو الأمر بالمعروف، وهذا حفظه في جانب الوجود. الثاني: يتعلق بحفظ الدين وإحاطته، ونبذ ما يخالفه في العقيدة والشريعة من شركيات وبدع وخرافات وأمور محرمة، وهذا هو النهي عن المنكر، وهذا حفظه في جانب العدم.

ومن آثار إسهام طلاب مدارس الجاليات الخيرية في تحقيق خيرية المجتمعات: تحكيم شرع الله في الأمم والشعوب عبر الرجوع إلى الكتاب والسنة، وتكوين العلاقات الشخصية مع أفراد مجتمعاتهم والتي تؤدي إلى تقويم سلوك الفرد وتوجيهه نحو الإسلام توجيهاً سليماً. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُعد ضرورة لا بد منها لصالح المجتمعات واستقامتها؛ فهو يحفظ الضرورات الخمس من جانب الوجود والعدم.

٣- مساهمة هذه المدارس في تأهيل جيل الدعوة، من الشباب المسلم الواعي الذي يملك هم النهوض بالأمة الإسلامية.

المدارس والجامعات تقوم بأعمال مهمة للغاية، ويكيفها أنه لا يمكن لأي إنسان في زماننا أن يكون له شأن ونفوذ في الحياة العامة من غير أن يتلمذ فيها أو يقتبس شيئاً مما لديها، ونظراً لتغير كثير من التحديات التي تواجه الأجيال الجديدة؛ فقد بات من المهم جداً العمل على تأهيل الطلاب وبناء رؤية شاملة لديهم للحياة، تنطلق من أفق معتقداتنا ومبادئنا، ثم مما تراكم لدى العالم اليوم من خبرات تربوية وعلمية قيمة^(١).

(١) انظر: عبد الكريم بكار، بناء الأجيال، ص ٢٠٩ بتصرف واختصار مني.

ولقد اهتم الدين الإسلامي بقضية بناء الإنسان وتأهيله، فهو الذي استخلفه الله تعالى على الأرض، وهو الذي يتلقى تعاليمه بما أودعه الله فيه من العقل، وبما كرمه الله تعالى به عن سائر المخلوقات.

وعميلة بناء الإنسان هي قضية العمل الدعوي والتربوي، فليس من مهمات التربية حشو ذهن الناشئ بأطراف المعرفة فيختزنها إلى أن يطلب منه أن يستظهرها فيما يسمى بالامتحان، وإنما هي بالدرجة الأولى عملية تنمية الشخصية الإنسانية بما يكفل خير الجماعة وخير الفرد في الآن نفسه، وهي بهذا المعنى تتطلب أن نأخذ بعين الاعتبار سائر قوى الإنسان ومكوناته بالتهذيب والترتيب^(١).

ومن خلال هذه المنطلقات استطاعت مدراس الجاليات الخيرية إعداد جيل مسلم بمواصفات عالية، قادر على الفهم والإدراك لكل ما يدور حوله، متمكن في مادته العلمية خاصة وأن بعض الدول الإسلامية تشهد اليوم نوعاً من الإقصاء للعلوم الشرعية، وكثيراً ما تحولت بعض العلوم إلى أبواب للشر وتحويل الفضائل على رذائل، والميزات إلى سلبيات لا لشيء سوى أنها فقدت سمة التوسط والاعتدال في تعليمها، حيث يتخرج كثير من الطلاب وليس لديهم حصيلة علمية تنفعهم في دينهم ودنياهم، مما يجعل مساهمة هؤلاء الطلاب في المسار التعليمي يترك أثاراً حميدة على المسلمين في كل مكان.

(١) انظر: سعيد إسماعيل علي، الفكر التربوي الإسلامي وتحديات المستقبل، ص ٧٩.

المطلب الثاني

آثارها في تحسين صورة المسلمين في الخارج

١- تمثيل خريجي هذه المدارس الإسلام في دولهم وأثر ذلك في تحسين صورة المسلمين.

أ- انتشار الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الابتداع، وإظهار المسلمين لدينهم خاصة في بعض الدول غير الإسلامية كدولة ميانمار، وبعض الدول الأفريقية كغانا، وغامبيا وغيرهما.

ب- توضيح تعاليم الدين وتوجيه الناس لما ينفعهم، وترجمة معاني القرآن الكريم والسنة النبوية والكتب العلمية إلى لغات ولهجات عديدة.

ج- تعليم أبناء المسلمين العلوم الشرعية واللغة العربية.

د- القيام بواجب الدعوة إلى الله وذلك عبر الوسائل والأساليب الصحيحة من خلال المساهمة في تكوين أبناء المسلمين تكويناً علمياً.

هـ- إسلام بعض الناس على يدي بعض هؤلاء الطلاب.

و- محاربة الأفكار الهدامة والملل المنحرفة وهداية الحيارى من أبناء المسلمين وفق منهج الدعوة القويم.

ز- إنشاء المعاهد الشرعية والمدارس العربية، وإدارة بعض المدارس والمشاركة في نشاطات الجمعيات والمؤسسات الإغاثية وبين أوساط اللاجئين المسلمين.

ح- تولي بعض الأعمال الهامة كالقضاء الشرعي، والإفتاء، والإرشاد والتوجيه، والإمامة والخطابة، وتعليم كتاب الله، والإشراف على المناهج العلمية لمدارس أبناء المسلمين.

٢- مشاركة بعض خريجي هذه المدارس في المؤتمرات والملتقيات العالمية الداعية إلى الحوار، وأثر ذلك في تحسين صورة المسلمين.

ليس تقصي جهود طلبة مدارس الجاليات الخيرية بمكة مقصوداً بحد ذاته، وإنما الغرض بيان شيء من آثارهم الدعوية، وجهودهم الخيرة في نشر العلم والدعوة إليه.

ومن هذه الآثار:

١- صفاء العقيدة وسلامة المعتقد لدى الخريجين منها حيث أن مدارس الجاليات الخيرية قائمة على مناهج التعليم العام في المملكة العربية السعودية والتي يتعلم من خلالها الطالب العقيدة الصحيحة من منابعها الأصلية زماناً ومكاناً خاصة في رحاب البلد الحرام ومن جوار بيته العتيق.

٢- دعوة عموم المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

ولهذا المنهج آثار إيجابية على مسار الدعوة إلى الله في البلاد الإسلامية بل

وفي غيرها فهي صالحة لكل عصر ومصر وفق المنهج القويم.

٣- الجمع بين الأصالة والمعاصرة في دعوة هؤلاء الطلاب، حيث إن

منهم من يلتحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعد إكمال المرحلة الثانوية، حيث يقومون بدعوتهم على أساس هداية الناس، وشأنهم في دعوتهم النصح للراعي والرعية ورحمة العباد مسلمهم وكافرهم.

٤- قدرتهم على حل ما يعرض لهم من مشكلات أو عقبات في الدعوة إلى

الله تعالى، ودعوتهم لنبذ التحزب والعصبيات والتي تؤدي لانحراف دعوتهم عن مسارها الصحيح وتفكك المجتمعات وبث الفتن فيما بينهم^(٢).

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) للاستزادة حول آثار خريجي مدارس المملكة العربية السعودية وجامعاتها ينظر: عبد الله العبود، جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله في الخارج، ٢/ ٨٩٢.

الخاتمة

خاتمة الكتاب

الحمد لله واسع الفضل والجود، عظيم الحمد والامتنان الواحد المعبود،
أحمده تعالى على إنعامه، وأشكره جل وعلا على فضله وإحسانه، لا راد لفضله،
ولا معقب لحكمه سبحانه وأثني عليه الخير كله، فهو أهل للحمد والثناء
والشكر، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع
وأصلي وأسلم على من جاء رحمة للعالمين، النبي المصطفى، والرسول
المجتبى، محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. أما بعد:
فإني أحمد الله تعالى وأشكره على فضله، على ما من به علي بإتمام هذا
البحث والذي كان بعنوان (مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة وأثرها في
الدعوة إلى الله)، من أجل الوصول إلى رؤية مطورة لواقع هذه المدارس، وفي
حدود ما تتيحه الدراسة من نتائج.

أولاً: خلاصة البحث:

تناول البحث العديد من المسائل، والمفاهيم، المتعلقة بمدارس الجاليات
الخيرية، من حيث بيان المقصود منها، وبيان تعريف الدعوة لغة واصطلاحًا
ومكانتها وأهميتها وارتباط العلم الشرعي بالدعوة إلى الله.
كما تناول البحث في فصله الأول عن عناية الإسلام بالجاليات الإسلامية
مع بيان جهود المملكة العربية السعودية في رعايتهم ودعوتهم، ثم أبان في
الفصل الثاني عن نشأة مدارس الجاليات الخيرية وأهداف تأسيس هيئة الإشراف
على مدارس الجاليات الخيرية وماهية نظامها، وأنواع الجاليات الإسلامية
المقيمة بمكة المكرمة مع بيان جهود المملكة في تعليمهم وإرشادهم.
أمَّا الفصل الثالث فقد أوضح أبرز وسائل الدعوة المستخدمة في مدارس
الجاليات الخيرية، ثم الفصل الرابع فيه بيان لأبرز المشكلات التي تواجه هذه

المدارس، وتفصيل القول فيها مع بيان السبل التربوية والدعوي التي يستطيع القائمون على هذه المدارس تلافيها أو التخفيف من آثارها على الطلاب. أما الفصل الخامس ففيه بيان لآثار هذه المدارس الدعوية على المجتمع المكي وعلى مجتمعاتهم، وعلى الأمة الإسلامية جمعاء. وقد توصلت من خلال الدراسة إلى العديد من النتائج التي أرجو من الله التقدير أن ينفع بها، وفيما يلي أهم النتائج.

ثانياً: نتائج البحث:

توصلت إلى جملة من النتائج، وكان من أبرزها:

- ١- أهمية ارتباط التربية التعليمية بالعقيدة الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة، وتبني السياسية التعليمية للمملكة نشر الدعوة إلى الله بين المسلمين، وحب الجهاد في سبيل الله، مع مراعاة التدرج في الدعوة إلى الله مع الطلاب، وتأهيلهم في شتى مناحي الحياة تأهيلاً شاملاً.
- ٢- تعد مدارس الجاليات الخيرية من المحاضن الدعوية التي تقوم بدور دعوي هام في أوساط الجاليات الإسلامية بمكة المكرمة وخارجها، مما يستدعي دعمها بكل الوسائل والسبل المادية والمعنوية لما لها من آثار عظيمة على الفرد والمجتمع والأمة الإسلامية.
- ٣- اعتناء حكومة المملكة العربية السعودية بتعليم أبناء الأمة الإسلامية، داخل المملكة وخارجها انطلاقاً من دستورها ونظامها القائم على القرآن عقيدة ومنهاجا.
- ٤- توصلت من خلال رسالتي إلى أن القيام بالدعوة إلى الله في أوساط الجاليات الإسلامية وتعاهدهم بالعناية والرعاية، والبذل والنصح، يخفف من معدل الجريمة بينهم، ويسهم في دعم سوق العمل المحلي، وإعداد جيل جديد من الدعاة المصلحين بإذن الله.

٥- انتهى البحث إلى أن الصعوبات التي تواجه استمرار مدارس الجاليات الإسلامية تتمثل في إيجاد مظلة رسمية تضم جميع المدارس تحت إشراف ودعم وزارة التربية والتعليم، وكفالة المعلمين والمباني المدرسية لتقوم هذه المدارس بواجبها المنشود تجاه منسوبيها.

٧- يغلب على طلاب مدارس الجاليات الخيرية الفقر والحاجة مما يستدعي وضع برامج وخطط لدعم هؤلاء الطلاب عبر المؤسسات الحكومية وغير الحكومية لكي لا يتسربوا من مقاعد الدراسة ويكونوا فيما بعد بيئة خصبة للانحراف والجريمة.

٨- تعتبر البيئة الاجتماعية لمجتمع الطلاب من أشد العوامل المؤثرة في انحراف كثير منهم، لشدة ارتباط بعض أبناء هذه الجاليات بأحيائهم، وقلة اختلاط بعضهم بباقي الأحياء مما يسبب لهم الكثير من المشكلات الاجتماعية.

٩- توصلت من خلال البحث إلى ضرورة ضم جميع مدارس الجاليات الخيرية تحت إشراف هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، لكي لا تضيع جهود بعض المصلحين سدى، ولكي يكون لمدارس الجاليات الخيرية جهة إشرافية واحدة يتحقق من خلالها سد حاجات هذه المدارس لدى الجهات المختصة.

١٠- يعد إقبال أبناء الجاليات الإسلامية على التعليم، وحفظ القرآن الكريم رغم ظروف بعضهم الخاصة، وقلة رغبة بعض الآباء في التحاق أبناءهم بهذه المدارس حافزاً هاماً للاستفادة المثلى من قدراتهم، وتقديم العون المناسب لهم بالطرق التربوية الحديثة، أو دمجهم مع مدارس التربية والتعليم ليتمكنوا من إكمال دراستهم في الجامعات السعودية أسوة بزملائهم في المدارس الأخرى.

ثالثاً: توصيات البحث:

في ضوء نتائج الدراسة ظهر لي مقترحات عدة أوصي بها في نهاية هذا البحث أهمها ما يأتي:

١- أوصي بالمزيد من الدراسات الدعوية الميدانية المتعمقة والخاصة بمدارس الجاليات الخيرية في مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة، والتي لا تخضع حالياً لإشراف هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، وتناولها بالدراسة المتخصصة لمساعدتها على إتمام عملها على أكمل وجه.

٢- عقد اللقاءات العامة والمؤتمرات في الجامعات السعودية كجامعة أم القرى والجامعة الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لبحث المشكلات والعقبات التي تواجه بقاء هذه المدارس، والمساهمة في تخفيف آثارها على القائمين على هذه المدارس المباركة.

٣- أن يضاف إلى مناهج ومقررات مدارس الجاليات الخيرية مواد متخصصة عن الدعوة إلى الله خاصة في المراحل العليا، المتوسطة والثانوية، مع ضرورة إنشاء كليات متخصصة ومعاهد مهنية لتضم هذا العدد الكبير من الطلاب.

٤- التأكيد على دور وزارة الشؤون الاجتماعية في توفير أنواع من الدعم لصالح هذه المدارس عبر تغيير مسمى هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية إلى جمعية الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية أسوة بباقي الجمعيات الخيرية.

٥- أن يتم التنسيق بين هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية وبين بعض الجهات العالمية كرابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي،

والندوة العالمية للشباب الإسلامي وذلك لتبني هذه المدارس، والإشراف على التعليم فيها، مع توفير منح دراسية للموهوبين من أبنائها.

٦- تعاهد العلماء والمشايخ في المملكة العربية السعودية لهذه المدارس بالزيارة والنصح والإرشاد للقائمين عليها، ومكاتبة ذوي الحظوة والشأن للإسهام في دعم مناشطها، ودورها الفعال في نشر الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧- إضفاء الصبغة الرسمية لهيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية كباقي الهيئات والجمعيات الخيرية لتتمكن من تسجيل الأوقاف تحت مسمائها، وتستطيع فتح حسابات مصرفية تستقبل من خلالها تبرعات المحسنين تحت إشراف الجهات الرقابية المختصة.

٨- ضرورة مشاركة القطاع الخاص في إعداد معاهد تدريب مهنية للخريجين من أبناء هذه المدارس، ليكونوا نواة ليد عاملة قوية وأمينة تخدم مصالح البلاد، وترعى شؤون العباد بكل ثقة ومهنية.

٩- وضع الحلول المناسبة للعقبات التي تواجه مدارس الجاليات الخيرية أمام المختصين والتربويين لمناقشتها بكل شفافية، مع أهمية إلحاق المعلمين بدورات تأهيلية، وتزويدهم بالقدر الكافي من العلوم الإدارية والتربوية ليستطيعوا من خلالها معالجة بعض السلبيات الإدارية الموجودة في مدارسهم.

١٠- أوصي بتناول الجهود الدعوية لمدارس الجاليات الخيرية الخاصة بالبنات في رسائل علمية مستقلة، على أن تتناولها باحثة متخصصة في الدعوة إلى الله لتبين أهم آثارها، ودورها في تعليم الفتيات، وإعدادهن.

وإنني في نهاية هذه الرسالة أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع بهذا العمل كاتبه وقارئه،

وأن يجعل ما فيه حجة لي لا علي، وأن يحسن لنا ولجميع المسلمين العاقبة في الدنيا والآخرة، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ أو خلل فمني ومن الشيطان، فاللهم تجاوز عني خطي وزللي، وكل ذلك عندي، واغفر لأبي وتغمده برحمتك وسائر أهلي وجميع المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

١. إبراهيم الطخيس، دراسات في علم الاجتماع، الرياض، دار العلوم للطباعة، الرياض، ١٩٨٣م.
٢. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، بيروت ودار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٣. إبراهيم بن رفعت باشا، مرآة الحرمين، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٤٤هـ.
٤. إبراهيم بن صالح اللحيدان، مواصفات الترجمة المعدة للاستعمال في الدعوة إلى الله، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية في موقع المجلس.
٥. إبراهيم بن عبد العزيز الغصن، الوقف مفهومه وفضله وأنواعه، ضمن البحوث العلمية للمؤتمر الأول للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، والمنعقد في شعبان ١٤٢٢هـ، جامعة أم القرى.
٦. إبراهيم بن عبد الله السماري، الإبداء في الدعوة الإسلامية، أسس وضوابط، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.
٧. إبراهيم بن عبدالله السماري، إنجازات المملكة في خدمة الإسلام والمسلمين الإنجازات الخارجية، الرياض، دار الملك عبد العزيز ١٤١٩هـ.
٨. إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، شرحه وخرج أحاديثه: محمد عبدالله دراز، دار الكتب العربية، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
٩. أبو الفتوح رضوان وآخرون، المدرس في المدرسة والمجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.
١٠. أبو بكر ذكرى، الدعوة إلى الإسلام، القاهرة، ط١، دار الرشاد، ١٤٢٠هـ.

١١. أحزمي سامعون جزولي، الهجرة في القرآن الكريم، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٧هـ.
١٢. أحمد الحمد، التربية الإسلامية، دار اشيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٣. أحمد الدريوش، المملكة العربية السعودية والعمل الإغاثي حقائق وأرقام، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٢هـ.
١٤. أحمد السباعي، تاريخ مكة، ط٨، ١٤٢٠هـ.
١٥. أحمد الفيومي، المصباح المنير، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
١٦. أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٧. أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ.
١٨. أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة، مكتبة الباز، ١٤١٤هـ.
١٩. أحمد بن حنبل، المسند، شارك في التحقيق مجموعة من العلماء بإشراف عبد الله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ.
٢٠. أحمد بن زكريا بن فارس، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢١. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، العبودية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ.
٢٢. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٦هـ.

٢٣. أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، منهاج السنة النبویة فی نقض کلام الشیعة القدیریة، تحقیق: محمد رشاد سالم، الریاض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامیة، ١٤٠٦هـ.
٢٤. أحمد بن عبد الله محب الدين الطبري، القرى لقاصد أم القرى، بيروت، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٠هـ.
٢٥. أحمد بن عبد الحلیم تیمیة، الفرقان بین أولیاء الرحمن وأولیاء الشیطان، بیروت، دار الکتب العلمیة ط ٣، ١٤٠٧هـ.
٢٦. أحمد بن عطیة الله، القاموس السیاسی، القاهرة، دار النهضة العربیة، ط ٣، ١٩٦٨م.
٢٧. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، بیروت، دار الکتب العلمیة، ط ١، ١٤١٨هـ.
٢٨. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بیروت، دار الفكر، ط ٢، ١٤١٦هـ.
٢٩. أحمد بن فرح الخطيب وآخرون، دليل البحث والتقويم التربوي، القاهرة، دار المستقبل، ١٩٩٥م.
٣٠. أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقیق: إحسان عباس، مكة، دار الثقافة، ط ١، ١٩٦٨م.
٣١. أحمد رضا، معجم متن اللغة، بیروت، مكتبة دار الحياة، ط ٢، ١٩٦٠م.
٣٢. أحمد غلوش، الدعوة الإسلامیة أصولها ووسائلها، القاهرة، دار الكتاب المصری، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
٣٣. إدارة لجنة مدارس الأفارقة بمكة المكرمة، ١٤٢٧هـ، تقرير المدارس الخیریة للأوقاف بمكة المكرمة.
٣٤. أسماء بنت أبو بكر محمد، المسلمون في دوائر النسيان، دعوة الحق،

- سلسلة شهرية تصدر عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامية،
١٤٠٥هـ.
٣٥. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عطار، بيروت
دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
٣٦. إسماعيل بن كثير بن ضوء القرشي، البداية والنهاية ومعه نهاية البداية
والنهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: صديقي محمد جميل العطار،
بيروت، دار الفكر، ط ٢، ١٤١٩هـ.
٣٧. إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر، ط ١،
١٤١٨هـ.
٣٨. أكرم بن ضياء العمري، الإسلام والوعي الحضاري، جدة، دار المنارة،
١٤٠٧هـ.
٣٩. أميرة مداح، دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة المكرمة
خلال القرن العاشر الهجري، بحث مقدم إلى ندوة: مكة المكرمة عاصمة
الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ، والمنعقد خلال الفترة من ١٣-
١٥/٨/١٤٢٦هـ جامعة أم القرى.
٤٠. بدر الدين بن جماعة الكناني، تذكرة السامع في أدب العالم والمتعلم،
تحقيق السيد محمد الندوي، عمان، الأردن، دار المعالي، ط ٣، ١٤١٩هـ.
٤١. بدران أبو العينين بدران، دراسات حول القرآن، الإسكندرية، مؤسسة
شباب الجامعة بدون رقم وتاريخ الطبعة.
٤٢. بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير وبحوث قيادية أخرى، جدة، دار
حافظ للنشر، ط ١، ١٤١٤هـ.
٤٣. توفيق الواعي، الدعوة إلى الله: الرسالة الوسيلة الهدف، مصر، دار اليقين،
ط ٢، ١٤١٦هـ.

٤٤. جامعة أم القرى، بحوث الندوة العلمية الكبرى المقامة بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، مكة المكرمة، ط ١.
٤٥. جلال عبدالوهاب، النشاط المدرسي: مفاهيمه ومجالاته وبحوثه، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٩٣م.
٤٦. حسن أحمد عابدين، حقوق الإنسان وواجباته في القرآن، دعوة الحق، سلسلة شهرية تصدر عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
٤٧. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط الأخيرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ.
٤٨. حمد إبراهيم الحيدري، مجالات الوقف ومصارفه في القديم والحديث، في ندوة الوقف في الشريعة الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد، الرياض، ١٤٢٣هـ.
٤٩. حمد بن إبراهيم السلوم، الإدارة التعليمية في المملكة العربية السعودية، الكتاب الثاني، تطور التعليم، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٥٠. حمد بن ناصر العمار، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، الرياض، دار أشبيليا، ط ١، ١٤١٦هـ.
٥١. حمد بن ناصر العمار، إعداد الداعية في سورة فصلت، الرياض، دار إشبيليا، ط ٢، ١٤١٩هـ.
٥٢. حمد بن ناصر العمار، الدعوة، ط ١، دار كنوز أشبيليا، الرياض، ١٤٢٥هـ.
٥٣. حمود بن أحمد الرحيلي، أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، الرياض، دار العاصمة، ط ١، ١٤١٤هـ.

٥٤. خالد الخميس، الدعوة إلى الله في دور الملاحظة الاجتماعية، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٢٩ هـ.
٥٥. خالد العمير، حقوق الإنسان في النظام الأساسي للحكم، دراسة تحليلية من منظور جاني، جامعة الملك سعود، سلسلة تصدر بمناسبة مرور ٢٠ عاما على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مقاليد الحكم، ١٤٢٢ هـ.
٥٦. خالد القرشي، صور من علاقة الوقف بالدعوة إلى الله مقارنة بين الماضي والحاضر، ضمن البحوث العلمية للمؤتمر الأول للأوقاف بالمملكة العربية السعودية والمنعقد في شعبان ١٤٢٢ هـ، جامعة أم القرى.
٥٧. خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، المدينة، مكتبة دار الزمان، ط ٢، ١٤٢٦ هـ.
٥٨. خالد سعيد الجضي، الإدارة: النظريات والوظائف، ط ١، ١٤٢٧ هـ، حقوق الطبع للمؤلف.
٥٩. خليل عبدالله حدري، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، مكة، جامعة أم القرى، ط ١، ١٤١٨ هـ.
٦٠. خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٣ م.
٦١. دار الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية في مائة عام، بحوث ودراسات، خدمة الإسلام، ١٤٢٨ هـ.
٦٢. الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان: التوسعة والخدمات خلال مائة عام، ط ١، ١٤١٩ هـ.
٦٣. رابطة العالم الإسلامي، قرارات المجمع الفقهي الإسلامي، الدورة السابعة المنعقدة في الفترة من ١٩-٢٣/١٠/١٤٢٤ هـ، مكة المكرمة.
٦٤. ربيع بن هادي مدخلي، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة

- والعقل، عجمان، مكتبة الفرقان، ط ٢، ١٤٢١هـ.
٦٥. رفيق حميد السامرائي، النظام الاجتماعي في الإسلام، الدمام، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٥هـ.
٦٦. زيد عمر العيص، الرعاية السعودية للأقليات الإسلامية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله، النشر العلمي والمطابع، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٢٣هـ.
٦٧. سالم مهدي محمود، الأهداف السلوكية، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٧م.
٦٨. سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، الشارقة، مكتبة الصحابة، ط ١، ١٤١٩هـ.
٦٩. سعد الدين هلال، أهمية ودور الجهات المانحة غير الحكومية في مجال العمل الاجتماعي ومكان الوقف منها، ضمن البحوث العلمية في المؤتمر الثاني للأوقاف بالمملكة العربية السعودية والمنعقد في الفترة من ١٨ - ٢٠ ذو القعدة، ١٤٢٧هـ.
٧٠. سعيد إسماعيل علي، الفكر التربوي الإسلامي وتحديات المستقبل، دار السلام، مصر، ط ١، ١٤٢٧هـ.
٧١. سعيد بن علي مانع، التوجيه والإرشاد النفسي للجاليات والأقليات الإسلامية في العالم، جامعة أم القرى، مكة المكرمة. ١٤١١هـ.
٧٢. سعيد بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله، ط ١، مطبعة سفير، الرياض، ١٤١٢هـ.
٧٣. سليم هاني منصور، الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية ضمن البحوث العلمية للمؤتمر الثاني للأوقاف بالمملكة العربية السعودية والمنعقد في الفترة من ١٨ - ٢٠ ذو القعدة ١٤٢٧هـ جامعة أم القرى.

٧٤. سليمان عبدالرحمن الحقييل، نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، حقوق الطبع للمؤلف، ط ٥، ١٤٢٤هـ.
٧٥. سليمان عبدالرحمن الحقييل، حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، حقوق الطبع للمؤلف، ط ١، ١٤٢١هـ.
٧٦. سليمان عبدالرحمن الحقييل، معالم السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية ودور مناهجها في إشاعة ثقافة السلام والتسامح في نفوس الطلاب، ط ١، ١٤٢٤هـ.
٧٧. سماح الحربي، الأسرة وصعوبات التعلم، الواقع والتحديات والحلول التربوية، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٧هـ.
٧٨. سمير الشاعر، إحياء فكر الواقف ضمن البحوث العلمية لمؤتمر الأوقاف الثاني بالمملكة العربية السعودية والمنعقد في الفترة من ١٨-٢٠ ١٤٢٧هـ، جامعة أم القرى.
٧٩. سيد عبدالمجيد بكر، الأقليات المسلمة في إفريقيا، دعوة الحق، سلسلة شهرية تصدر عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامية، السنة الثامنة، العدد ٩٦، ١٤١٠هـ.
٨٠. صالح بن عبد الله العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٨١. صالح بن غانم السدلان، الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، الرياض، دار بلنسية، ط ١، ١٤١٧هـ.
٨٢. صالح بن فوزان الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ط ١، ١٤٢٤هـ.
٨٣. صالح بن فوزان الفوزان، محاضرات في العقيدة، الرياض، دار العاصمة

- لنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ.
٨٤. صالح عبد الله كامل، دور الوقف في النمو الاقتصادي، ندوة نحو دور تنموي للوقف، مركز أبحاث الوقف، القطاع الوقفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٩٩٣م.
٨٥. صبحي عبده سعيد، الإسلام وحقوق الإنسان، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
٨٦. صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٧٨م.
٨٧. طارق عبدالرؤف عامر، إعداد معلم المستقبل، الجيزة، الدار العلمية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨هـ.
٨٨. الطاهر أحمد الزواوي، ترتيب القاموس، بيروت، دار الفكر، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
٨٩. عبدالرحمن السيوطي، طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤١٧هـ.
٩٠. عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، الإيمان والرد على أهل البدع، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٢هـ.
٩١. عبدالعزيز التويجري، المملكة العربية السعودية والعمل الإسلامي المشترك بحث منشور ضمن سلسلة بحوث ودراسات المملكة العربية السعودية وجهودها في خدمة الإسلام ضمن مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ عام،
٩٢. عبدالكريم بكار، بناء الأجيال، الرياض، المنتدى الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٩٣. عبدالرب نواب الدين، مدخل إلى علم الدعوة، الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤١٣هـ.
٩٤. عبدالرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق، دار الفكر، ط٣، ١٤٢٥هـ.
٩٥. عبدالرحمن بن زيد الزيندي، السلفية وقضايا العصر، الرياض، دار اشبيليا، ط١، ١٤١٨هـ.
٩٦. عبدالرحمن بن زيد الزيندي، تطبيق الشريعة في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة، الأمانة العامة للاحتفال بممرور مائة عام على تأسيس المملكة، ط١، ١٤١٩هـ.
٩٧. عبدالرحمن بن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الدمام، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٥هـ.
٩٨. عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤١٧هـ.
٩٩. عبدالرحمن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٠هـ.
١٠٠. عبدالرحمن سعيد الحازمي، التوجيه الإسلامي لأصول التربية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٤هـ.
١٠١. عبدالرحمن صالح عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار البشير، عمان، ط٣، ١٤٢٢هـ.
١٠٢. عبدالرحمن عبدالله الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، الرياض، دار أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٠٣. عبدالرحمن عدس وآخران، البحث العلمي: مفهومه أدواته أساليبه،

- الرياض، دار أسامة للنشر، ط٢، ٢٠٠٥م.
١٠٤. عبدالرحمن محمد الفارس، المعلم الداعية، الدمام، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٠٥. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ.
١٠٦. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، دور ترجمات معاني القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٢٣هـ.
١٠٧. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، الدعوة وصلتها بالحياة، الرياض، مكتبة الرشد، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
١٠٨. عبدالرزاق عبدالمحسن البدر، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، الرياض، دار كنوز اشبيليا، ط٢، ١٤٢٧هـ.
١٠٩. عبدالعزيز السندي، المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية، ضمن الأبحاث المقدمة إلى الندوى الكبرى المقامة بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ خلال الفترة من ١٣ - ١٥ / ٨ / ١٤٢٦هـ.
١١٠. عبدالعزيز المهنا، الدروس العلمية في المملكة العربية السعودية، الرياض، دار الحميضي، ط١، ١٤١٢هـ.
١١١. عبدالعزيز بن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، الرياض، مكتبة دار اليقين، ط١، ١٣٩٥هـ.
١١٢. عبدالعزيز بن محمد النغمشي، علم النفس الدعوي، الرياض، دار المسلم، ط١، ١٤١٥هـ.

١١٣. عبدالعزيز عثمان التويجري، الجاليات والمؤسسات الإسلامية ودورها في إبراز صورة الإسلام، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسسكو، ١٤٢٤هـ.
١١٤. عبدالعزيز محمد سندي، الإحكام في حقوق الإنسان في الإسلام، مكة، مطابع الحميضي، ط١، ٢٠٠٥م.
١١٥. عبدالقادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ.
١١٦. عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، مكتبة المنار الإسلامية، بدون، ١٤٠١هـ.
١١٧. عبدالله الأحسن، منظمة المؤتمر الإسلامي، دراسة لمؤسسة سياسية إسلامية، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ.
١١٨. عبدالله الزهراني، أئمة المسجد الحرام ومؤذنه في العهد السعودي، مكة، مطابع بهادر، ط٢، ١٤١٩هـ.
١١٩. عبدالله السدحان، توجيه مصارف الوقف نحو تلبية احتياجات المجتمع، ضمن البحوث العلمية للمؤتمر الثاني للأوقاف بالمملكة العربية السعودية والمنعقد في الفترة من ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٧هـ. جامعة أم القرى.
١٢٠. عبدالله الغازي المكي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٠هـ.
١٢١. عبدالله بغداددي، الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية، جدة، دار الشروق، ط٣، ١٤٠٥هـ.
١٢٢. عبدالله بن أحمد بن قدامة، المغني، الرياض، دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٩هـ.
١٢٣. عبدالله بن صالح العبود، جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى

- الله في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٤هـ.
١٢٤. عبدالله بن محمد المطوع، العمل الخيري المؤسسي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٢٩هـ.
١٢٥. عبدالله سالم القاضي، الإدارة المدرسية: المهام والمسئوليات، ط ٢، ١٤١٣هـ، دار الحارثي للطباعة والنشر.
١٢٦. عبدالله سعيد الزهراني وآخرون، من تاريخ التعليم في مكة المكرمة، الإدارة العامة للتربية والتعليم بالعاصمة المقدسة، الإعلام التربوي والعلاقات العامة، ١٤٢٦هـ.
١٢٧. عبدالله عبد الحميد محمود، إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية، المدينة المنورة، دار الغرباء، ط ١، ١٤١٥هـ.
١٢٨. عبدالله غازي المكي، إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام، مكة، مكتبة الأسد، ط ١، ١٤٣١هـ.
١٢٩. عبدالله محمد الزهراني، الوسطية في التربية الإسلامية، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٣هـ.
١٣٠. عبدالله محمد الزيد، التعليم في المملكة العربية السعودية، أنموذج مختلف، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
١٣١. عبدالمحسن بن سعد الداود، المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم، الرياض، الهيئة العربية للكتاب، ١٤١٣هـ.
١٣٢. عبدالمحسن عبدالكريم البكر، التعليم الديني في المملكة العربية السعودية، الرياض، دار اشبيليا، ١٤٢٣هـ.
١٣٣. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، الحرم الشريف الجامع والجامعة، مكة، نادي مكة الثقافي الأدبي، ط ١، ١٤١٧هـ.

١٣٤. عبدالوهاب عبد الواسع، الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، الرياض، دار طويق، ط١، ١٤١٣هـ.
١٣٥. عدنان محمد الوزان، موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام وسماتها في المملكة العربية السعودية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.
١٣٦. عزت مراد، المملكة العربية السعودية وحقوق الإنسان، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
١٣٧. عفاف سيد صبرة، حاضر العالم الإسلامي الواقع والتحديات، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.
١٣٨. علي بن إبراهيم النملة، تأملات في طريق الدعوة، الرياض، مكتبة الرشد، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
١٣٩. علي بن أحمد بن حزم، المحلى، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة، دار التراث، ط١، بدون ت.
١٤٠. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٤١. علي عامر الأسدي، دار الحديث خلال ٥٢ عاما، مجلة دار الحديث المكية، مكة، العدد الأول، ١٤٠٢هـ.
١٤٢. علي محفوظ، هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، بيروت، دار المعرفة بدون ذكر رقم وتاريخ الطبعة.
١٤٣. علي محمد شلبي، تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٤٤. عمر حسين عطار، مدارس الجاليات الإسلامية البورمية الخيرية بمكة المكرمة، دراسة وصفية تاريخية، ط١، ١٤١٧هـ.
١٤٥. عمر عطار، مدارس الجاليات الإسلامية الأفريقية الخيرية للبنين والبنات

- بمكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ.
١٤٦. عمر كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، مؤسسة الرسالة، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
١٤٧. عنبرة الأنصاري وآخرون، ملامح عن التعليم في مكة المكرمة، الإدارة العامة للتربية والتعليم بمكة المكرمة، وحدة الدراسات والبحوث التربوية، ١٤٢٥هـ.
١٤٨. غازي غزاي المطيري، الدعوة في الواقع المعاصر، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٣١هـ.
١٤٩. غيثان بن علي جريس وآخرون، تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم، أفريقيا، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.
١٥٠. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد عبدالرزاق الدويش، الرياض، مؤسسة الأميرة العنود آل سعود، ط٤، ١٤٢٣هـ.
١٥١. فضل إلهي، السلوك وأثره في الدعوة إلى الله، الرياض، دار اشبيليا، ط١، ١٤١٩هـ.
١٥٢. فهد العتيبي، إسهام القطاع الخاص في تمويل التعليم العام في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الإدارة التربوية، ١٤٢٥هـ.
١٥٣. فيصل عبدالله مقادمي، التعليم الأهلي للبنين في مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٤هـ.
١٥٤. القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٥هـ.
١٥٥. كامل محمد الصاوي، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، مؤسسة

- شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٨م.
١٥٦. مؤتمر الأقليات المسلمة، الدعوة والأصدقاء، الرياض، دار طويق، ط١، ١٤١٢هـ.
١٥٧. مالك بن أنس، الموطأ، نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي، الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤١٩هـ.
١٥٨. مأمون سلامة، مذكرات في المدخل إلى علم الإجماع، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٧م.
١٥٩. ماهر إسماعيل صبري، التدريس: مبادئ ومهاراته، سلسلة الكتاب الجامعي العربي، مصر، ١٤٢٩هـ.
١٦٠. المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، الدمام، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ.
١٦١. مجدي المهدي، المعلم ومهنة التعليم بين الأصالة والمعاصرة، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٧م.
١٦٢. مجموعة من الباحثين، الطلاق آثار وعواقب، بيروت، الدار العربية للعلوم، ط١، ١٤٢٤هـ.
١٦٣. مجموعة من الباحثين، المدارس الخيرية الإفريقية آمال وتطلعات، والمقدم إلى وزارة التربية والتعليم من قبل أعيان الجالية الأفريقية، ١٤٣٠هـ.
١٦٤. محماس عبدالله الجلعود، الموالات والمعاداة في الشريعة الإسلامية، المنصورة، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٦٥. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٥هـ.

١٦٦. محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الرياض، مكتبة الرشد، ط٣، ١٤١١هـ.
١٦٧. محمد السيد غلاب وآخرون، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، صفر، ١٣٩٩هـ.
١٦٨. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
١٦٩. محمد الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.
١٧٠. محمد المنيف، الإدارة المدرسية ودورها التربوي في مواجهة المخدرات، حقوق الطبع للمؤلف، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٧١. محمد بشير حداد، الدعوة والإصلاح مناهج وأسباب، جدة، مكتبة حوارزم العلمية، ط٢، ١٤٣٠هـ.
١٧٢. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، جدة، دار القبلة، ط١، ١٩٨٦م.
١٧٣. محمد بن أبي بكر بن القيم، جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، الدمام، دار بن الجوزي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
١٧٤. محمد بن أبي بكر بن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ.
١٧٥. محمد بن أبي بكر بن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١٤٠٧هـ.
١٧٦. محمد بن أبي بكر بن القيم، مفتاح دار السعادة، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

١٧٧. محمد بن أبي بكر بن القيم، بدائع الفوائد، تحقيق: محمد الزغلي، عمان، الأردن، دار المعالي، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٧٨. محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.
١٧٩. محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤٠٤هـ.
١٨٠. محمد بن أحمد الصباغ، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكة، مكتبة الأسدي، ط١، ١٤٢٤هـ.
١٨١. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: محمد عرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ.
١٨٢. محمد بن أحمد بن جزي، تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبور، عمان، الأردن، دار النفائس، ط١، ٢٠٠٢م.
١٨٣. محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، بيروت، دار الفكر، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
١٨٤. محمد بن الحسين الآجري، أخلاق العلماء، تحقيق: أمينة الخراط، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٨٥. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، دار الفكر، بدون رقم الطبعة، ١٤٠٥هـ.
١٨٦. محمد بن صالح العثيمين، رسائل في العقيدة، القاهرة، مطبعة الصفوة، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٨٧. محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة السفارينية، الكويت، ط١، مكتبة الفلاح، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

١٨٨. محمد بن صالح العثيمين، رسالة في الدعوة إلى الله، ط١، توزيع مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية، رقم الإصدار: ٨٢، المدينة المنورة، ١٤٠٧هـ.

١٨٩. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ.

١٩٠. محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

١٩١. محمد بن عبد الوهاب، شرح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، حاشية ثلاثة الأصول.

١٩٢. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، حققه: عبد الرحمن عميرة، القاهرة، دار الوفاء، ط٢، ١٤١٨هـ.

١٩٣. محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

١٩٤. محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٧هـ.

١٩٥. محمد بن معجب الحامد وآخرون، التعليم في المملكة العربية السعودية، رؤية الحاضر واستشراف المستقبل، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ.

١٩٦. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الرياض، دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٩٧. محمد بن ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار

- السبيل، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
١٩٨. محمد بن ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـ.
١٩٩. محمد بن ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، دمشق، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٨هـ.
٢٠٠. محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
٢٠١. محمد بن يزيد بن ماجه، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
٢٠٢. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ.
٢٠٣. محمد خليل هراس، دعوة التوحيد: أصولها، الأدوار التي مرت بها، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٢٠٤. محمد خير يوسف، الدعوة الإسلامية مفهومها وحاجة المجتمع إليها، الرياض، دار طويق، ط ٢، ١٤٢٨هـ.
٢٠٥. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، القاهرة، مطبعة المنار، ط ٢، ١٣٦٦هـ.
٢٠٦. محمد زياد حمدان، المنهج أصوله وأنواعه ومكوناته، ط ١، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٢هـ.
٢٠٧. محمد سلطان العلماء وزميله، الوقف، مفهومه، ومشروعيته، ضمن البحوث العلمية للمؤتمر الأول للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، والمنعقد في شعبان ١٤٢٢هـ، جامعة أم القرى.
٢٠٨. محمد سيدي الحبيب، الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط ٢، دت.

٢٠٩. محمد شاكر الشريف، نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، ط ١، الرياض، ١٤٢٧هـ.
٢١٠. محمد طاهر كردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، مكة، مكتبة الأسد للنشر والتوزيع، ط ٣، ١٤٢٥هـ.
٢١١. محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، دمشق، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٢م.
٢١٢. محمد عبدالرحمن الجاغوب، النهج القويم في مهنة التعليم، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٢م.
٢١٣. محمد عبدالرحمن الشامخ، التعليم في مكة والمدينة، الرياض، ط ١، ١٣٩٣هـ.
٢١٤. محمد عبدالله آل عبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ط ١، ١٤١٣هـ.
٢١٥. محمد عبدالله السبيل، رعاية الحرمين الشريفين في عهد الملك فهد بن عبد العزيز، مكة، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ط ١، ١٤٢١هـ.
٢١٦. محمد عبدالله السلطان، التعليم في عهد الملك عبد العزيز، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ط ١، ١٤١٩هـ.
٢١٧. محمد علي ضناوي، الأقليات الإسلامية في العالم، بيروت، مؤسسة الريان، ط ١، ١٤١٣هـ.
٢١٨. محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري، جدة، ط ١، ١٤١٤هـ.
٢١٩. محمد محمود الخوالدة، مقدمة في التربية، عمان، دار المسيرة، ط ١،

١٤٢٤هـ.

٢٢٠. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، بيروت، دار الحياة، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

٢٢١. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٨هـ.

٢٢٢. محمود محمد مزروعة، مذاهب فكرية معاصرة، عرض ونقد، دار الرضا للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ.

٢٢٣. مرزوق سليم اليوبي، أثر العلم في الدعوة إلى الله تعالى، الدمام، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٨هـ.

٢٢٤. مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، الرياض، دار السلام، ط ١، ١٤١٩هـ.

٢٢٥. مصطفى مخدوم، قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، الرياض، دار اشبيليا، ط ١، ١٤٢٠هـ.

٢٢٦. مطر عادي العنزي، المرشد المفيد للمعلم المفيد، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٣هـ.

٢٢٧. مفرح سليمان القوسي، مقدمة في الثقافة الإسلامية، ط ١، ١٤١٥هـ.

٢٢٨. مقتدى حسن ياسين، مجالات الوقف المؤثرة في الدعوة إلى الله، ضمن البحوث العلمية لمؤتمر الأوقاف الأول بالمملكة العربية السعودية والمنعقد في شعبان، ١٤٢٢هـ، جامعة أم القرى.

٢٢٩. مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، الرياض، دار عالم الكتب، ط ١، ١٤١٦هـ.

٢٣٠. منيرة العصرة، انحراف الأحداث ومشكلة العوامل، القاهرة، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٤م.

٢٣١. منيرة بنت عبدالملك بن دهيش، دور المسجد في القرن الأول في الحجاز والشام، مكة، مكتبة الأسد، ط ١، ١٤٢٥هـ.
٢٣٢. موسى بناني العليلي، الهجرة والنصرة في القرآن الكريم، بيروت، الدار العربية للموسوعات، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
٢٣٣. ناجي معروف، مدارس مكة، بغداد، مطبعة الإرشاد، ط ١، ١٣٨٦هـ.
٢٣٤. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الأقليات المسلمة في العالم ظروفها المعاصرة، آلامها، وآمالها، أبحاث ووقائع المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد بالرياض في الفترة من ١٢-١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ.
٢٣٥. نور الإسلام جعفر فائز، المسلمون في بورما التاريخ والتحديات، دعوة الحق، سلسلة شهرية تصدر عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامية، السنة الثامنة، العدد ١١٥، ١٤١٢هـ.
٢٣٦. هاشم بكر حريري، الإدارة التربوية، مكة، جامعة أم القرى ١٤٢٠هـ.
٢٣٧. هاشم علي الأهدل، أصول التربية الحضارية في الإسلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ط ١، ١٤٢٨هـ.
٢٣٨. هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، تقرير ما تم إنجازه بالمدارس التابعة للهيئة للعام الدراسي ١٤٣٠/١٤٣١هـ.
٢٣٩. هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية، مكتب اللجنة التنفيذي، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ.
٢٤٠. وزارة الداخلية السعودية، جنوح الأحداث ومحدداته في المملكة العربية السعودية، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية، الرياض، ١٤١١هـ.
٢٤١. وكالة الوزارة المساعدة لشؤون الدعوة، من جهود المملكة العربية

- السعودية في الدعوة إلى الله، ط ١، ١٤١٩هـ.
٢٤٢. يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، القاهرة، دار المنار، ط ٢، ١٤٢٣هـ.
٢٤٣. يسري عبدالرازق الجوهري، جغرافية الشعوب الإسلامية، الإسكندرية، مكتبة المعارف، د. ت.
- ثانيًا: الرسائل العلمية:
٢٤٤. أحمد محمد الخالدي، تفعيل دور المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد لوقاية الشباب من الوقوع في الانحرافات الفكرية - تصور مقترح - رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ.
٢٤٥. آمال رمضان صديق، الحياة العلمية في مكة المكرمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ.
٢٤٦. إيمان إبراهيم كفي، الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد الملك عبدالعزيز، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ.
٢٤٧. جميلة الكمالي، التفكك الأسري وعلاقته بجنوح الأحداث، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة عدن اليمنية، ٢٠٠٧م.
٢٤٨. حامد أحمد الصاعدي، المعاهد والدور التابعة للجامعة الإسلامية ورسالتها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ.
٢٤٩. خالد بن حسن الكبكي، مدرسة دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، دراسة تاريخية تقويمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ.
٢٥٠. خالد حسن الدين منديلي، الدور التربوي للمسجد الحرام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢١هـ.

٢٥١. سعد سعيد الرفاعي، مصادر وأساليب تمويل التعليم في العصور الإسلامية الأولى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ.

٢٥٢. سلطان محمد الزويهي، واقع الممارسات الإدارية لمديري مدارس الجاليات الخيرية بالعاصمة المقدسة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ.

٢٥٣. صلاح بن ردود الحارثي، دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ.

٢٥٤. عبد الرزاق جميل طيب، الدور التعليمي لمعهد الحرم المكي الشريف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ.

٢٥٥. عبير زاهد قدسي، المدارس الأهلية في مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ.

٢٥٦. محمد عبدالله آل عمرو، التعليم في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ.

٢٥٧. مريم راجح مسعود المنعمي مدرسة دار الحديث المكية دراسة تاريخية تقويمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ.

ثالثاً: المجلات والصحف اليومية:

٢٥٨. صحيفة الاقتصادية الإلكترونية: عدد (٥٢٧٨)، وتاريخ الاثنين ٤ مارس ٢٠٠٨م).

٢٥٩. صحيفة البلاد السعودية، الاثنين ٢١/٥/١٤٢٩هـ العدد: (٢٣٠٠).

٢٦٠. صحيفة الرياض السعودية الجمعة ١ رجب ١٤٢٩هـ - ٤ يوليو ٢٠٠٨م - العدد ١٤٦٢٠.

٢٦١. مجلة دار الحديث المكية، مكة، العدد الأول، ١٤٠٢هـ.

٢٦٢. مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١١٨، السنة ٣٥، العام ١٤٢٣هـ.
٢٦٣. مجلة جامعة الملك سعود، م١٧، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- رابعاً: اللقاءات والزيارات:
٢٦٤. أحمد علي العمودي، اللقاء الأول المكتوب مع المؤلف بتاريخ ٢١/٢/١٤٣١هـ.
٢٦٥. أحمد بن علي العمودي، اللقاء الثاني المكتوب مع المؤلف بتاريخ (١٠/١/١٤٣٢هـ).
٢٦٦. مقنع بن معيوض الثبيتي، مساعد مدير مكتب التربية والتعليم بجنوب مكة، بتاريخ ٢١/٣/١٤٣١هـ.
٢٦٧. عبد العزيز بن محمد فارسي، لقاء شفهي بتاريخ ١٤/٢/١٤٣١هـ.
٢٦٨. زيارات متكررة لمقر اللجنة التنفيذية بهيئة الإشراف على مدارس الجاليات مع زيارات أخرى لعدد من المدارس في إطار الرصد والمتابعة من قبلي.

فهرس الموضوعات

| | |
|----|---|
| ٠ | مكتلة..... |
| ١١ | التمهيد: التعريف بمفردات عنوان البحث |
| ١٣ | المبحث الأول: التعريف بمدارس الجاليات الخيرية |
| ١٦ | المبحث الثاني: الدعوة إلى الله أهميتها ومكانتها |
| ٣٣ | الفصل الأول: الجاليات في مدينة مكة المكرمة |
| ٣٥ | المبحث الأول: عناية الإسلام بالجاليات |
| ٣٥ | المطلب الأول: حث الإسلام على الهجرة في سبيل الله |
| ٤٢ | المطلب الثاني: مكانة الهجرة في الإسلام |
| ٤٦ | المطلب الثالث: الحقوق الواجبة تجاه الجاليات المسلمة |
| ٥١ | المبحث الثاني: لمحة موجزة عن الجاليات الإسلامية بمكة المكرمة |
| ٥١ | المطلب الأول: المقصود بالمجاورين |
| ٥٣ | المطلب الثاني: دوافع المجاورة في مكة المكرمة |
| ٦٤ | المطلب الثالث: المجاورون بمكة وأثرهم في الحياة العلمية |
| ٦٩ | المبحث الثالث: أنواع الجاليات الموجودة بمكة المكرمة |
| ٦٩ | المطلب الأول: أنواع الجاليات بمكة |
| ٧٧ | المطلب الثاني: سمات الجاليات المقيمة بمكة |
| ٨٢ | المبحث الرابع: عناية المملكة العربية السعودية بدعوة الجاليات وتعليمها |
| ٨٢ | المطلب الأول: جهود المملكة العربية السعودية في خدمة قضايا المسلمين |
| ٨٧ | المطلب الثاني: دعوة الجاليات في المملكة العربية السعودية |

- المطلب الثالث: جهود المملكة في مساندة الأقليات المسلمة في العالم ٩٢
- الفصل الثاني: مدارس الجاليات الخيرية بمكة المكرمة ٩٩
- المبحث الأول: نشأة مدارس الجاليات الخيرية بمكة ونظامها ١٠١
- المطلب الأول: تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية ١٠١
- المطلب الثاني: نبذة عن المدارس بمكة المكرمة ١٠٩
- المطلب الثاني: نشأة هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية ١١٦
- المطلب الثالث: نظام مدارس الجاليات الخيرية ١٢٢
- المبحث الثاني: أهداف مدارس الجاليات بمكة وعلاقتها بالدعوة ١٢٧
- المطلب الأول: أهداف التعليم بالمملكة العربية السعودية ١٢٧
- المطلب الثاني: أهداف مدارس الجاليات الخيرية بمكة ١٣٥
- المطلب الثالث: علاقة أهداف مدارس الجاليات الخيرية بالدعوة إلى الله ١٣٨
- المبحث الثالث: المقررات الدراسية للمدارس الخيرية ومضامينها الدعوية ١٤٧
- المطلب الأول: أسس المقررات الدراسية بالمملكة ١٤٧
- المطلب الثاني: محتويات المقررات الدراسية للمدارس الخيرية ١٥١
- المطلب الثالث: المضامين الدعوية للمقررات الدراسية ١٥٤
- المبحث الرابع: المناشط الدعوية لمدارس الجاليات وأثرها في الدعوة ١٦٤
- المطلب الأول: المحاضرات ١٦٤
- المطلب الثاني: الدورات العلمية والتدريبية ١٦٧
- المطلب الثالث: أثر الأنشطة الدعوية في الدعوة إلى الله ١٧٠
- الفصل الثالث: وسائل مدارس الجاليات في إيصال رسالتها ١٧٣

- المبحث الأول: المناهج والمقررات الدراسية..... ١٨١
- المطلب الأول: تعريف المناهج والمقررات لغة واصطلاحًا ١٨١
- المطلب الثاني: أهمية المناهج الدراسية في الدعوة إلى الله ١٨٥
- المطلب الثالث: الأسس العلمية لمناهج مدارس الجاليات الخيرية ١٩٣
- المبحث الثاني: الدروس العلمية..... ٢٠٥
- المطلب الأول: أهمية الدروس العلمية في الدعوة ٢٠٥
- المطلب الثاني: دور مدارس الجاليات الخيرية في إقامة الدروس العلمية ٢٠٨
- المطلب الثالث: أثر الدروس العلمية في دعوة الجاليات بمكة المكرمة ٢١٠
- المبحث الثالث: المعاهد والدور الشرعية بمكة المكرمة ٢١٢
- المطلب الأول: دار الحديث الخيرية ٢١٢
- المطلب الثاني: دار الحديث المكية..... ٢١٧
- المطلب الثالث: معهد الحرم المكي الشريف ٢٢٣
- المبحث الخامس: المعلمون ٢٢٧
- المطلب الأول: مكانة المعلم في الدعوة إلى الله ٢٢٧
- المطلب الثاني: خصائص المعلم الداعية ٢٣٣
- المطلب الثالث: أهمية التأهيل الشامل للمعلم الداعية ٢٣٧
- الفصل الرابع: أهم مشكلات الدعوة ٢٤٧
- المبحث الأول: ضعف التمويل ٢٤٩
- المطلب الأول: مكانة المال في التعليم والدعوة ٢٤٩
- المطلب الثاني: أهم المشكلات التي تواجه التمويل ٢٥٦

- المبحث الثاني: محدودية الكادر التعليمي والإداري..... ٢٦٢
- المطلب الأول: أهمية الإدارة التربوية في المسيرة التعليمية..... ٢٦٢
- المطلب الثاني: أهم المشكلات التي تواجه الكادر التعليمي والإداري..... ٢٦٨
- المبحث الثالث: مجتمع الطلاب..... ٢٧٥
- المطلب الأول: طبيعة مجتمع طلاب مدارس الجاليات الخيرية ومكوناته..... ٢٧٥
- المطلب الثاني: أهم مشكلات مجتمع الطلاب..... ٢٨٥
- المبحث الرابع: السبل المقترحة لمعالجة المشكلات التي تواجه المدارس... ٢٨٩
- المطلب الأول: السبل المادية لمعالجة مشكلات الدعوة..... ٢٨٩
- المطلب الثاني: السبل التربوية الدعوية لمعالجة مشكلات مسار الدعوة..... ٢٩٨
- الفصل الخامس: الآثار الدعوية لمدارس الجاليات..... ٣٠١
- المبحث الأول: آثارها على أفراد الجاليات الإسلامية بمكة المكرمة..... ٣٠٣
- المطلب الأول: تعليمهم أحكام الدين وشرائعه وآدابه..... ٣٠٣
- المطلب الثاني: تحصينهم من الغزو الفكري والتطرف..... ٣١٣
- المطلب الثالث: تأهيلهم لخدمة مجتمعهم عملياً ودعوتياً..... ٣٢٦
- المبحث الثاني: آثارها على مجتمع مكة المكرمة..... ٣٣٢
- المطلب الأول: آثارها على قاطني منطقة مكة المكرمة..... ٣٣٢
- المطلب الثاني: آثارها على الزوّار والحاج والمعتمرين..... ٣٣٩
- المبحث الثالث: آثارها على دول هذه الجاليات ومجتمعاتها..... ٣٤٣
- المطلب الأول: آثارها على الوافدين من دول هذه الجاليات..... ٣٤٣
- المطلب الثاني: آثارها على أمة الإجابة في دول الجاليات..... ٣٤٧

- المطلب الثالث: آثارها على أمة الدعوة في دول الجاليات ٣٥٠
- المبحث الرابع: آثارها على الأمة الإسلامية ٣٥٤
- المطلب الأول: آثارها في النهوض بالأمة الإسلامية علمياً وعملياً ٣٥٤
- المطلب الثاني: آثارها في تحسين صورة المسلمين في الخارج ٣٥٨
- الخاتمة ٣٦٠
- أولاً: خلاصة البحث: ٣٦٢
- ثانياً: نتائج البحث: ٣٦٣
- ثالثاً: توصيات البحث: ٣٦٥
- فهرس المصادر والمراجع ٣٧٠